

مَسْرُوعِيَّاتٌ بِحَيِّ حَقِيٍّ
المُترجمة

كنوك أو انتصار الطب

تأليف: جول رومين

الطائر الأزرق
أجدوثة من عالم السحرة

تأليف: موريس ميترلينك

١٨٦٩ - ١٩٤٩



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ح.م.ع.

كنوك أو انتصار الطب

تأليف : جول رومين

«متلت هذه المسرحية لأول مرة في
باريس على مسرح كوميدى سانزليزيه يوم
١٥ من ديسمبر ١٩٢٣ بحب إدارة حاك
هبرنو، وتولى لويس جوفيه الإخراج
والديكور. وقام بأداء أدوار النساء: كوتان
لامير - إرمابيرو - إيزا رينار - ماج
بيروبيه - ي تيسيران. وقام بأدوار الرجال:
لويس جوفيه - أ. هيرو - انفرييف -
جولتيه، بن دانو - ساليس - مامى -
سانت أيل...»

مقدمة

مسرحية كنوك.. والهزلية الجيدة

بقلم: الدكتور محمد مندور

مسرحية «كنوك أو انتصار الطب»، هي بإجماع النقاد وأساتذة الأدب خير ما كتب مؤلفها الكاتب الفرنسي المعاصر «حيل رومان»، بل هي المسرحية التي يهوم عليها الجانب الأكبر من مجد مؤلفها، فيها عرف وذاع صيته في العالم كله، وذلك بالرغم من أنه ساعر وفصاص وفيلسوف لا كاتب مسرحيات فحسب، وكل ذلك بالرغم من أن كثيراً من أساتذة ونقاد الأدب المسرحي وبخاصة في العالم الأنجلوسكسوني بسمون هذه المسرحية فارس Farce أى هزلية، فهي تسميه - إذا صح إطلاقها على هذه المسرحية الجيدة - جديره بأن تجعلنا نغير حكمنا العام على هذا النوع من المسرحيات الذي ننظر إليه دائماً نظرة تضعه في أسفل السلم بالنسبة للأنواع الأخرى من المسرحيات، فالهزلية، بمعناها الدارج، مسرحية لا تستهدف إلا الإضحاك، ولما يؤدي فيها

الضحك وظبفه جاده ويكفيها أن تسرى عن مساهديها، وذلك في حين تعمر مسرحية كنوك بالحفائق النفسيه والاجتماعيه العميقه مغلفه في روح السخرية المرة والتهكم اللاذع اللذين يمتاز بهما مسرح حيل رومان، وإن يكن وقائع المسرحية تبدو مبالغاً فيها إلى حد يكاد يبعدها عن الواقع، وبالتالي عن المعقولة وإمكانه الحدوث وهما تشرطان يتوفران عادة لما نسميه الملهاة النفديه أو الكوميديا الاجتماعية، وهذه قضية سننظر فيها نظرياً وتطبيقياً بعد أن نقدم أولاً المؤلف چيل رومان إلى القراء.

ولد لويس فاريچول رومان وشهرته جبل رومان في قرية سان حوليان سناتيل بفرنسا سنه ١٨٨٥، ولا يزال حياً حتى الآن، وبعد إتمامه لمرحلة التعليم العام فاز في مسابقة مدرسة المعلمين العليا وهي مدرسة لا يتلقى فيها الطلبة دراساتهم العليا ولا يحصلون منها على درجات علمية، بل يدرس طلبتها في الجامعة مع غيرهم من الطلبة، وما هي إلا بمهابة قسم داخلي يقم فيه الطلبة المتفوفون الذين يجتازون مسابقته بعد إعداد أنفسهم لهذه المسابقة على إر حصولهم على البكالوريا والانتها من مرحلة الدراسة الثانوية، وهم مقيمون في هذه المدارس مجاناً، بل ويمنحون مكافأه شهرية، وفي هذه المدارس مكاتب كبيرة يستفيد بها طلبتها. واجتياز مسابقه مدرسة المعلمين العليا أمر شاق، ولذلك يعتبر الفائزون في مسابقتها صفوة السبان وبطل كل واحد منهم، يعتز طول حياته بقبوله فيها. وبعد أن حصل چيل رومان

على ليسانس الدولة في الفلسفة من السوربون، أخذ يعد نفسه للتقدم لمسابقه الأساذية (الأجرجاسيون)، وهي مسابقة ضخمة عنيفة تعقدھا الجامعة كل عام ليتقدم إليها الطلبة بعد التحضير لها لمدة عامين كاملين. والغاية منها هي اختيار السبان النابغين الذين يصلحون للتدريس بالمدارس الثانوية، ومن يفور في هذه المسابقة لا يعتبر مدرساً، بل يعتبر أستاذاً بكل معاني الكلمة. ولقد فاز حيل رومان في هذه المسابقة سنة ١٩٠٩ فأصبح بذلك أستاذاً في الفلسفة.

ومع ذلك لم ينظر حيل رومان حصوله على لقب الأستاذية لكي ينادى بمذهب فلسفي اجتماعي جديد سماه مذهب «الكلية» Unanisme الذي أعلنه منذ سنة ١٩٠٣ وهو مذهب أو منهج يرمى إلى تصوير الروح الموحدة الى محرك كل مجتمع بسرى، وقد أوحى إليه بهذه الفكرة تعاليم أساتذته علم الاجتماع الذين تلقى عنهم العلم في السربون. من أمال رائد علم الاجتماع الحديب العالم الكبير «دركايم» وزملائه من كبار الأساتذته مثل: «ليهى بريل» وغيره.

وبالرغم من دراسة حيل رومان للفلسفة بفروعها المختلفة وتخصه فيها، فإن مواهبه الشعرية والأدبية، قد أخذت تظهر منذ وقت مبكر، إذ رأيناه يشارك مع عدد من سبان جيله الأدباء والسعراء أمال «سنفير» و «ديهاميل» و «فيلدراك»

و«أركوس» في تأسيس ما يعرف في تاريخ الأدب الفرنسي المعاصر: بـ«دير كورتيل»، ولهذا الدير قصة أدبية تاريخية بالغه الطرافة خلدها أحد أعضاء الدير وهو رينيه أركوس في صفحات شعرية جميلة تثبتنا هنا لطرافتها بالرغم من سبق نسرنا لها في المقدمة التي كتبناها لترجمتنا لكتاب «دفاع عن الأدب» لمؤلفه جورج ديهاميل.

يقول رينيه أركوس: «كنا في أوائل خريف سنة ١٩٠٦ في يوم أحد مطير عندما اكتشفنا - فيلدراك وزوجته وأنا - الدار الى أصبحت «الدير»، داراً محوطة الطلاء لم يسكنها أحد منذ سنين ولكنها جلييلة المظهر بشرفاتها وواجهتها ذات الطوب الأحمر ونوافذها الخضراء. كانت محاطة ببستان أشعث جمع أشجاراً من كافة العناصر، وبأقصى البستان حديقة فواكه فيها عدد كبير من الأشجار (لقد اتخذنا من الفواكه غذاءنا صيفاً بأكمله)، ثم حشائش وكوخ، وطرق عمت مسالكها الأعشاب المسرفة. وكانت مئات من الطيور قد آوئ إلى هذا المنزل المهجور منذ زمن طويل. وبعد هذه الزيارة بخمسة عشر يوماً كان عقد الإيجار الذي جعلنا سادة «الدير» قد وقع. وهذه الوثيقة الحزينة التي لا تزال بين يدي تحمل خمسة إمضاءات لمؤسسي الدير: رينيه أركوس، جورج ديهاميل، ألير جريز، هنري مارتان، شارل فيلدراك، ولقد أضفنا في قلوبنا اسم «لينار» الطباع الذي علمنا مهنتنا والذي قاسمنا حتى النهاية أيام نعيمنا وأيام بؤسنا.

وكان من أول حرصنا عليه أن «سمرنا» على المدخل
«يافته» كان المارون يستطيعون أن يفرءوا عليها أبياب ربليه:
هنا. ادخلوا. ادخلوا على الرحب والسعة
ادخلوا تجدوا مأوى وحصنا.
يقى من الخطأ الأليم الذى طالما احتال
بأسلوبه الكاذب فسمم العالم.
ادخلوا لندعم هنا الإيمان العميق.

ونحت هذه المقطوعة كتبنا المقطوعة الأخرى التى تقول:
هنا لا تدخلوا أيها المتزمتون
أيها القروء العتاق.
أيها الأقدار المنبعجون.

وهنرى مارتان، السياسى الساب الذى كنا قد تعرفنا إليه
والذى أعجبتته مشاريعنا، هو الذى حصل لنا على أدوات الطباعة
ووضعها تحت تصرفنا. وفيلدراك الذى كان متزوجاً وأباً لأسره
أتى بعائلته كلها ووضع كل منا فى غرفة الانتظار - التى كانت
غرفتنا المشتركة - أعز ما يملك من أنات.

ثم تعلمنا مهنتنا، مهنة الطباعة، فى سرعة أدهست «لينار»،
والمجلدان الأولان اللذان حملا سارتنا كانا. «أساطير ومعارك»
لحرج ديهاميل، «مأساة الأمكنة»، لرينية أركوس. ولقد نشر
«الدير» ما يقرب من عشرين مجلداً، ثم إن روبر دى مونتسكيو

لكى يظهر لنا عطفه، عهد إلينا بدوان سعر له «بارسفلورا»، ولكنه طلب إلنا الكبر إذ حملنا على إعاده طبعه أكر من مرة، وفى النهايه ظهر أن هذه الصففه كانت من أسوأ الصففات الى عهدناها.

وكان الكبر من الفنانين السبان يأتون إلى الدر ضوفاً بضاحه كورنيه، كانوا يأتون بوم الأحد جماعات. لقد أصبح دارنا هدفاً للنزّهة وكان يزورنا أيضاً أسخاص عجبون، كان من بينهم رجال ذوو فمصان حمراء وأخرى سوداء، ونباتيون وكائنات من هنا وهناك، ونساء دميمات ذريبات اللسان يدعوننا إلى أن نعيش وفقاً للمذهب. أى مذهب؟ ذلك ما لم نعلمه فط على وحه التحقيق. وأراد أحد الإسراقين أن يحملنا على بناء عده أكواخ خشبيه ببستاننا، بلا ريب لكى نربى فيها جيلا من التلاميذ! وذاب صباح أتنا على دراجة ساب فوى عضلات الأرجل ذو عينين فى لون السماء هو حيل رومان الذى كان إذ ذاك طالباً بمدرسة المعلمين العليا (النورمال)، أتى حاملاً مخطوطه «الحياه الكليه» Vie unanime التى قرأناها فى نفس المساء بصوت مرتفع. يالها من حماسه! وإن تكن الصياغه، ونريه الدبوان، قد حملتا بعضنا، من لحظه إلى لحظه، على أن يفطب حاجبيه، إلا أننا أحسنا جميعاً أن ساعراً قوى الأصالة، نادر البكوره قد ولد. وحمل الربيع إلى «الدير» مستأجرين جددًا: مرسيرو وزوجته

(أتنا من موسكو حيب بزوجا)، وبرتولدلمان، ودومار، وألبر
دوبان وزوجه، وبعض الأصدقاء الآخرين. وكان الموسيقيون
يأتون ليلعبوا فيه موسيقاهم، والمصورون ليعرضوا لوحاتهم،
والسعرء لسمعوا شعرهم ينسده مملون ومملات، ولهد أصبحت
إحداهن فيما بعد (بلانس ألبان) زوجه لديهاميل، ودامب المغامرة
أربعة عشر سهرًا. وبعد ستاء آحر فاس اضطررنا إلى أن نفترق،
وأن نترك «الدير» الذى لم نعد نستطيع أن نعس فيه.

بحب أن بعزى الفصل إلى حداتنا قبل كل سىء. لقد كان
ينفصنا النظام، إذ كنا لاننصت لغر هوانا. ثم إننا كنا نتابع
غايات مختلفة، غايات لم نكن قد انتهينا كلنا إلى تحددها على
وجه دقبى.

بقين لدى كلمات فلية هى: أن الدير لم يكن فط مدرسه
شعريه. لقد كان مجرد جماعة من الرجال يريدون بعملهم أن
يعيسوا معاً فى حباه حرة، وإذا كنا قد أظهرنا عندئذ عطفاً نحو
كل السعرء والكتاب الذين لاحوا لنا موهوبين، فإن ذلك لم يكن
لعرض خفى فى أن نجندهم تحت راية ما. لم يكن لنا مذهب
مسترك، بل لهد كان يتفق أحياناً أن سخر بعضنا من بعض، بل
أسطيع أن أفول مع قلدراك أوديهاميل، أنه قد لاح لنا أن فلاماً
من رفاطنا كان ينكلم وبكب بلغة غريبه عن لغتنا.

لهد أظهر النقاد كثيراً من القرابات الدقيقه بن قلدراك

ورومان وديهاميل وبيئي، ولن نخطر ببال أحد منا أن ينكرها. بل إنها بلا ريب قد امتدت إلى شعراء آخرين: جوف وسنفيير، وديرتان... إلخ، ولكنه لم تكن هناك مدرسة أصلاً، لقد كنا جمعاً نبغض أسند البغض روح التجنيد.

ورينيه أركوس على حق فيما يقرره من أن جماعه الدير لم تكون مدرسة أدبية متفهمه فيما بينها على فلسفة إنسانية أو فنه، وذلك بالرغم من سيطرة شخصية: جيل رومان، ومحاولة فرضه مذهب الكلية على الجماعة كلها، ولقد أوضحت في مقدمتي لكتاب «دفاع عن الأدب» كيف أن جورج ديهاميل ملا، كان نفر كل النفور من فلسفة حيل رومان، وبخاصه عندما كانت تتطرق الى السلوك الأخلاقي والاجتماعي على نحو ما يحس من بعض عبارات حيل رومان الخارجه مثل قوله: «لا تفر من المزواجه، بل احذر أن تكون أحد اثنين على نحو دائم» أو «إن الأسرة والزواج أحجار عمره تقوم في سبيل الكلية». ومع كل ذلك. فإن طرف النفيض من ناحيه الفلسفة الأخلاقية الاجتماعية وهما جورج ديهاميل، وحيل رومان، هما اللذان اكتسبا شهرة عالمية واسعه بضخامه إنتاجهما وجودة الكثير منه.

ونقصر حديثنا هنا على حيل رومان، فنذكر أن مؤلفاته الكبيرة تتوزع بين ثلاثة فنون أدبية كبيره:

١ - القصة الطويلة مثل: «الفريه الى بعث» سنه

١٩٠٦، و«سلطات باريس» سنة ١٩١١، و«موت إنسان» سنة ١٩١١، و«الأصدقاء» سنة ١٩١٣، و«دونو جوتونكا» سنة ١٩٢٠، وثلاثية: «الروح أو لوسيين» سنة ١٩٢٢، و«إله الأجساد» سنة ١٩٢٨، و«عندما السفينة...» سنة ١٩٢٩، ثم سلسلة: «الرجال الطيبون» التي تعتبر أشهر قصصه.

٢ - دواوين شعر مثل: «روح الناس» سنة ١٩٠٤، و«الحياة الكلية» سنة ١٩٠٤: ١٩٠٧، و«أباتيد وصلوات» سنة ١٩١٣، و«أغنية عسر سنوات» من سنة ١٩١٤: ١٩٢٤، وقد نشرها سنة ١٩٢٨ كما ألف مع ستقيير سنة ١٩٢٣ كتاباً عن «نظم الشعر»، عرض فيه منهجه في موسيقى الشعر التي يراها في تكرار صوت بسيط قد يكون صائتاً أو صامتاً وليس من الضروري أن يأتي في آخر البيت.

٣ - سلسلة من المسرحيات مثل: «الجيش في المدينة» سنة ١٩١١، و«كوميدير العجوز» سنة ١٩٢٠، و«السيد تروهاديك مأخوذاً بالدعارة» سنة ١٩٢٢، و«كنوك أو انتصار الطب» سنة ١٩٢٣، و«زواج السيد تروهاديك» سنة ١٩٢٥، و«البراقه» سنة ١٩٢٥، و«الديكتاتور» سنة ١٩٢٥، و«ديميتريوس» سنة ١٩٢٦، و«أميديه» سنة ١٩٢٦، و«حان سيئ الصراحة» سنة ١٩٢٦، وفي سنة ١٩٢٩ اشترك مع ستيفان زفايج في اقتباس مسرحية «فولوني» عن الشاعر الإنجليزي بن جونسون، وهي

المسرحية الى عرض على جمهور القاهرة باسم «عبيد الذهب»،
ثم مسرحيه «حان موس» سنة ١٩٣٠، و«دولوجو» سنة ١٩٣١،
و«الملك المفتع» في نفس العام.

وأما في مجال التفكير الفلسفى فله فضلاً عن نظريه «الكله»،
نظريه أخرى تقول إن بعض الأشخاص يستطيعون أن يبصروا
دون الاسعانه بالأعين. وقد بسط هذه النظرية في كتابين سمى
أحدهما: «الرؤية الخارجة عن الحدفة» أى اللاحدفة، وسمى
الآخر «حاسة الرؤية بلا أعين».

ويجمع النقاد على أن تفوق جيل رومان الحق، إنما كان في مجال
المسرح، وذلك بفضل روحه الفكهة اللاذعة، وسخريته النافذة في
نقد الأخلاق، كما يجمعون على أن مسرحيه «كنوك أو اسصار
الطب»، هى رائعتة الفذة التى عرف بها فى العالم أجمع، ومن
الواضح أن الروح الفكهة اللاذعة لا بواتيها فن الشعر،
وبخاصه إذا كان صاحبها مكوناً تكوياً فلسفياً يحمله على
السحليل النظرى الذى لا يتسع له عادة وعاء الشعر، وقد تصلح
له الفصه، ولكن مجاله الحق هو الحوار المسرحى، وهو ما نبغ فيه
حيل رومان، أكثر من نبوغه فى فن الفصه أو فى فن الشعر، حيث
يغلب على دواوينه التفكير الفلسفى الجاف، بل المنعسف أحياناً
فضلاً عن التثريب الى تدهب بطلاوة الشعر وجماله.

كنوك وفن الهزليات

نعتقد الإجماع على أن هذه المسرحية من الروائع العالمية، ومع ذلك لاحظ أن الأساتذة، والنفاد الأنجلوسكسونيين سسمونها هزله Farce، على نحو ما ورد في الموسوعة الأبيجده لأكسفورد المعروفة باسم: المرشد إلى الأدب الفرنسي Companion to Grench literature، فيألى أى مدى ينطبق عليها هذا الوصف؟.

نلخص هذه المسرحية فى السحرية اللاذعه من الطب والأطباء، وهو موضوع من مواضيع الكوميديا التقليدية وبخاصه منذ عصر مولبر الذى طالما سخر من الأطباء من مرصى الوهم، ولكن مسرحية «كنوك» لا ننفذ واقعاً فعلياً أو ممكن الوجود، بل تفترض فروضاً مسرفة وإن يكن هدفها النهائى طبعاً، هو نقد حل بعض الأطباء لجمع المال من طريق الإيهام بالمرض.

قالدكنور باربالد عمل فى عياده بقريه «سان مورس» سنين طويلة فد يبلغ الربع قرن، ومع ذلك لم يصب نجاحاً، ولا جمع ثروة مما اضطره إلى البحث عن مسر لهذه العيادة لكى ينهل للعمل فى مدينة كبيرة هى ليون، واهتدى إلى كنوك لبسعه هذه العيادة، بل وببيعه أيضاً السارة العتقة الى كان يستخدمها فى نفلايه بالريف. وبحس من احتال باربالد على إفناع كنوك

بصلاية السيارة المستهلكة وتفضيلها على الساراب الجديده الى
يزعم أنها مصنوعة من الصفيح - نحس بأن بارباليد هو الآخر
رجل محتال، بل وأن زوجته وسائق عربته يتآمران معه في هذا
الاحتيال، وتبدأ المسرحية ذات الفصول اللانه بسهد العربه
العتيقة وقد ركبها الدكتور بارباليد وزوجته وكنوك ليصعدوا
الجلل إلى قرية سان موريس، وكلما أصاب السيارة عطل اجتهد
بارباليد وزوجته في إيهام كنوك بأن السائق يريد إراحة السياره
بعض الوقت، بل ويحاولان صرفه عن ملاحظه ما يجريه فيها
السائق من إصلاح، حتى إذا وصلوا إلى القرية الجبلية، سلم
بارباليد العياده إلى كنوك وحرر معه عقد البيع للعياده والسياره،
على أن يدفع كنوك ثمنها أقساطاً على فترات محدده.

وفي القرية يعلم كنوك أن سبب فشل بارباليد يرجع إلى أنه لم
يكن يتكالب على مهنته، بل كان ينفق الكثير من وقته للنزهه، أو
في ألعاب التسلية بفندق القرية، كما كان يهون على المرضى
خوفهم، ويصف لهم أبسط الأدوية وأرخصها ويدعوهم إلى النفه
بقدره الجسم على المقاومة الذاتية حتى ضج صيدلى القرية من
كساد بضاعته، بل وانصرف أهل الناحية جميعاً تهرباً عن
الطبيب وعيادته، مما دعا كنوك إلى أن ينتهج نهجاً مضاداً استخدم
فيه كافة الحيل والوسائل الجهنمية لابتزاز المال، فابتدأ بأن
استدعى الصيدلى وأفنعه بأن العمل سينشط في صيدليته وأوصاه
بأن يجلب إليها الأدوية الغاليه الثمن كما استدعى المسيو بررار

معلم الفرية واتفق معه على أن يزوده بمجموعه من الأمراض على أن يعرضها في محاضرات يلقيها بمقر المدرسة على الجمهور عن سقى الأمراض وبخاصه الأمراض المحلية، موضحاً المعلومات الى يقدمها إليه كنوك بالصور التي يعرضها بالفانوس السحري. واستدعى أيضاً منادى المدينة لكي يكلفه بأن يطوف بالقرية والقرى المجاورة معلناً أن طبيب الفرية الجديد، قد قرر أن يفتح عيادته مجاناً يوم السوق من كل أسبوع وهو يوم الاثنين لفحص جميع سكان المنطقة وطمأنتهم على حالتهم الصحية. وما إن أتم كنوك ترتيباته الجهنمية حتى أخذ جميع أهل المطفه يتوافدون على عيادته للفحص المجاني يوم الاثنين. وابتداءً من هذه اللحظة تمر أماما طائفه من المساهد المضحكة اللاذعة التي يرى فيها عدداً من الرجال أو النساء يدخلون عياده كنوك وهم أصحاء، أو على الأقل يادى الصحة ويخرجون منها مرضى أو مؤمنين أنهم مرضى بعد أن أوهمهم كنوك بكل ذلك وأمرهم بأن يخرجوا من عيادته إلى منازلهم ليأووا في فراشهم على أن يعودهم فيه، ويطب لهم، بحسب يتولد في نفوسنا إحساس واضح بأن أهل الفرية وضواحيها قد لرموا جميعاً الفراش، بل وبحل موعد القسط، ويصل الدكتور بارباليد إلى سان موريس لسلّم من كنوك هذا القسط، ويعلم بارباليد وهو في الفندق بالنجاح الفظيع الذي أحرره كنوك حتى صعب على بارباليد أن يجد غرفه خاليه بالفندق الذي يحول إلى سبه مستسفى، لولا توسط كنوك لدى

إدارة الفندق. ويندهس باربالد مما يرى وسمع، ولكنه لا يكاد يلقى بكنوك ويدور بيهما الحدث وسنممع إلى فلسفه كنوك الى نزعهم أن الأصحاء لسوا إلا مرضى غافلين حتى ساوره هو الآخر السك في أنه مريض، ولكن كنوك بعذر بكبره اعماله ومواعده عن فحص باربالد فوراً ويعده بإجراء هذا الفحص بعد الظهر. وهنا تنتهى المسرحيه، أى بعد أن أسعربا المؤلف بأن كنوك لم ينجح في إلزام جمع أهل القرية وصواحبها فراس المرض فحسب، بل ونجح في إيهام الدكتور باربالد نفسه بأنه مريض غافل عن مرضه.

وسخصية «كنوك» هى الى تعطى المسرحيه طابع الهزله.

فنحن نعلم منذ الفصل الأول ومن الحوار الذى يجرى بين كنوك والدكتور باربالد، أن كنوك لم يدرس الطب فى جامعه، ولم يحصل على مؤهل، وإنما زاول المهنة احتيالاََ وها هو الحوار السوى اللاذع الذى نعلم منه ذلك:

الدكتور : هذا كلام غير مفهوم.

كنوك : بالعكس هى مسأله فى غايه البساطه، ومنذ عشرين سنه مضت تخليب مضطراً عن دراسة الاداب واشتغلت بائعاً فى قسم «الكرفنان» فى متجر كبير بمرسيليا، ثم فعدت عملى وأخذت أسكع فى المساء وقرأت إعلاناً عن سفينه حمولتها ١٧٠٠ طن مسافره

إلى الهند بطلب مسرفاً صحياً، ولا تسترط أن يكون
حاصلاً على لقب دكتوراه، فماذا تفعل لو كنت
مكافئ؟

الدكتور : لا أفعل شيئاً بطبيعته الحال.

كنوك : أفهم هذا منك، فأنت لا تعنى مهنة الطب، أما أنا
فقد نهدمت، وإذا كنت أممت الموافف المريبه - فقد
أعلنتهم منذ دخولى فائلا: «أيها السادة كنت أستطيع
أن أزعم لكم أنني دكتور ولكنى فى الواقع لست
دكتوراً، بل أصرح لكم بما هو أدهى - إننى
لا أعرف فى أى موضوع سأكتب رسالى»، فكانت
إجابتهم أنهم لا ننمسكون بلقب دكتور، وأن موضوع
رسالى لا مهمهم فى سىء، فرددت على الفور: مع
الاعراف بأننى لست دكتوراً فإننى أود - لأسباب
ننعلق بالكرامه وحسن النظام - أن نطلق على فى
السفينة لقب دكتور»، فقالوا إن هذه المسألة طبيعیه،
ومع ذلك لبت مدى ربع ساعه أشرح لهم الحجج التى
زحرحتنى عن النمىك بالصدو والأمانه وحملتنى على
المطالبة بلقب لاحقاً لى فيه ولا یرضاه ضمیرى.
وهكذا أطلت الحديت حنى لم یرى أمامهم سوى نلاب
دقائق لللب فى محديد مرتبى.

الدكتور : ولكن أصحیح أنه لم یکن لدیك أى إمام بالطب؟

كنوك : افهمنى ! إننى كنت منذ طفولتى أقرأ بسغف فى الصحف كل إعلان عن علاج طبى أو دواء، وإذا اشترى أبواى عليه حبوب أو زجاجة دواء سائل، نزعَت الورقة الملفوفة عليها وقرأت سرحها لطريقة الاستعمال، فما بلغت التاسعة من عمرى حى كنت أحفظ عن ظهر قلب نصوصاً طويلة عن عوارص الإمساك، وأستطيع الآن أن أتلو عليك من الذاكرة نص خطاب بدیع أرسله الأرملة : م.ع. من مدينه بورج عام ١٨٩٧ إلى المعمل الأمريكى الذى ينتج دواء ضد الإمساك اسمه : «الأعشاب السحريه الأكيده المفعول». أريد؟!..

الدكتور : لا تتعب نفسك إنى أصدقك.
وإذن فكنوك لس طبيباً بل محتالاً، ابدأ سلسلة احتيالاته باللعب على لفظه دكتور لوهم أنه طبيب، وإن لم يحصل على درجه الدكتوراه. وهذا هو جانب الهزل فى المسرحية، ولكن أبيع لنا ذلك تسمية المسرحيه كلها فارس Farce ؟ ولبست المسأله مسألة اصطلاح أو خاتنة نضع فيها هذه المسرحيه أو تنقلها إلى خابه أخرى، بل مسألة فنيه هامة، لأن وصف مسرحه بأنها هزلية يخرجها من الأدب الرفيع إلى الأدب الرخيص. وللب في ذلك بوضوح أولاً مدلول لفظه هرله وبارخ فن الهزليات فى إيجاز. لقد اصطلاحنا فى لعب العرسه احدثه على برحه لقصه

كوميديا بلفظة ملهاة، وأما لفظه فارس Farce فنمترح ترجمتها بلفظة هزليه، مميّزاً لها عن الملهاة أى عن الكوميديا.

ولفظه فارس Farce، معناها الاستغافى فى اللغة الفرسية «الحشو» الذى يحشى به ورق العنب أو «الكوسه» مثلاً! وقد تطرقت هذه اللفظة إلى لغة المسرح منذ القرون الوسطى إذ أطلقت على مناهد هزليه كانت تعرض فى فترات الاستراحة بين كل فصل وآخر من فصول المسرحيات الدينية الى كانت منتسره فى القرون الوسطى، وسيئاً فسيئاً أخذت تلك المساهد الهزليه تستقل بذاتها لتكون فناً مسرحياً قائماً بنفسه، وبذلك نساب المسرحية الى تسمى الآن بالفارس، أى الهزليه، وهى مسرحيه لا هدف لها عر الإضحاك. وفى الغالب تعتمد فى ذلك على النكات اللفظية والحركات البهلوانية والمواقف غير المعقوله الخالية من كل دلالة. وفن الهزله كبيراً ما يصعب تمييزه فى تاريخ الأدب الدرامى عن أنواع أخرى من المسرحيات الفكاهيه الخفيفة، السطحيه الهدف، مثل ما عرف فى إيطاليا، وانتقل منها إلى البلاد الأوربيه الأخرى باسم الكوميديا الفيه، وهى كوميديا كان الممثلون يربجلونها؛ ومن أشهر هؤلاء الممثلين السيد «بنطلون» والسيد «سكاراموش»، ثم نوع آخر ازدهر فى أحد وديان فرنسا وعرف باسم هذا الوادى وهو فن «المودفيل».

والآن هل نعتبر مسرحية «كنوك» كوميديا نقد اجتماعى وأخلاقى؛ أى «ملهاة» أم نعتبرها هزليه لا تستهدف غير

الإضحاك بالوفائع والموافف غير المعقولة التى يضع معها كل هدف اجتماعى أو أخلاقى.

الوفائع أن هذه المسرحية الرائعة ننضمّن شخصيات وأحداثاً يبدو بعيدة عن واقع بلد محضر مما يهربها من الهزله، ولكننا نلاحظ من جهة أخرى أن ما يبدو عريباً فيها قد يكون مجرد تجسيم ومبالغه لوفائع يستحق القند والسخرية، وهى فوق كل ذلك تتضمن فلسفة نفسية واجتماعية لاسنك فيها، فمن الناحية النفسية، نحس فيها بتحليل دقيق لقدره الإنسان على إيهام غيره وإيهام نفسه، بل إن فكره كنوك الأساسية التى يسميها رسالته لنيل الدكتوراه، قد لا تخلو من صدق، وهى زعمه، بأن الأصحاء مرضى عافلون، فهذه حقيقة كبرى ما تشهد بها تجارب الحياة وإن يكن التعميم يفسدها، كما يمكن أن يفسد كافة الأحكام، والمسرحية فوق ذلك ننخللها الفلسفة الاجتماعية التى يلفها جيل رومان عن أساتذة علم الاجتماع فى السوربون كدور كام ولبى بريل وغيرهما، ففيها دراسة وتحليل لروح القطع عند الجماهر وكف يمكن استهواؤها بأيسر الطرق الاحتمالية وبخاصة بالمحاضرات المصورة التى ألقاها برنار معلم العربية عن الأمراض وأعراضها وعواقبها ومضاعفاتها، وكل ذلك فضلاً عن إظهار المؤلف لأخطار سهوة جمع المال على المجتمع عندما يتضافر الجسعون أمنال كنوك وصيدلى القرية على ابتزاز أموال الناس بإيهامهم أنهم مرضى، وإن يكن المؤلف قد بالغ فى سطوة هذا

الإلهام الذى أكرم أهل الناحية كلهم فراس المرض، وكأن حل رومان ينتقد الانحجار بالطب ويكاد يلعب الأنظار إلى ضروره تأميمه.

وأما من الناحية الفنية الخاصة، فالمسرحية محكمة البناء، وسخصياتها دفعه التصوير، وحوارها خفيف براو، بالرغم من عمق المعاني النفسه والاجتماعيه والأخلاقه الى تحملها، وفي كل هذا مايرفع المسرحيه إلى مستوى الأدب الجاد بحيث نستطيع أن نخلص إلى أننا سواء جارينا الأنجلوسكسوبيين فاعسربا هذه المسرحيه من نوع الهزليات الجيده، أو جارينا الفرسبيين فاعسربناها ملهاه من نوع الكومبديا النفسيه الاجتماعيه، فإننا على أية حال لا نستطيع أن ننكر النجاح الجماهيري الضخم الذى حازته منذ أن عرضت أول مره على كومبديا السانرلزيه سنه ١٩٢٣ وفام بإخراجها ونمسل دور كنوك فيها، الممثل والمخرج الفرنسى العالمى الصب: لويس حوفبه. ومنذ ذلك الباربخ احييت هذه المسرحيه مكاناً ثابتاً فى رصيد أى رسرئوار للكثير من المسارح العالميه فى كافة بلاد العالم.

محمد مندور

شخصيات المسرحية

حان	* كنوك
مدام بارباليد	* الدكتور بارباليد
مدام ريمى	* موسكيه
السيدة ذات اليا ب السود	* يرتار
السيدة ذات النياب	* منادى البلدة
البنفسجية	
الخادمة	* فتى قروى -الأول
صوت ماريت بين حسد	* فتى قروى -الثانى
من أهالى البلد	* سيببون

الفصل الأول

«بحرى حوادث هذا الفصل داخل أو حول سياره من طرار قديم جدًا يرجع لسه ١٩٠٠ - ١٩٠٢، هيكل صخيم (هى فى الأصل من طرار «فتون مردوح» وحولت فيما بعد إلى طراز يشبه «الطوريد» بفضل إضافه ألواح معدنيه عليها) مستلزمات السياره من النحاس كبيره الحجم ومقدمها حيث المحرك على شكل صدوق صغير؛ وتتحرك السياره من مكانها فى أثناء بعض مشاهد هذا الفصل ويكون التحرك من حوار محطه صغيره للسكه الحديد ثم تصعد بعد ذلك فى طريق جبل . »

المشهد الأول

كنوك - الدكتور بارباليد - مدام باربالد - جان

الدكتور بارباليد : أهذا متاعك بتمامه يا زميلى العزيز؟
كنوك : نعم هذا كل مانعى يا دكتور بارباليد.
الدكتور : سيضعه حان بجانيه، المقعد الخلفى يسعنا نحن
الثلاثة بسهولة، السياره فسيحه والكراسى
الصغيرة الإضافيه مريحه، ستان بن هذه
السياره والسيارات الحدينه القمبئه.

كنوك : [يلتفت إلى حان وهو يصع الصدوق] خذ بالك من هذا
الصندوق فقد وضعت فيه أجهزة سهلة
الكسر.

[يبدأ جان في تكوين متاع كنوك]
مدام بارباليد . هذه سيارة سأنحسر عليها طويلا إذا غلبتنا
الحمافه وبعناها.

[كنوك يتأمل السيارة دهشة]
الدكتور : لأنها في الحقيبة طوربيد ومع طراز الفيتون
المزدوج القديم.

كنوك : نعم.. نعم..
[يحتفى المعد الأمامي كله تحت أكوام المتاع]
الدكتور : انظر إلى متاعك كيف اتسع له المقعد وبقيت
لجان جلسته المطمئنة، بل ليتك جئت بمتاع
أكثر لتدرك أن هذه السيارة تعنى بكل
المطالب.

كنوك : هل بلدة سان موريس بعيدة؟
الدكتور : على بُعد أحد عشر كيلومتراً، ولا يخفى عليك
أن بعدها عن السكة الحديد هذا القدر نعمة
كبيرة لأنه يستبقى إخلاص المرضى لطبيهم
فلا يزوغون منه لالتماس العلاج في عاصمة
الإقليم.

كنوك : ليس بينها إذن وبين المحطة عربة نقل ؟
الدكتور : نعم هناك عربة نقل ولكنها في حالة يرسى لها،
بحيث يحب إليك المسى بدل الركوب.
مدام بارباليد : السيارة هنا لا غنى عنها.
الدكتور : بخاصة للأطباء.

[كنوك متمسك بمسلك مهدب متحفظ]

حان : (إلى الدكتور) هل أدير المحرك ؟
الدكتور : نعم يا بنى !

[جان يهكم فى معالجة السيارة يفتح عطاء المحرك، ويفك

الوحيات، ويصب النريى إلح إلح]

مدام بارباليد : [إلى كنوك] إن المناظر الطبيعىة على جانبى
الطريق جميلة، وقد سبق للكاتب زينايد
فلوريو أن وصفها فى قصه من أحسن قصصه،
فد نسيب اسمها، [ترك السيارة وتقول لروحها-]
ألا ترى أن يكون لك الكرسي الصغير
الأمامى وهكدا يجلس الدكتور كنوك إلى
جانبى لىتملى من المناظر الى نمر بها؟

[كنوك يجلس إلى يسار مدام بارباليد]

الدكتور : السيارة فسيحة بقدر كاف والمقعد الخلفى يتسع
لجلوس ثلاثة براحة، غير أنه يحسن للراكب
أن يملك حركته لىتمتع برؤيه المناظر من حوله

[يقترّب من حان] كل سيء على ما يرام ؟ هل
فرغت من صب البنزين ؟ وفي السلندين
الانين ؟ لعلك لم تسس أن تنظف اللوحبها
فليلا، فهذا أحوط بعد مسوار طوله أحد عشر
كلومتراً، ولف «الكاربورابر» بقطعه من
القماس أو بئنديل كبير فإنه خبر من هذه
الخرقة [يقول وهو يكر راحاً] بدبع ! بدبع ! يصعد
إلى السيارة [إنى أجلس على الكرسي الأمامى
الصغير الفسيح، ومع ذلك فهو بمنابه فوسل
رحب يفرد ويطوى.

مدام بارباليد : سظل الطريف سوالى صعوده حتى تبلغ سان
موريس، والذهاب إليها على الأقدام وبهذا
المتاع كله عذاب عظيم، أما بالسباره فهو معه
ساحرة.

الدكتور : كنت يا زميلي العزيز فى الأنام الخوالى أداعب
آلهه السعرا، ونظمت أنسودة من أربعة عشر
بيتاً تتغنى بجمال الطبيعة فى هذه الأرحاء الى
ستتكسف لنا، والمصيبة أننى نسينها :

وفيعان تنوه العين فيها
يرفرف فوفها علم الجمال

[جان يدير المانيقلا بجهد المسمي]

مدام باربالد : يا ألبرت لك منذ سنين إصرار على رواية هذا البيت وفيه كلمه «فيعان» بدلا من كلمه «أغوار» كما كان فى الأصل.

الدكتور : صحيح، صحيح، [يسمع صوت انفجار] الق سمعك يا زمبلى العزيز إلى المحرك لتتبين كيف أنه مطواع لا يحرن، فما احتاج إلا إلى لفه أو لفتين من المانيغلا حى «شفط» البنزين، ثم ها أنت تسمع صوب انفجاره مرة ومرة أخرى، هيا هيا، فإذا بنا نسير..
[حار يحتل مقعده وتتحرك السيارة وتتنازع المناظر شيئا فشيئا]

الدكتور : [بعد فترة صب] صدقنى يا خَلْفى العزيز ايدق على كتف كنوك]، نعم ففد صرت من هذه اللحظة خلفا لى، صدقنى حين أقول لك إنك أبرمب صفقة طيبة، نعم، فجميع مرضاى هم منذ هذه اللحظة زبائنك، حى ولو صادفنا ونحن نقطع الطريق مريض ولمحنى برغم أن السيارة تمرق أمامه بسرعه خاطفه وطلب إلى أن أعالجه فإننى سأتنحى وأقول له رافعا صوى: «أخطأت مفصذك يا سيدى، فهذا هو طبيب البلد [يشير سباته إلى كنوك] ولن أخرج عن

مخبئي [تتوالى امحارات المحرك] إلا تلبية لدعوة
أصولية منك للاستراك معك في كونسولتو
لتغليب رأى على رأى [امحارات أخرى من المحرك]
من حسن حظك أنك وقعت على رجل يبخل
عن عمله لا لشيء إلا للتلذذ لتحقيق نزوة
طاقت برأسه.

مدام بارباليد : لقد أقسم زوجي أن يختم حياته العملية في
مدينة كبيرة.

الدكتور : إنني أستهي أن أنحنى أودع الجمهور للمرة
الأخيرة من فوق مسرح كبير، وهذا مني
غرور فيه شيء من السخف. أليس كذلك؟
إنني أحلم بباريس، ولكن قد أقنع بليون.
مدام بارباليد : وذلك بدلا من أن يجمع له هنا نروه مضمونة في
طمأنينه وهدوء.

[كنوك يتأملها تارة، ويستغرق في أفكاره تارة، ويلقي نظرة
إلى المشاهد من حوله تارة أخرى]

الدكتور : لا تسرف في السخرية مني يا زميلي العزيز،
فإنما بفضل هذه النزوة التي طاف برأسى قد
أتيح لك أن ترث عيادتي لقاء تعويض زهيد.
كنوك : أهذا حكمك؟

الدكتور : إنها الحقيقة السافرة.

كنوك

: على كل حال فأنا لم أساومك قط.

الدكتور

: حقاً لقد أحببت فيك برفعك عن اللجاجة،
وأعجبني منك جداً أنك بدأت المفاوضة
بالمراسلة أولاً حتى إذا تم الاتفاق على جميع
التفاصيل جئت بنفسك، وهكذا أبرمت
الصفقة، كما بدا لي، على طريقة كرام الناس،
أو قل على الطريقة الأمريكية. حقاً أهنتك
على هذه النعمة التي هبطت عليك، فالعيادة لها
دخل ثابت لا يتعرض لأزمات مفاجئة.

مدام بارباليد

: وليس بجانبك منافس آخر لك.

الدكتور

: والصيدلى الوحيد لا يجاوز قط حدود مهنته..

مدام بارباليد

: وليس هنا شئ يغريك بإنفاق النفود.

الدكتور

: لن نجد وسيلة هو واحد تستنزف جيبيك.

مدام بارباليد

: فى ستة أسهر تكون قد اقتصدت ضعف
ما أنت مدين به لزوجى.

الدكتور

: وسأرضى أن تدفع هذا الدين على أربعة
أفساط فى السنة. آه! لولا الروماتيزم الذى
تعانى منه زوجنى لهممت أن أعدل عن الصفقة.

كنوك

: مدام بارباليد مصابة بالروماتيزم؟

مدام بارباليد

: نعم، مع الأسف.

- الدكتور : الجو هنا جو صحى جداً بصفة عامه، ولكنه لا يلائم زوجى بصفة خاصة.
- كنوك : هل فى البلد كبير من المصابين بالروماتيزم؟
- الدكتور : لك أن تقول إنه المرض الشائع عندنا.
- كنوك : هذا أمر فى نظرى يثير غاية الاهتمام.
- الدكتور : نعم عند من يريد التخصص فى دراسة الروماتيزم.
- كنوك : [هدوء] كنت أفكر فى الزبائن.
- الدكتور : حاسا وكلا، فكما أنت لا بخطر ببالك أن تستدر المطر بقرع أجراس الكنائس، فكذلك أهل البلد هنا، هيهات لهم أن يخطر ببالهم طلب الشفاء من الروماتيزم بالذهاب إلى الطبيب!
- كنوك : ولكن هذا شىء يؤسف له.
- مدام بارباليد : انظر يا دكتور! هذا المنظر أمامك كم هو بديع.. كأننا فى سويسرا.
- [انفجارات متعالية من المحرك]
- جان : [يهمس فى أذن الدكتور بارباليد] يا دكتور! المحرك «عطلان» يلزمنى أن أفك ماسورة البنزين.
- الدكتور : [لجان] طيب.. طيب.. [للآخرين] كنت بالفعل أريد أن أقترح عليكم التريث هنا لحظة.
- مدام بارباليد : ولماذا؟

الدكتور : [يصوب لها نظرات ذات معنى] هذا المنظر الجميل..

ألا.. ألا يستحق أن نقف عنده؟

مدام بارباليد : إذا كنت تريد التريث فالمنظر المرتفع أكثر

جمالاً.. [السيارة تقف ومدام بارباليد تدرك حقيقة الأمر]

الدكتور : لا ضير أن نتريث هناك أيضًا قليلاً نتريث، ولم

لا؟ نتريث مرتين، وثلاث مرات، بل أربع

مرات كما نحب ونهوى. من حسن الحظ لسنا

في سباق [موجهًا الكلام لكنوك] هل انتهت

يا زميلي العزيز إلى هذه السيارة كيف وقفت

بتؤدة وانصياع، فزمام سرعتها وأنت تفودها

يظل دائماً في يدك، وهذه مسألة هامة جداً في

الطرق الجبلية [يستطرد وهم ينزلون من السيارة]

ستنضم يا زميلي العزيز في وقت أسرع مما تظن

إلى صفوف أنصار السفر بالسيارات، ولكن

حذار من سارات اليوم الرديئة إنها حطام

مصنوع من الصفيح لا من الصلب.

كنوك : إن لم بنحدي مرض الروماتزم فقد يسعفني

بدلاً منهم مرضى الالتهاب الرئوي ومرض

النزلات السعبية.

الدكتور : [إلى جان] اغتنم عزمنا على الوهوف ونظف

ماسورة البنزين [إلى كنوك] ماذا تقول؟

التهابات رئوية ونزلات شعبية؟ هذه أمراض تادرة عندنا، فالجور هنا قاس كما تعلم، إذا ولد الطفل ضعيفاً هزيراً مات قبل أن يبلغ السهر السادس من عمره، ولا يعرض على الطبيب. بطبيعة الحال، أما إذا جاوز الأطفال منطقة الخطر شبوا فتية صحتهم كالحديد. بميت أمراض القلب والسل، ولكن المصابين بهذه الأمراض يعيشون في غفلة عنها لا يستيفظون قط للخطر الجاسم عليهم، فإذا ما بلغوا الخمسين من العمر تخطفهم الموت في لمح البصر.

كنوك | : لا تقل لى إن جيبك امتلأ من معالجة أموات فارقوا الحياة بغته؟

الدكتور : كلا بطبيعة الحال [يبحث فى سره عن نقيه كلامه] فلا تزال هناك أولاً حالات الأنفلونزا، لا أقصد حالات الأنفلونزا العادية التى لا يأبه لها المرضى بحال من الأحوال، بل لعلهم يرحبون بها لأنها تعينهم فيما يزعمون على طرد سموم الجسد كلا، إنما أعنى الأنفلونزا حيث تنفشى كوباء فى العالم كله. : ينبغى إذن أن أنتظر الدورة القادمة للأنفلونزا كنوك

الدكتور : العالميه! هل أمل إبليس في الجنه!
: لا عليك! فهذا الذى يحدثك قد عاصر منها
وباءين، الأول فى شتاء ١٨٨٩ - ١٨٩٠
والثانى ١٩١٨.

مدام بارباليد : فى سنة ١٩١٨ كان عدد الموتى هنا يزيد نسبياً
على عدد الموتى فى المدن الكبيرة [الروحها]
أليس كذلك؟ لقد قمت بنفسك بمقارنه
الإحصائيات.

الدكتور : نعم، كانت نسبة الوفيات عندنا تفوق كثيراً
نسبة الوفيات فى بلاب وسمانين مفاطعة.

كنوك : وهل لجئوا إلى الطبيب؟
الدكتور : نعم وبخاصه فى نهاية الوباء.
مدام بارباليد : وزاد دخلنا عند حلول عيد القديس ميسيل
عند موسم حصاد القمح.
[يرحف چان تحت العربيه]

كنوك : ماذا تعنين؟
مدام بارباليد : الزبائن هنا لا يدفعون أجر الطبيب إلا فى
هذا العيد بعد أن يبيعوا القمح.
كنوك : ما معنى هذا الكلام؟ أهو التفويم اليونانى أم
التفويم الخيالى؟

الدكتور : [وهو يتتبع شطره منه بين الحين والحين عمل جان محب
السياره] لم هذه الهواجس يا زميلي العزيز؟ إن
عيد القديس ميشيل هو يوم مرموق بين أيام
السنة وموعده آخر سبتمبر.

كنوك : [يعدل لهجته] ونحن الآن في أوائل أكتوبر!
يا للدهاية!.. أما أنت فقد أحسنت على الأقل
اختيار الوقت الذي تبيع فيه عيادتك [عسى يصع
خطوات وهو يفكر] ولكن لنفرض أن جاءك زبون
لتسكف عليه، أفلا يدفع لك أجرك من فوره
قبل انتهاء الزيارة؟

الدكتور : كلا، إنه يدفعه في عيد القديس ميسيل هذه هي
العادة.

كنوك : حتى ولو جاءك لزيارة واحدة عارضه بحبت
لن تراه بقيه العام؟

الدكتور : في عيد القديس ميسيل.
[كنوك يتأملها وهو صام]

مدام بارباليد : على كل حال فإن الناس هنا في أغلب الأمر
لا يفصدون الطبيب إلا مرة واحدة.

كنوك : ماذا؟

مدام بارباليد : نعم.. هذا هو الواقع.

[الدكتور بارباليد تصنع شرود الدهن]

- كنوك : وماذا تفعل مع المرضى المواظبين؟
- مدام بارباليد : أى مرضى مواظبين؟
- كنوك : الذين يواظبون على التردد على الطبيب عدة مرات فى الأسبوع أو عدة مرات فى الشهر..
- مدام بارباليد : [إلى زوجها] أسمع ما يقوله الدكتور؟ يتحدث عن زبائن مثل زبائن القصاب أو الخباز.. إنه سأن كل طبيب جديد فى الكار بخدعه الأوهام..
- الدكتور : [يصع يده على ذراع كنوك] صدقنى يا زميلى العزيز، إن المرضى هنا هم أحسن صنف من الزبائن.. أعنى الصنف الذى لا يجور على استغلالك.
- كنوك : استغلالى؟ أغزح؟
- الدكتور : دعنى أوضح الأمر، أريد أن أقول إنك لن تقع تحت رحمة نفر من المرضى قد يتم سفاؤهم بن يوم وآخر فإذا خسرهم أفلس، أما إذا اعتمدت على الجميع فكأنك لا تعتمد على أحد.. أفهمت؟
- كنوك : بمعنى آخر لم ينبى لى إلا أن أصطاد السمك وكان ينبغى أن أحضر معى «سنار»، وكميه لا بأس بها من الديدان، ولكن ربما أجد كل هذا فى بلدكم [يسر بصع خطواب وهو يفكر، يقترب

من السيارة الرنه ويتأملها، ثم يلتفت التفتاته عبر كامله [بدأت المسألة تتبين بجلاء سديده، يا زميلي العزيز.. إنك، لقاء آلاف من الفرنكات معدوده هي باقبة في ذمى دينا لك على، قد تنازلت لى عن عيادة زبائنها يسبهون ساربك هذه نعام السبه [يربث على السيارة نحنو] إذا قدرت قيمة هذه السيارة بنسعة عسر فرنكا فإنها لن تكون غاليه، وإذا قدرتها بخمسة وعشرين فرنكا فإنها تباع بأكثر من دمنها [يتأملها نظره هواه السيارات] وإذا كنت أحب أن أظل سمحا في معاملانى فى أعرض عليك نلابن فرنكا ممنا لها.

الدكتور : بلاين فرنكا هذه السيارة ؟ إننى لا أفرط فيها ولو بسته آلاف.

كنوك : [وقد طهرت عليه دلائل الأسف] كنت أتوقع ذلك، [يتأمل السيارة الرنه من حديد] إذن لن أستطيع شراء سيارتك.

الدكتور : سأبيعهها، ولكن على لأفل لو أنت عرضت على ممنا معفولا..

كنوك : يا للأسف ! كنت أريد أن أحولها إلى صندوق [يعود] أما فيما يتعلق بعادتك فإننى أتنازل عنها

دون ندم عليها إن كاس الصفقة لم تتم بعد.
الدكتور : اسمح لى أن أقول لك يا زميلى العزيز إنك
ضحية أوهام كاذبه.

كنوك : بل الأقرب إلى عطفى أننى ضحيتك أنت،
وليس من عادى التأوه والتفجع، وإذا ضحك
علىّ إنسان فلا ألومن إلا نفسى.

مدام بارباليد : ضحك عليك.. دافع عن كرامتك يا صديقى..
دافع!

الدكتور : كل ما أوده أن أجنب الدكتور كنوك
الاسترسال فى الأوهام.

كنوك : أما أفساط الدين فعيبها أنها تدفع كل نلاه
سهور فى بلد كل مريض فيه ربون سنوى،
ينبغى لى أن أجد مخرجاً، على كل حال
لا داعى لانزعاجكم، فإننى أكره أن أكون
مدينًا، وألم الدين أفل على العموم من ألم
اللمباحو أو ألم «خراج» فى الإلية..

مدام بارباليد : ماذا؟ إذن أنت لا تريد أن تدفع لنا الأفساط
فى مواعيدها المتفق عليها؟

كنوك : إننى متلهف على سداد الدين يا مدام... ولكن
لا سلطان لى على التفويم، ولا أستطيع أن
أرحزح عيد المديس جوزيف عن مواعده.

- مدام بارباليد : الهديس مينسيل..
- كنوك : الهديس مينسيل..
- الدكتور : ألبس عندك مال مدخر؟
- كنوك : ولا سنتيم، فياني أرتزق من عملي أو على الأصح أتلهف على أن أرتزق منه، وإني أكره هذا الطابع الأسطوري في زبائن العيادة التي أفلحتم في بيعها إليّ، خصوصاً وكنب أريد أن أعاملهم بوسائل حديثة جداً [تفكر بعد لحظة وكأنيما يحاطب نفسه] في الواقع أن المسكلة واحدة وإن استبدلت وجهاً بوجه.
- الدكتور : إذن أنت يا زميلي العزيز ترتكب حماقة مزدوجة حين تسارع إلى اليأس قبل الأوان، وهذا شأن كل مستجد في المهنة لم يتزود بعد بالنجارب، لا ريب أن مهنة الطب حفل خصب، ولكن خيراته لا تنبت عفواً ومن تلقاء ذاتها، إنها أحلام سبابك التي رسمت لك الصورة بألوان زاهية نوعاً ما.
- كنوك : يا زميلي العزيز كلامك هذا محسو بالأخطاء، فأولا أنا أبلغ من العمر أربعين عاماً، فإن كانت لي أحلام فهي ليست أحلام السباب.
- الدكتور : ليكن، ولكنك لم تمارس مهنة الطب فقط.

- كنوك : وهذا خطأ آخر :
- الدكتور : ماذا؟ ألم تفل لي إنك لم تتخرج من كليه الطب إلا في الصيف الماضي؟
- كنوك : نعم وقدمت رسالة من انتنن وبلاين صفحه فولسكاب عنوانها: «علامات تمام الصحة» فناع كاذب مخادع»، ووضعت تحت العنوان كلمة مأثورة أسندنها إلى كلود برنار هي «الأصحاء هم مرضى غافلون».
- الدكتور : إذن فنحن متفهمان يا زميلي العزيز..
- كنوك : على أن رسالتى أصابت كبد الحقيقه.
- الدكتور : لا.. على أنك لا تزال في أول السلم.
- كنوك : عفواً إن سهادنى حدينه ولكن لى خبره بمهنه الطب ترجع إلى عشرين سنه مض.
- الدكتور : ماذا؟ هل كنت معاون صحنه؟ هذه الوظيفه فد ألغيت منذ زمن طويل..
- كنوك : كلا بل منسباً للكلية.. حاملا لسهادة البكالوريا..
- مدام باربالد : لم توجد قط بكالوريا في الطب..
- كنوك : بكالوريا في الآداب يا سيدى..
- الدكتور : كنت ممارس مهنه الطب إذن بدون سهاده وفي الخفاء؟

كنوك

: كلا بل نهراً جهاراً، لا في بلد في أفاصى
الربف بعيد عن العمران، بل في منطقته
مساحتها سبعة آلاف كيلومتر تقريباً..

الدكتور

: هذا كلام غير مفهوم.

كنوك

: بالعكس هى مسألة فى غاية البساطة، فمنذ
عشرين سنة مضت تخليت مضطراً عن دراسة
الآداب واشتغلت بائعاً فى قسم «الكراقات»
فى متجر كبير بمرسيليا، ثم فعدت عملى
وأخذت أتسكع فى المناء، وقرأت إعلناً عن
سمنه حمولتها ١٧٠٠ طن مسافرة إلى الهند
تطلب مسرفاً صحياً ولا تشتترط أن يكون
حاصلاً على لقب دكتور، فماذا تفعل لو كنت
مكافى؟

الدكتور

: لا أفعل شيئاً بطبيعة الحال..

كنوك

: أفهم هذا منك فأنت لا تعسقى مهنة الطب،
أما أنا فقد تقدمت، وإذ كنت أمفت الموافف
المريية فقد أعلنهم منذ دخولى فائلا: «أياها
السادة! كنت أستطيع أن أزعم لكم أنى
دكتور، ولكنى فى الواقع لست دكتوراً، بل
أصرح لكم بما هو أدهى، إننى لا أعرف فى أى
موضوع سأكتب رسالتى». فكانت إجابهم

أنهم لا يتمسكون بلفب دكتور، وأن موضوع رسالتي لا يهمهم في شيء، فرددت على الفور: «مع الاعتراف بأنني لست دكتوراً، إلا أنني أود لأسباب تتعلق بالكرامة وحسن النظام أن يطلق على في السفينه لغب دكتور». فقالوا إن هذه مسأله طبيعيله، ومع ذلك لبست مدى ربع ساعة أسرح لهم الحجب التي زحزحتني عن التمسك بالصدق والأمانة وحملتني على المطالبة بلفب لا حق لي فيه ولا ير ضاه صمبر، وهكذا أطلت الحديد حتى لم يبق أمامهم سوى ثلاث دقائق للبت في تحديد مرتبي.. : ولكن أصبح أنه لم يكن لديك أي إلمام بالطب؟

الدكتور

: افهمني ! إنني كنت منذ طفولتي أقرأ بسفغ في الصحف كل إعلان عن علاج طبي أو دواء، وإذا استري أبواي عليه حبوب أو زجاجة دواء سائل، نزعنا الورقة الملفوفة عليها وقرأنا سرحها لطريقة الاستعمال، فما بلغ التاسعة من عمري حتى كنت أحفظ عن ظهر قلب نصوصاً طويلة عن عوارض الإمساك، وأستطيع الآن أن أتلو عليك من الذاكره نص

كنوك

خطاب بديع أرسلته الأرملة م.ع. من مدينه
بورج عام ١٨٩٧ إلى المعمل الأمريكى الذى
ينتج دواء ضد الإمساك اسمه «الأعصاب
السحرية الأكيدة المفعول». أتريد؟

الدكتور

كنوك

: لا تتعب نفسك إننى أصدقك..
: كان لهذه النصوص الفضل فى أنها جعلتنى منذ
سن مبكرة آلف لغة الطب، ولكن فضلها
الأكبر أنها كسفت لى من الطب عن حقبة
معناه وحقيقة أهدافه، هذه الحقائق التى يخفيها
تعليم الطب فى الجامعة نحت زخرف من
المصطلحات العلمية الجوفاء، وأستطيع أن
أقول لك إننى حين بلغت الثانية عشرة كنت
قد مت لى فطنة صادقة بالطب هى التى تعتمد
عليها اليوم طريقتى فى العلاج..

الدكتور

كنوك

: لك طريقتك فى العلاج؟ يسوقنى أن أعرفها..
: إننى لا أفوم بدعاية، إذ النتائج وحدها هى
التي تتكلم، وها أنت ذا اليوم تبين عيادة هى
باعتراك أنت، صفر فى صفر.

الدكتور

كنوك

: عفواً. صفر فى صفر؟
: عد بعد سنة فسترى ماذا سأكون قد فعلت
بها، سيكون أمامك البرهان القاطع،

وإذ يجعلني أنت أبدأ من الصفر فإنك
بضاعف عندى متعة التجربة.

حان : سيدى.. سيدى ! [يتحه إليه الدكتور بارباليد] أظن
أنه بحسن أيضاً أن أفك «الكاربوراتير»..
الدكتور : أسرع.. أسرع [يعود] لما رأيت حدينا فد
طالب، طلبت إلى السائق أن يباشر الآن تنظيف
«الكاربوراتير» كما يفعل مرة كل شهر.

مدام بارباليد : ولكن كيف سترى وجهك فى هذه السفينة؟
كنوك : قضيت الليلتين السابقتين لإبحارى وأنا أفكر
وأندبر، ثم أتاحت لى الخدمة ستة أسهر فى
السفينة أن أتتحقق من صحة فهمى لمهنة الطب
ووجدت أن ما أفعله مطابق لما يحدث فى
المستشفيات.

مدام بارباليد : أكان عليك أن تعنى بأناس كبيرين؟
كنوك : طاقم السفينة وسبعة من الركاب كلهم رفيقو
الحال، فى مجموعهم خمسة وثلانون نفراً.

مدام بارباليد : عدد لا يستهان به.
الدكتور : وهل حدثت وقبات؟
كنوك : ولا مرة واحدة، فالوفاة ضد مبادئى، فأنا من
أنصار تفليل الوفيات.

الدكتور : هذا سأنا جميعاً..!

كنوك : أنت أيضاً؟ ما كنت أظن ذلك، اعتمادي أن
واجبنا في كلمتين أن نعمل على استبعاد
المريض وألا يصرفنا عن ذلك أى إغراء.

مدام بارباليد : في فول الدكتور نصيب من الحق.
الدكتور : والمرضى؟ هل كان هناك مرضى كثيرون؟
كنوك : خمسة وبلانون
الدكتور : يعنى كل فرد في السفينة؟
كتوك : نعم كلهم جمعاً.
مدام بارباليد : وكيف كانت تسير السفينة إذن؟
كنوك : كان العمل بالتناوب.

[لحظه صبا]

الدكتور : اصدقنى الآن.. أحقاً أنت يا دكتور؟ فإنهم
لا يسمحون هنا بمزاولة الطب إلا لمن نال
الشهادة وستجر علينا المتاعب، فإذا لم تكن
حقاً دكتوراً فمن الخسر أن تصارحننا بذلك
فوراً..

كنوك : أنا حقاً دكتور فعلاً وفانوناً، إذ أننى حين رأيت
أن نجربتى قد أيدت طريقتى في الطب لم يصبح
لى من تلهف إلا على أن أرسى هذه الطريقه
على دعائم نابتة وفي نطاق واسع، ولم أجهل أن

الحصول على السهاده إجراء سكلى لا مفر منه.

مدام بارباليد : ولكنك قلت لنا إنك حديث عهد بدراسه الطب..

كنوك : لم أستطع أن أنتظم فى دراسة الطب فى ذلك العهد الذى يحدث عنه، فقد اضطررت من أجل كسب العيس أن أستغل بعض الوقت بتجارة الفول..

مدام بارباليد : ما هذا؟

كنوك : الفول السودانى.. [تدو من مدام بارباليد حركة]، كلا يا سيدتى.. اطمئنى.. لم أكن بائعاً يجول بسله فى يده، لقد أسست مكتباً رئيسياً، يقصده باعة الفول السودانى لسراء حاجتهم، ولو نفيت فيه عسر سنوات لكنت أصبحت مليونيراً، ولكننى لم أجد فى هذا العمل أفل متعة، وكل مهنة فى الأعم إن طال بها العهد تبعث على الملل، وقد تبينت هذا بنفسى، أما المهنة الوحيدة التى لا تبعث الملل حقاً هى الطب أو ربما السياسة أو البورصة، ولم أجرب هذه المهنة بعد..

مدام بارباليد : وفى نيتك أن تطبق طريفتك هنا؟

كنوك : إذا لم تكن هذه نبي لأُطلق سافى للريح
وهرس، وهيها لك أن تلحمى بي، كتب
أفضل بطبعه الحال أن أطبق طريفنى فى مدينة
كبيره..

مدام باربالد : [لروحها] ها أنت ذا راحل إلى مدنه ليون
فلماذا لا تلمس بعض الإرسادات من
الدكتور، فإنك لن نغم سيئاً..

الدكتور : ولكن يبدو أن الدكتور كنوك لا يريد أن
يفضى بطريفته..

كنوك : [إلى الدكتور باربالد بعد مره من التفكير] أحب أن
أخدمك، وها أنذا أقدم إليك الاقتراح السالى :
بدلاً من أن أدفع لك دينى نفداً فى يوم علمه
عند الله، فإنى أدفعه لك عيناً، بأن أبضك معى
نمانيه أيام أدربك فيها على طريفنى..

الدكتور : [ممتصاً] أنت غزح يا صديقى العزيز، لعلك أنت
الذى سكتب لى بعد نمانيه أيام نسألنى
المشورة والنصح.

كنوك : لا داعى لهذا التأجيل ففى حسابى أن أفتبس
منك اليوم بعض إرسادات نكون لى نافعة
جداً.

الدكتور : أنا نحت أمرك يا زملى العزيز.

- كنوك : هل فى مدينتكم قارع طيل ؟
- الدكتور : معنى «المنادى العمومى» الذى يدق الطبل ويبلغ الناس ما عنده ؟
- كنوك : هو بعينه..
- الدكتور : نعم لدينا هذا المنادى العمومى تكلفه البلدية بأن يذيع تعليماتها ولا يلجأ إليه من الأفراد إلا رجل ضاع منه كبس نفوده، أو صاحب متجر يصفى بضاعته القديمة من فخار-أو صنى.
- كنوك : فهمت ا وكم يبلغ عدد سكان سان موريس ؟
- الدكتور : ثلاثة آلاف وخمسمائة على ما أظن، أما إذا ضمنت إلى البلدة ضواحيها فالعدد ستة آلاف تقريباً..
- كنوك : وعدد سكان المركز كله ؟
- الدكتور : ضعف هذا العدد على الأقل..
- كنوك : وهل السكان فقراء ؟
- مدام بارباليد : لا بالعكس هم من ميسورى الحال بل من الأغنياء، فهناك ضياع واسعة، وكير من الناس يعيشون على موارد أملاكهم.
- الدكتور : وكلهم على درجة فظيعة من السح والنصير..
- كنوك : وهناك مصانع ؟

- الدكتور : عدد قليل جداً..
- كنوك : والحركة التجارية؟
- مدام بارباليد : ليست الدكاكين هي التي تنقصنا..
- كنوك : وأصحابها.. هل تجارهم هي شغلهم الساعل؟
- الدكتور : كلا فإن أغلبهم يستغل بالتجارة لزيادة دخلهم أو على الأخص لخلق وسيلة يسغلون بها أوفات فراغهم.
- مدام بارباليد : والعادة أن الزوجة يحرس الدكان على حين يخرج الزوج يتسكع باحثاً عن تسلية..
- الدكتور : أو العكس.
- مدام بارباليد : أعترف بأن الزوج في الغالب هو الذي يهجر الدكان، ذلك أولاً لأن النساء لا يعرفن أين يذهبن، على حين أن الرجال أمامهم أن يذهبوا إلى الصيد بالبندقية أو صيد السمك، وفي الشتاء يذهبون إلى المقهى.
- كنوك : وهل النساء متمسكات بالتفوى؟
- الدكتور : [بارباليد يأخذ في الضحك] هذا سؤال له أهميته عندى.
- مدام بارباليد : كيرات منهن يذهبن للصلاة في الكنيسة
- كنوك : وهل للدين دور كبير في مشاغلهن اليومية؟
- مدام بارباليد : ياله من سؤال عجيب!

- كنوك : بديع جداً [يفكر] أليس هناك رذائل جسيمة؟
- الدكتور : ماذا تعنى؟
- كنوك : أفيون.. كوكايين.. ندوات سمر وعربدة، سذوذ جنسى.. تعصب سياسى..
- الدكتور : إنك مخطط بين أسياء مباينه، إننى لم أسمع قط عن أفيون ولا ندوات سمر وعربدة، أما الساسه فهى تسغل أهل البلد كغيرهم من الناس.
- كنوك : ولكن هل فيهم من يهرى جلد أبويه لتغليب رأيه فى قانون الانتخاب مثلاً أو قانون ضريبية الإيراد؟
- الدكتور : لم يصلوا إلى هذا الحد والحمد لله.
- كنوك : والخيانة الزوجيه؟
- الدكتور : أفندم؟
- كنوك : هل تتفسى عندكم فوق الحد؟ وهل يسغل أمرها الناس شغلاً سديداً؟
- الدكتور : أسئلتك عجيبه، فبلدنا مثل أى بلد آخر فيه رجال نخونهم زوجانهم، ولكن عددهم معقول.
- مدام بارباليد : أولاً إن الخيانة الزوجية غير مسوره إذ أن الناس يتفانون فى مرافبه بعضهم.
- كنوك : أليس لديكما معلومات أخرى عن المذاهب

الدينية؟ عن الخرافات؟ عن الجمعيات
السرية؟

مدام بارباليد : بعض نساء بلدتنا الفارغات استغلن في وقت
من الأوقات بتحضر الأرواح.

كنوك : آه.. آه..

مدام بارباليد : يجتمعن عند زوجة الموق وتتكلم الروح
بحركة من المنضدة.

كنوك : مصيبة.. هذا سيء كرية.

مدام بارباليد : ولكنهن فما أظن قد أفعلن عن عادتهن
كنوك : آه أحسن.. وهل يوجد كذلك مسغلون

بالسحر أو بالعلاج الروحاني؟ مثلاً فلاح
تفوح منه رائحة الأغنام يزعم أنه يشفى
الناس بالرفى والتعاويد؟

[چان يشاهد بن الحس والآخ وهو يدير المانملا حتى تنهر
أنفاسه ثم يحفف عرقه]

الدكنور : ربما كان هذا موجوداً فيها مضى أما اليوم فلا..

كنوك : [تتحلى عليه مظاهر التحفز ويحك كها بكف وهو يمشى]

خلاصه القول أنه قد آن للعصر الطبى أن
بسرق [يفترب من السياره] يا زميلى العزيز أمن
الفسوة على هذه السيارة أن سألها بذل مجهود

جديد؟ إننى متلهف على بدء إقامى فى سان
موريس.

مدام باربالد : يا لها من لهفه مفاجئه!
كنوك : من فضلكم! فلنصل إلى بلدتكم المتربعة فوق
قمة الطريق.

الدكتور : أى عامل قوى أصبح بجذبك إليها إذن؟
[كنوك يتمشى حيثة ودهاناً فى صمت]

كنوك : يا زملى العزيز.. بخيل إلى أنك قد فوت عليك
فى تلك البلدة فرصة بديعة، وإن اقتبس
أسلوبك أقول: إنك حصدت السوك بعرو
الجبين بدلاً من الممار الطيبه، كان ينبغى لك
أن ترحل وأنت غارو فى الذهب ومتربع على
أكداس من الأوراق المالة، وأنت يا سيدى
تحلبن بعقد من اللؤلؤ من بلانه فروع،
وكلا كما فى سياره فخمه [يشير إلى السياره الرية]
لا فى هذا التأثر التاريخى لأول حبو للنبوغ
العصرى.

مدام بارباليد : أتمزح يا دكتور؟
كنوك : لو كان مزاحاً لكان فاسياً يا سيدنى.
مدام بارباليد : إذن فهذا كلام فظيع.. هل سمعت يا ألبر
فوله؟

الدكتور : أدركت أن الدكتور كنوك رجل بجري وراء
السراب وأنه فوق ذلك هوائي لا يفر له
قرار.. تتلاعب به الأحاسيس متباينه في غايه
الغلو، فهو يرى تارة أن العياده لا تساوى
ولا صولدى، وتارة أنها من الذهب [يرفع كتفيه
إلى أعلى].

مدام بارباليد : وأنت أيضاً، إنك مستبد برأيك، ألم أقل لك
أكثر من مرة أنك لو عرفت كيف تعالج
الأمر لكنت لنا في سان موريس حباه أفضل
من التي عسناها.

الدكتور : طب.. طب.. إننى سأعود بعد ثلاثة أسهر
عند حلول المسط الأول من الدين، وسترى
ماذا يكون حال الدكتور كنوك..

كنوك : وهو كذلك.. ارجعوا بعد ثلاثة أسهر، وسنجد
حينئذ فسحة من الوقت نتبادل فيها الحديث،
أما الآن فيأني أناشدكم أن نرحل فوراً.

الدكتور : [إلى جان بتهيب] هل أنت مستعد؟
حان : [بصوت حامت] أما عن نفسى فأنا مستعد ولكنى
لا أظن أننا سنفلح هذه المرة بمجهودنا وحده
أن نحرك السيارة.

الدكتور : [نفس اللههه] وكيف؟

حان : [يهر رأسه] يلزمنا رجال أسد قوة منا.
الدكتور : وما فولك لو حاولنا دفعها؟
حان : [وهو غير واثق] ربما.
الدكتور : أنا واثق أننا نستطيع، فأمامنا عسرون متراً في
طريق متبسط، وسأتولى عجله الفياحه، وتفوم
أنت بدفع السيارة.
حان : فليكن.
الدكتور : نم تعمد إلى الففز إلى سلم السيارة في اللحظة
المناسبه.. فهمت؟.. [يعود الدكتور للآخرين] إذن
هيا اركب يا زمبلى العزيز، سأتولى، أنا فياحه
السيارة إذ أن جان - لأنه عملاف - يريد من
فبيل اللهو والتسلية أن تطلع بنا السيارة بغر
عون من «المانفيل» طلعه ممكن أن نسميها
«أوتوماتيكيه» مع أن فوه العضلات تفوم
بعمل السراره الكهربائيه، وكلا الفوتين في
الحق من نوع واحد تهريباً..
[جان يميل على مؤخره السيارة يدفعها]

الفصل الثاني

[في المسكن الذى كان يقيم فيه الدكتور ناربالد من قبل، وقد أنهد الدكتور كنوك ترتيب مؤلف منصدة مقاعد. دولاب كتب سير لويج سوره . حوض للغسيل.. وعلى الحدران رسومات علم التشريح]

المشهد الأول

كنوك - المنادى العمومى

كنوك : [وهو حالس بحيل نظره فى الحجره ثم يكتب] أنت المنادى العمومى؟
المنادى : [وهو واقف] نعم يا سيدى..
كنوك : نادنى بلفب دكتور.. وتكون إجابتك: نعم يا دكتور أو لا يا دكتور..
المنادى : حاضر يا دكتور..
كنوك : وحين تتاح لك فرصة التحدث عنى مع الناس فلا يفوتك أبداً أن تكون عبارتك هكذا: الدكتور قال.. الدكتور فعل.. هذه مسأله

- تهمنى، وبأى عبارة كنتم تتحدون عن الدكتور
بارباليد إذا جاءت سيرته؟
- المنادى : كنا نقول: رجل طيب، ولكنه ليس حجة فى
الطب..
- كنوك : ليس هذا ما سألتك عنه، هل كنتم تقولون:
الدكتور؟
- المنادى : كلا.. كنا نقول مسيو بارباليد أو «أبو
كسوره»!
- كنوك : وما معنى «أبو كسوره»؟
- المنادى : هذا وصف اشتهر به بين الناس ولكن لم أفهم
قط سببه.
- كنوك : وهل كان رأيكم فيه أنه ليس على درجة كبيرة
من البراعة فى مهنته؟
- المنادى : أما عن نفسى فاعتفادى أنه كان على درجة
لا بأس بها من البراعة، وبقية الناس
لا يعترفون.. بذلك.
- كنوك : عجيبة!
- المنادى : وكان إذا قصده إنسان لم يجد..
- كنوك : لم يجد ماذا؟
- المنادى : يجد عليه، ففى تسعين فى المائة من الحالات
يصرف المريض بقوله: «عارض تافه»

وستكون يا صديقى من غد فى أتم صحة
وعافية..

: حقا؟

كنوك

المنادى

: أو لا يلقى باله إلى حديث زائره مردداً
«طيب.. طيب..» أو «نعم. نعم.» ثم ينطلق فى
التحدث ساعة كاملة عن مسألة أخرى، كأن
يتحدث مثلاً عن سيارته..

: كأنما يقصده المريض لسمع هذا الحديث ؟
: نم يصف دواءً زهيد الثمن يكون أحياناً شرب
سائل معرّق، وأنت مدرك أن الذى يدفع ثمانية
فرنكات أجر استشارة الطبيب لا يرى له أن
يصف له دواءً زهيد الثمن ؟ إن أشد الناس
غباءً ليس فى حاجة لاستشارة طبيب من أجل
أن يصف له احتساء فنجان من البابونيك..
: يحزننى ما أسمعك منك ولكن استدعيتك
لأستفسر منك عن شىء.. هو الأجر الذى
كنت تتقاضاه من الدكتور بارباليد حين يكلفك
بإذاعة إعلان له ؟

كنوك

المنادى

كنوك

: [بمراة] إنه لم يكلفنى قط بإذاعة إعلان له..
: ماذا تقول ؟ حتى ولا مرة واحدة فى بحر ثلاثين
عاماً ؟

المنادى

كنوك

المنادى : ولا إعلان واحد في تلاين سنة أقسم لك..
كنوك : لابد أنك نسيت؛ لا أستطيع أن أصدقك.
وباختصار ما هي تعريفه الأجور؟ [يهض من
مقعده ممسكاً ورقة في يده]

المنادى : ثلاثة فرنكات للجولة القصيرة.. وخمسة
فرنكات للجولة الكبيرة، وقد تحسب أن
الأجر مرتفع، ولكنه عمل يتطلب جهداً كبيراً،
وعلى كل حال فإنى أنصح سيدي..
: الدكتور.. كنوك

المنادى : إنى أنصح الدكتور إذا هان عليه دفع زيادة في
الأجر في حدود فرنكين اثنين أن يختار الجولة
الكبيرة فهي أكثر بركة من الأخرى..
: ما هو الفرق بينهما؟ كنوك

المنادى : في الجولة الصغيره أنادى خمس مرات أمام
البلدية وأمام مكتب البريد وأمام فندق المفتاح
وفي الميدان الكبير، وعند مدخل السوق،
أما في الجولة الكبيره فإنى أقف وأنادى إحدى
عسرة مرة سأعدها لك..

كنوك : فهمت! سأختار الجولة الكبيره، فهل أنت
خال من الشغل هذا الصباح؟
: على الفور إن شئت.. المنادى

كنوك : إليك إذن نص الإعلان [ساوله الورفه]
المنادى : [يتأمل النص] إننى أفك الخط، ولكنى أفضل أن
تقرأه لى.. لأول مرة.

كنوك : [يمرأ النص يتمهل، والمنادى ينصت ممتحاً إبعاع التلاوه طمعاً
لأصول مهنته]: «الدكتور كنوك خليفة الدكتور
بارباليد يهدى تحياته إلى أهالى مدينة ومركز
سان موريس ويتسرف بإحاطتهم علماً أنه
استجابة لرغبته فى فعل الخير والقضاء على
هذه الزيادة الموجه للقلق فى نفسى مختلف
الأمراض فى منطقة كانت معروفة بطيب
مناخها...

المنادى : هذه حقيقة صارخة..
كنوك : ... فإنه يعلن أنه يتبرع بالكسف مجاناً على
المرضى من أهل المركز كل يوم اثنين من
الساعة التاسعة والنصف إلى الساعة الحادية
عشره والنصف.. أما إذا كان المريض لس
من أهل المركز فإن أجر الاستشارة سيظل
كالمألوف: سمانه فرنكات..».

المنادى : [يتناول الورفه باحترام] حفا إنها فكرة جميلة..
فكرة ستكون موضع تقدير، فكرة فاعل خير
[يعبر من لهفته]، ولكنك تعلم أن اليوم هو يوم

الانبن، فإذا أذعت هذا الإعلان هذا الصباح
فلن نمضى خمس دقائق حتى يتقاطر الناس
إليك..

كنوك : بهذه السرعة؟ أتظن ذلك؟
المنادى : لعلك لم تنتبه إلى أن يوم الانبن هو يوم
السوى ونصف أهل المركز مجتمعون به وسيبلغ
الإعلان هذا الحسد الضخم ولن تعرف من
سدة الزحام عليك رأسك من رجلك..

كنوك : سأبذل جهدى وأحسن التصرف...
المنادى : بفت مسألة أخرى.. إن يوم السوى هو اليوم
الذى يتيح لك أكبر فرصة للظفر بزبائن،
وكان الدكتور بارباليد لا يجد زبوناً إلا فى هذا
اليوم [نم يقول له بالله] فإذا كسفت عليهم مجاناً..
كنوك : لا يغيب عليك يا صديقى أن الذى أريده قبل
كل سىء هو أن يألف الناس معالجة أبدانهم،
وإلا لو كان المال مطعمى لكنت فتحت عيادى
فى باريس أو نيويورك..

المنادى : آه.. لقد وضعت أصبعك على العله، فإن الناس
هنا لا يهتمون بالعلاج اهتماماً كافياً..

كنوك : ألاحظ يا صديقى أن لك منطقاً حكيماً.
المنادى : [وقد ملأه الرهو] أوه.. بالطبع إن لى منطقاً حكيماً.

مع أننى لم أئل من التعليم ما كنت أستحقه،
ولكن هناك كثيراً من المتعلمين ينهزمون عند
الجدل أمامى، وحضرة العمدة - وإن كنت
لا أريد ذكره - عنده عن ذلك الخبر اليقين،
دعنى أفص عليك كيف حدث ذات يوم
يا سيدى..

: يا دكتور.

كنوك

: [بشوة] يا دكتور.. كيف حدث ذات يوم أن
كان مأمور المركز بنفسه موجوداً فى البهو
الكبير المخصص لعقد الزواج فى دار العمدة،
ويمكنك أن تستوى من صحة الوفاء ممن
حضر من كبار القوم مثل حضره نائب المأمور
وإن كنت لا أريد ذكره أو مسيو ميكالون..
فاذا بى...

المنادى

: فاذا بحضره المأمور قد أدرك من فوره أنه
بإزاء رجل فذ، وأن منادى البلد هو مناد يحسن
إقامة الحجة بما لا يحسنه أناس وإن كانوا لم
متهنوا مهنته إلا إنهم يسمخون بأنوفهم ادعاءً
بأن مقامهم يعلو فوق مقامه بكثير، ثم إن
الذى انعقد لسانه وارتبك لم يكن إلا حضرة
العمدة نفسه..

كنوك

المنادى : [فى سعادة كبيرة] هذه هى الحقيقة بعينها، فلا حاجة إلى تغيير كلمه واحده فيها، ويكاد المرء يقسم إنك موجودًا حينئذ بيننا، مختبئًا فى ركن صغير..

كنوك : إننى لم أكن موجودًا هناك يا صديهى..
المنادى : إذن لابد أن يكون قد روى لك القصة إنسان ذو مقام [تصدر من كنوك حركة تنم عن تحمط دبلوماسى]، ولن تستطيع أن تنزع من رأسى أنك تحدثت فى هذا الموضوع مع حضرة المأمور..

كنوك : [يفع بالالتسام ثم يهصر] إذن فإننى معتمد عليك يا صديهى اعتمادًا كبيرًا.. ألبس كذلك؟
المنادى : [بعد تردد متوال] إننى لن أستطيع أن أملك المجيء للعيادة مبكرًا، وإذا ملكته فسيكون بعد فوات المواعيد، فهل لك أن تسدى إلى جمىلا يدل على طيبه قلبك كسف على فورًا..؟

كنوك : هيه.. بشرط أن تسرع فلدى موعد مع مسيو برنار المدرس، ومسيو موسكيه الصيدلى، وينبغى أن أقابلهما قبل مجئ الزبائن، مم تشكو؟

المنادى : انتظر حتى أفكر [يصحك] .. بعد أن أتناول

عسائى أحس أحياناً بسىء يسبه الأكلان هنا
[يضع يده على أسفل بطنه] سىء يسبه الدغدغة أو
الخربسة..

كنوك : [وقد استغروا فى تفكير عميق] احترس، حذار من
الخلط، ينبغى أن تقول لى هل هى دغدغة أم
خربشة !

المنادى : إنها خربشه [يفكر] ولكنها مصحوبة بدغدغة
بسيطة أيضاً..

كنوك : أرنى الموضع بالضبط.
المنادى : هنا..

كنوك : أين هنا هذه ؟

المنادى : هنا.. أو قد يكون هنا.. أو قد يكون بين
الموضعين..

كنوك : فى الوسط بين الاثنين تماماً ؟ أم يكون أبعد
قليلاً إلى اليسار ؟ هنا حيث أضع أصبعى ؟
المنادى : يجوز

كنوك : هل تسعر بألم حين أغرز أصبعى ؟

المنادى : نعم.. يخيل إلى أننى أشعر بألم..

كنوك : آ... آه [يفكر وقد انعقد حينه دلالة على التوجس]

أفلا تسعر بهذا الأكلان يزداد عن المؤلف إذا
أكلت رأس عجل مطبوخ بالخل ؟

المنادى : إننى لا آكل لحم الرأس أبدًا، ومع ذلك بخيل
إلى أننى لو أكلته لزاد الأكلان عن المؤلف
كنوك : آه.. آه هذا سىء مهم جدًّا آه.. آه.. كم
عمرک؟

المنادى : ما بين واحد وخمسين وانبين وخمسين.
كنوك : ولكن لأيهما عمرک أقرب؟ لواحد وخمسين أم
لانبين وخمسين؟

كنوك : [يرتك قليلا] أقرب إلى البانية والخمسين إذ
سأتم السنة فى نوفمبر القادم..

كنوك : [يضع يده على كتفه] با صديقى.. باسر عملك
اليوم كعادتك وفى المساء ارفد فى فراشك
مبكراً وابقى فيه غداً لا تبرحه، وسأمر عليك
لأفحصك ولن أتقاضى أجراً منك أنت، ولكن
لا تنفل، هذا الخبر لإنسان، إنه إكرام منى
لك..

المنادى : إنك طيب جدًّا يا دكتور، ولكن هل على
خطيرة؟

كنوك : إنها لم تصبح بعد خطيره جدًّا، ولكن فداً آن
أوان علاجها.. هل تدخن؟

المنادى : [يخرج منديله] كلا.. بل أمضغ التبغ.
كنوك : ممنوع مضغ التبغ منعاً باتاً.. هل نحب النبىذ؟

- المنادى : إننى أسربه باعتدال..
- كنوك : ممنوع سرب النبيذ ولو فطره واحده.. هل أنت متزوج؟
- المنادى : نعم يا دكتور [المادى يمسح عرقه].
- كنوك : ينبغى التزام منتهى التعمل فى هذه الناحية. فهم؟
- المنادى : هل أستطيع أن آكل؟
- كنوك : اليوم ما دمت تؤدى عملك، فلك أن تسرب شيئاً من الحساء، وغداً سنتدبر وضع قائمة صارمة بالممنوعات، وإلى ذلك الحين عليك أن تتبع ما قلته لك..
- المنادى : [يمسح عرقه مره أخرى]. ألا يكون من الخير في رأيك أن ألزم الفراش من فورى؟.. إننى حفا لا أشعر بأن حالنى طبيعية..
- كنوك : [يفتح الباب]. حذار من هذا، ففى حالتك هذه لا يحسن الرقاد فى الفراش ما بين طلوع الشمس وغروبها، فباسر عملك كأن لم يطرأ عليك سىء، انتظر بهدوء حتى يجيء المساء.
- [المادى يحرج والدكتور كنوك يشيعه].

المشهد الثانى

كنوك - المدرس برنار

كنوك : صباح الخير يا مسو برنار، عسى ألا أكون
قد أزعجتك كثيراً بدعوتك للمجىء إلى هذه
الساعة..

برنار : كلا.. كلا.. فقد ملكت دقائق قليله من وقتى إذ
أن مساعدى يتولى مرافبه التلاميذ فى الفسحة.

كنوك : كنب أتوفى إلى تبادل الحديث بيننا، فلدينا مهام
كيرة ينبغى أن نتسارك فى حملها، مهام عاجله،
ولست أنا الذى يضحى بهذه المعاونة الجليله
التي كنت تسديها إلى سلفى.

: أية معاونة؟

برنار : أحب أن أهول لك إننى لست بالرجل الذى
كنوك يفرض آراءه على الغير أو يهدم من الأساس
كل ما بناه الآخرون من قبل، فستكون أنت
فى البدء مرسدى ودليلى..

: لا أتبين مغزى كلامك..

برنار : لنترك الآن كل سىء على ما هو عليه، نم

نتناوله بالحسن فيما بعد إن لزم الأمر [كنوك
يجلس].

: ولكن..

برنار

: في مجال الإرشاد الصحي أو المحاضرات
السعوية أو الندوات الصغيره الى نعهدها معاً،
ستكون طريفك هي طريفي ومواعيدك
مواعيدي..

كنوك

: المسأله يا دكتور أننى أخسى ألا أكون قد
أدركت الهدف الذى ترمى إليه بهذه
التلميحات كلها..

برنار

: أود أن أقول بكل بساطة إننى راغب فى إبقاء
الصلة بيننا كامله لا تمس حتى خلال الفرة
التي أنسغل فيها بترتيب عيادي..

كنوك

: لابد أن فى كلامك معنى أنا عاجز عن فهمه..
: عجباً.. ألم تكن على صلة دائمه بالدكتور
بارباليد؟

برنار

كنوك

: كنت أقابله بين الحب والآخر فى مفصف فندق
المفتاح أو كان يحدث أن نلعب البليارد معاً..
: هذا النوع من الصلات ليس هو موضوع
كلامي..

برنار

كنوك

: لم تكن بيننا صلاب سواها..

برنار

كنوك

: عجبا.. عجبا.. كيف إذن كنتما تتفاسمان عبء
الإرساد الصحى بن الأهالى ونسر الدعاية
الصحيه بين الأسر؟ ولغير ذلك من الأمور؟
إننى أعنى جماع المهام الى لا يستطيع المدرس
والطبيب النهوض بها إلا بعمل مشترك بينهما..

برنار

: لم نتشارك أبداً فى سىء..

كنوك

: ماذا؟ هل فضل كل منكما أن يعمل مستقلاً؟

برنار

: المسألة أبسط من ذلك، فهذه أسبأ لم نفكر

فيها فط لا أنا ولا هو، وهذه هى أول مرة

أسمع فيها مثل هذا الكلام فى سان موريس.

[تدو على كنوك كل علامات الدهشة المروحة بالأسف]

كنوك

: آه.. هذه أنباء أوكد لك أنى لو لم أسمعها من

فمك أنت لما صدفتها أبداً..

[فتره صم].

برنار

: يؤسفنى ما سببته لك من خيبة الأمل.. ومن

الإنصاف أن تسلم بأنه لم يكن فى وسعى أنا

اقتراح وضع خطه مطابقه لرأيك حتى لو

جالت فكرنها فى رأسى وحنى ولو لم يلتهم

عملى فى المدرسة كل وقتى..

كنوك

: بالطبع! كنت تنتظر دعوه فلم نجئك.

برنار : ما فصدنى إنسان لخدمة إلا بذلت جهدى فى أدائها.

كنوك : أعلم هذا يا مسيو برنار.. أعلم هذا [فترة صمت] ما أبأس أبناء هذا البلد نفضت منهم الأكف، فلا يبصرهم أحد بوسائل العلاج والوفايه.

برنار : هذا هو الواقع.
كنوك : أراهن أنهم يسربون الماء دون أن يسغل بالهم أن فى كل حرفة لهم بلايين البلايين من البكتريا..

برنار . آه . هذا محمى.
كنوك : ألداهم على الأقل علم بالميكروبات؟
برنار : أسك فى ذلك كبراً.. أن بعض الناس هنا يعلمون هذه الكلمة ولكنهم يتصورون أنها اسم لبعض أنواع الذباب..

كنوك : [وهو يهصر] هذا فظيع.. صدفتى يا عزيزى مسيو برنار إننا لن نستطيع فى سمانيه أيام أن نصلح أنا وأنت آمار سنين، عديده من.. من عدم المبالاة ولكن ينبغى لنا مع ذلك أن نعمل شيئاً..

برنار : لا مانع عندى، إنما أحسى ألا أنفعك كثيراً.

كنوك

: يا مسبو برنار.. سبق لسخص بك جد خبر
أن كسف لى عن عيب جسيم فى طبعك وهو
التواضع فما بجهل إنسان غرك أنك هنا
صاحب رأى مطاع بفضل سمو مكانتك
الأدبيه ونفوذك الشخصى، وأرجو أن تغفر لى
مجاهبتك بهذه الحفيمه، فما يتاح لعمل جدى
نافع أن يتم هنا إلا بفضلك.

برنار

كنوك

: أنت ببالغ با دكتور.
: إذن اتفمنا، أستطيع وحدى أن أعالج المرضى،
ولكن المرض ذاته من الذى يعينى على
محاربتة مطاردته، منذا الذى بصر إخواننا
المساكن هنا بالخطر الذى يهدد أبدانهم فى كل
لحظه، ومنذا الذى يعلمهم، أنه لا ينبغى تأجيل
طلب الطبيب إلى حين طلوع الروح؟

برنار

كنوك

: لا أخالف رأيك فيهم، إنهم فى غاية الإهمال..
: [بحماس يترأى شيئاً فشيئاً] لنبدأ من البدايه، لى
هنا نص محاضرات عديده مكتوبه بلغة بسيطه،
وملحق بها بيانات مسوفاه وصور على زجاج
وفانوس سحرى، فتتولى أنت بخبرتك تنظيم
الانتفاع بهذا كله وكخطوة أولى إليك بنص
كامل لمحاضره لذيذه عن التيفويد تتحدث

عن تسنرها تحت علامات خادعه لا ينبه لها
المريض وعن مصادرها التي يفوق الحصر
كالماء والخبز واللبن والمحار والسلطة
والخضروات والتراب وتنفس المريض.. إلخ..
إلخ.. وكيف أنها تكمن الأسابيع والسهور دون
أن تفضحها علامة وكيف أنها نحدث فجأة عللا
مميته وتجد وراءها مضاعفات خطيره، وهذا
النص مصحوب بمناظر جميلة، صوره
لللباسلاص في حجم ضخم جدًا وصورة ممالة
من براز المريض، ولغدد ملهبة، ومصارين
معوية، ليسب صورًا بالأبيض والأسود، بل
هي صور ملونة كما تروم بالوردى والكسنتائى
والأصفر والأبيض المخضر..

[كنوك يفعد]

: [وقد يدب عليه علامات الانتاس] المسأله أننى رجل
سريع التأمر وإذا أغرقت نفسى فى هذه اللجه
فلن أذوق النوم..

برنار

: هذا هو الواجب بعينه، أريد أن أقول إن
صدمة الصحوه المباغتة هى الى ينبغى لنا أن
تزلزل بها أحساء السامعين، أما أنت يا مسو
برنار فستتعود عليها، فدعهم هم يأرفون لها

كنوك

[عيل عليه] فخطبتههم أنهم بنامون في أمان
خادع لا يوقظهم منه إلا بعد فواب الوقت
مرض ينزل عليهم كالصاعقه.

برنار

: [تتمشى في حسده رعد، يده على المكتب وبطوته متهربه]
إننى لا أمتع بصحه متبئه وفد لى أبواى عنتاً
سديداً في السهر على، واعلم أن الميكروبات
الى بدمها لنا على الألواح الزجاجية ما هى
إلا صورة، ولكن ألا ترى..

كنوك

: [كأنه لم يسمع شيئاً] أما هؤلاء الذين يسمعون
المحاضرة الأولى فلا يتحولون عن برودهم
فقد أعددت لهم محاضره نانية بعنوان يبدو
بريئاً هو: «حاملو المبكروبات» فيها براهين
واضحه وضوح النهار مدعمة بأمله عن
حالات كانت موضع درس ومرافبه تبث أن
السخص قد بجوس حلال الناس، وجهه
مسرف، ولسانه وردى، وطعامه مأكول بسهيه
بديعه، ومع ذلك فهو يخفى في تلافيف حسده
ملايين الملايين من الباسلاص في أسد درجات
النساط بحيب يكفى ما يحمله منها للويب
مقاطعة بأكملها [ينهص] فاعتماداً على العلم
والعمل، أن أسبته في أول قادم أن يكون حاملا

الميكروبات، وها أنت ذا ميلا لا شيء يؤكد لي
أنتك لست واحدًا منهم..

: [يهص] أنا يا دكتور؟!

برنار

: ما أسد عجبى لو استمع إنسان لهذه المحاضرة
النانية البسيطة وبقى بعدها رائى المزاج..

كنوك

: هل تظن أننى يا دكتور من حاملى
الميكروبات؟

برنار

: ليس بالضرورة أنت، إننى كنت أضرب ميلا،
ولكنى ها أنذا أسمع صوت المسبو موسكبه،
فإلى اللقاء با عزيزى المسبو برنار، وسكرًا
على انضمامك إلى، هذا الانضمام الذى لم أكن
أسك فيه وط..

كنوك

المشهد الثالث

كنوك - الصبدلى موسكبه

: تفضل اجلس يا عزيزى المسبو موسكبه، لم
يسعبنى الوقت أمس إلا أن ألقى نظره عاجلة
على محويات صيدليتك، ولكن لم أكن فى
حاجة إلى مزيد لأتبين أنها صيدلة ممازة فى

كنوك

ترتيبها وفي النظام المحكم الذى يسودها، وفي
أخذها بأحدث الأساليب حتى فى أصغر
الأمور.

موسكيه : [فى ثياب متواضعة بل مهملة] يا دكتور أنت رجل
مبجل جداً..

كنوك : هذه مسألة أنا حريص عليها أسد الحرص،
فإنى أعتقد أن الطبيب الذى لا يتاح له
الاعتماد على صيدلى من الدرجة الأولى، هو
بمنابه قائد حيس بمضى إلى المعركة بدون
مدفعيه..

موسكيه : يسعدنى أن أراك تفدراً أهمه مهنتى..
كنوك : ويسعدنى أنا أيضاً أن أقول إن مؤسسة
كمؤسستك لاشتك أنها تلقى جزاءها وأنتك
تكسب فى السنة خمسة وعشرين ألفاً على
الأقل..

موسكيه : من الأرباح؟ آه.. يا إلهى لو أننى كسبت ولو
نصفها..

كنوك : يا عزيزى مسيو موسكيه، إنك الآن لسب أمام
مندوب مصلحة الضرائب، إنك أمام صديق بل
دعنى أقول إنك أمام زميل..

موسكيه : ستكون إهانة لك لا أرضاها لو عاملتكم بحذر

- مستريب، وإنما الذى قلته لك هو الحصة بعينها
مع الأسف [بعد فترة تريب] إننى أكافح كفاحاً
سديداً لئلا يقتصر مكسبى على عسره آلاف..
: ألا تدرك أنها فضيحة؟ [موسكيه يرفع كتفيه بحركة
تدل على الحزن] فإن مبلغ خمسة وعشرين ألفاً
كان فى تقديرى هو الحد الأدنى.. ولبس لك مع
ذلك منافس..؟
- موسكيه : ولا واحد إلا على بعد خمسة فراسخ..
كنوك : إذن ما السبب؟ هل لك أعداء؟
موسكيه : لا أعرف أن لى أعداء.
كنوك : [يخفض صوته] هل صحبتك ييضاء لا سودها
هفوة يوسف لها نتيجة سهو ملا؟ خمسون
جراماً من صبغه الأفيون بدلا من زيت
الخروج، وهذا سهو مبسور وفوعه؟
موسكيه : عملت عشرين سنة فلم تقع منى هفوة
واحدة.. صدقنى..
كنوك : إذن.. إذن. إننى أمت أن أتقدم بفروض
أخرى ولكن سلفى.. هل كان معصراً فى
واجهه؟
موسكيه : هذه مسألة يختلف فيها الرأى.
كنوك : مرة أخرى أقول لك يا عزيزى مسيو موسكيه

- إن الكلام سيبقى بيننا نحن الانين سرًا..
: الدكتور بارباليد رجل ممتاز، وكان يبنى وبينه
موسكيه أحسن صله شخصيه..
- : ولكن «رونستاته» جميعاً لا تؤلف مجلداً ضخماً؟
كنوك : الحصفه نطق بها لسانك أنت..
موسكيه : إننى حين أتدبر الآن جماع المعلومات التى
كنوك جاءتنى عنه أشتاتاً أرانى مدفوعاً إلى التساؤل
عما إذا كان سلفى يؤمن بالطب..
- : لقد بذلت غاية جهدى بإخلاص فى مبدأ الأمر
موسكيه فكنت إذا جاء الناس يسكون من أوجاع،
ورأيت أن حالهم يدعو إلى سىء من القلق،
أرسلت بهم إليه، ثم كأن سلامهم كان سلام
وداع فلا أراهم يعودون إلى أبدأ..
- : إن هذه الأخبار لها تأثير على أشد مما كنت
كنوك أود، إن لنا نحن الانين يا عزيزى مسيو
موسكيه مهنتين من أحسن المهن عند الناس،
أليس من العار إذن العمل على الخط بها قليلا
قليلًا عن قمة عاليه من السلطان والنراء
بلغتها بفضل جهود أسلافنا، بكاد السفتان
تنطقان بعبارة تخريب مقصود..
- : بلا جدال، وإذا تركنا مسائل المال جانباً فمن
موسكيه

الإخلال بالواجب ترك المهنة تنحدر إلى ماهو
دون مستوى السباك والبقال، أؤكد لك
يا دكتور أن زوجي لا تستطيع شراء القبعات
والجوارب الحريرية الى تتباهى بها زوج
السباك كل أيام الأسبوع لا يوم الأحد
وحده..

كنوك : اسكن يا صديقي العزيز، فإنني أتوجع
لكلامك فما هو إلا كأني أسمع من يقول إن
زوجة رئيس مجلس النواب قد انحدر بها الحال
حتى أصبحت تغسل ملابس بائعه الخبز من
أجل أن يحصل على حاجتها من الأرفقه.
موسكيه : لو كانت مدام موسكيه هنا لأخذها الطرب
لسماع كلامك.

كنوك . في منطقة مثل منطقته مركز سان موريس ينبغي
لنا نحن الانن ألا نستطيع رفع رأسينا من
كره العمل..

موسكيه : هذا حق..
كنوك : إنني أعتبر من حيث المبدأ أن جميع أهالي
المركز هم بحكم وجودهم وحده زبائن يعتمد
عليهم.

موسكيه : جميع أهالي المركز؟ أنت تطلب الكثر..

- كنوك : أهول أهالى المركز..
- موسكيه : الوافع أن كل واحد منهم لا بد فاصدنا فى يوم من الأيام فى مناسبه من المناسبات.
- كنوك : زبون مناسبة؟ أبداً.. أبداً.. نريد زبائن منتظمين.. زبائن مخلصين..
- موسكيه : ولكن ينبغى أولاً أن يفترسهم المرض..
- كنوك : يفترسهم المرض؟ هذا فهم عتيق انهزم أمام مقررات العلم الحديب، وما الصحة إلا كلمه لا ضبر مطلقاً من حذفها من قاموسنا، أما عن نفسى فإنى لا أعرف إلا أناساً مصابين بدرجات متفاوتة، بأمراض تتكاثر عليهم بدرجات متفاوتة، وتستد علتها بدرجات متفاوتة، وبطبيعته الحال إذا مضيت تقول لهم إنهم يتمتعون بكامل الصحة فإن تصديفك عندهم هو منى القلب، ولكنك مخدعهم، والاعتذار الوحيد المعقول هو التعلل بكثرة العمل عند رفض قبول زبائن جدد..
- موسكيه : هذه مبادئ جميله على كل حال.
- كنوك : مبادئ تطابق كل المطابقة مبتكرات العصر الحديب، أمنحها فكرك يامسيو موسكيه

فستجدها وببقة الصلة بمبدأ الأمة المسلحة التي
هي عماد قوة الأمم.

: أنب رجل فكر يا دكتور كنوك، ومهما فال
أصحاب المذهب المادى، فإن الفكر هو الذى
يفود العالم.

موسكبه

: [يهص] انصت إلى [الانان واففان وكونك يتناول يد
موسكبه] لعلى أكون رجلا مغرورا لعل الزمن
مخبىء لى خيبة أمل مريرة، ولكن بعد سنة فى
مثل يومنا هذا لافبل ولا بعد، إذا لم تكن قد
كسبت دخلا صافيا فدره خمسة وعسرون ألفا،
وهو دخل من حفك أن تناله، وإذا لم تفز مدام
موسكبه بما بتطلبه مقامها من أبواب وبيعان
وجوارب فلك أن تصب على لعنانك وسأمنحك
وجهى لتهوى على كل خد بصفعة..

كنوك

: با عزنى الدكتور سأكون ناكرا للجميل إذا
لم أفض فى شكرك، وسأكون وضبعا إذا لم
أعئك بكل قواى..

موسكبه

: حسن.. حسن. اعتمد أنب على، كما أعتمد أنا
عليك..

كنوك

المشهد الرابع

كنوك والسيدة ذات الوب الأسود

[عمرها خمس وأربعون سنة، تم هيئتها عن سح أناء الريف،
وعن معانها لمرض الإمساك]

كنوك : آه.. ها هم الزبائن سرفوا [يرفع صوته يحاطب
إساناً من وراء الباب] إننا عسر؟! ينبغي إبلاغ
القادمين الجدد، أننى بعد الساعة الحادية عسره
والنصف لن أستقبل مرضى غرضهم الكسف
مجاناً، هل أنت ناسيدتى أول من قدم [تدحل
السيدة ذات الوب الأسود ويفعل الباب] أنت من أهالى
المركز؟

السيدة ذات الوب الأسود: لا... إننى تابعة للبندر..
كنوك : من سان موريس ذاتها؟
السيدة : إننى أسكن فى المزرعة الكبيره الواقعه على
طريق لوسير.
كنوك : والمزرعة هى ملكك؟
السيدة : نعم هى ملكنا أنا وزوجى..

- كنوك : إذا كنتما تزرعانها لحسابكما، فلا شك أنكما غارفان في العمل إلى الآذان..
- السيدة : وماذا تظن ياسيدى؟.. نمانى عسرة بقره، وعجلان، وبوران، وحصان، وفرس، وست من الماعز، وضعفها من الخنازير، هذا علاوة على الدجاج والبط والحمام..
- كنوك : عجباً.. أليس عندكم خادم؟
- السيدة : نعم بطبيعة الحال.. ثلاثة رجال وامرأة عدا عمال باليومية في موسم الحصاد..
- كنوك : فلبى معك، لا شك لم يبق لك وقت للاعتناء بصحتك..
- السيدة : نعم لا أجد الوقت..
- كنوك : بالرغم من أنك مريضة؟
- السيدة : لا يصدق الفول بأننى مريضه، وإنما أسعر بضعف..
- كنوك : نعم أنت تفولين إنه الضعف، [يقتررب مها] أخرجنى لسانك.. أرى أن سهبك للطعام ضعفة..
- السيدة : نعم.. هى كذلك..
- كنوك : أنب تعانين من الإمساك.
- السيدة : نعم بهدر محسوس..

- كنوك : [وهو يحصها] اخفضي رأسك، تنفسي، اسعلي،
ألم يحدث لك في صباك أنك وقعت من على
سلم؟
- السيدة : لا أذكر..
- كنوك : [يعالج طهرها بالحس والفرع عليه، ثم يصعظ فحاه على
كليتيها] ألم تشعري هنا بألم وأنب تأوين إلى
فراستك في المساء؟
- السيدة : نعم في بعض الأحيان..
- كنوك : [وهو ماص في محصها] حاولي التذكر، لا بد أنه كان
سلماً عالياً..
- السيدة : جائز جداً..
- كنوك : [بلهجه مؤكده] إنه كان سلماً طوله ثلاثة أمتار
ونصف مسنداً إلى الجدار، ووقعت منه على
ظهرك، ومن حسن الحظ أن إلتك البسرى
هى الى أصببت..
- السيدة : أى نعم..
- كنوك : هل سبق لك اسسارة الدكور بارباليد؟
- السيدة : أبداً.
- كنوك : لماذا؟
- السيدة : لأنه كان لا يكشف على المرضى مجاناً..
- [لحظه صمت]

- كنوك : [جعلها مجلس] هل تدركين ما بك ؟
- السيدة : كلا.
- كنوك : [جلس أمامها] هذا أفضل، ولكن هل لك رغبة في
الشفاء أم لبس لك رغبة ؟
- السيدة : نعم لى رغبة فى الشفاء..
- كنوك : الأفضل إذن أن أنبهك فوراً إلى أن العلاج
سيكون طويلاً ونفقته كبيره..
- السيدة : آه.. يا إلهى.. ولم هذا ؟
- كنوك : لأنه لا يمكن فى خمس دقائق شفاء مرض
عمره أربعون عاماً..
- السيدة : أربعون عاماً ؟!
- كنوك : نعم.. أى منذ أن وقعت من على السلم..
- السيدة : وكم سيكلفنى العلاج ؟
- كنوك : كم يبلغ نمى العجل الآن ؟
- السيدة : هذا يتوقف على السوق وعلى حجم العجل،
ولكن لا يمكن شراء عجل مملأ العين بأقل من
أربعمائة أو خمسمائة فرنك..
- كنوك : ونمى الخنزير السمى ؟
- السيدة : يبلغ نمى بعضها ألفاً..
- كنوك : إذن سىكلفك العلاج عجلين وخنزيرين
تقريباً..

السيدة : آه.. آه.. نلايه آلاف فرنك تقريباً؟ هذه نكبة

يا إلهى!

كنوك : إذا كنت تفضلين الحج إلى مكان مقدس طلباً
للشفاء فإنى لا أمانع فى ذلك..

السده : مل هذا الحج يكلف كسراً أيضاً، لم يكون بلا
جدوى فى أغلب الأحيان.. [فتره صم] ولكن
هل بى شىء جسيم حى يسدعى الأمر كل
هذا العناء؟

كنوك : [وهو يبالع فى معاملتها بأدب ومحاملة] سأشرح لك
الأمر على السبورة فى دقيقة واحدة [يدهب إلى
السورة ويخط عليها رسماً محيطياً] هذا هو قطاع من
نخاعك السوكى وفى صورة إجمالية، أفاهمة
أنت؟ تتبينن هنا مجمع أعصاب توربك، وهنا
عمود كلارك.. هل أنت معى؟ حسناً. فحبنا
سقطت من على السلم نحرك توربك
وكلاركك إلى انجاه عكسى، [يرسم أسهما تبين
الانجاه] حركة بمقدار ١:١٠ من المثلث،
ستفولين إن هذه مسافة هنة جداً.. طبعاً..
ولكنها انخذا وضعاً سيئاً، نم عندك جذب
مستمر يضغط على مجمع الأعصاب [يمسح
أصابعه].

- السيدة : يا إلهى.. يا إلهى..
كنوك : لكن فى علمك أنك لن عموى بين عسة
وضحاها، فأمامك وف..
السيدة : آه.. آه.. ما أسوأه من حظ أن سفطت من
على هذا السلم.
كنوك : إنى أتساءل: أليس من الأفضل ترك الحالة
على ما هى عليه، فإن المال كسبه عسر، أما
عن سنى السيخوخة فموفوره وإن كانت
مباهجها قليلة..
السيدة : سأكون صفيمة وأسألك: هل تسطيع إذا
عالجتنى بأيسر جهد أفلا أنال السفاء بمن
أقل بسرط أن يكون العلاج بالطبع متفناً؟
كنوك : كل الذى أسطيع افتراحه عليك هو أن تضعي
نفسك تحت الملاحظة، ولن يكلفك هذا شيئاً
تفريباً وبعد بضعة أيام ستبينن بنفسك كيف
يكون سير المرض ثم تصدرين فرارك..
السيدة : نعم هذا هو الرأى.
كنوك : حسن.. ستعودين إلى دارك.. هل جئت راكبة؟
السيدة : كلا، وإنما سيراً على الأقدام..
كنوك : [وهو حالس على المكب يكتب الروسته] لا مفر لك
من العور على عربة تعود بك، وبمجرد أوبتك

تأوين إلى فراشك في حجره لا يكون لها أحد
غيرك بقدر الإمكان، وأغلفى النوافذ وأسدلى
الستائر حتى لا يضايقك النور، وأمنعني أحداً
من أن يكلمك. الأكل مده أسبوع مقتصر على
السوائل وحدها. تناولى كوباً من ماء فيسى
كل ساعتين، وعند الضرورة نصف بسكويته
مرة في الصباح ومرة في المساء بعد عمسها في
فليل من اللبن ومع ذلك فإنى أفضل الاستغناء
عن البسكويت، لا يتأتى لك الفول بأننى
وصف لك علاجاً غالباً جداً، وسنرى بعد
أسبوع كيف تكون حالتك، فإذا احتفظ
بسجاعتك، وأمكنك استعادة فوتك وبساستك،
فإن هذا يعنى أن المرض أقل خطراً
مما يتصور، وسأكون أول من يطمئنك، أما إذا
شعرت على العكس بضعف عام ونفل في
الرأس وخمول عند اليقظة، فلن يبقى محل
للتردد وحينئذ نبدأ في العلاج. هل اتفقنا؟
: [تنهد] الرأى رأيك..

السيدة

كنوك

: [يشير إلى الروشته] كتبت لك على سبيل التذكير
في هذه الروشته كل التعليمات، وسأذهب
لزيارتك قريباً [يسلم إليها الروشته ويشيعها ويأدى لمز]

وراء الباب يا مارييب ساعدى السيده على برول درحات
السلم وعلى عنورها على عربه . [يلمح المشاهد وحوه نهر
من الزبائن يستقبلون السيده وهى حارجه بحوف واحترام] .

المشهد الخامس

كنوك والسيدة ذات النوب البنفسجى

[عمرها ستون سنه. كافه ما عليها من بياب من لون
بنفسجى، تنوكاً بكرياء على عصا يالفها هواه تسلى الحال]
السيدة ذات النوب البنفسجى : [تلهجه فيها استعلاء] لاسك بدهسك
يا دكور مجيىء إلبك.

كنوك	: نعم بعض الدهسة يا سيدتى..
السيدة	: لك فى الواقع أن تعجب عجباً غير قليل من أن تأتى لاستسارة مجانه سبده زوجها من أسرة بونس وأبوها من أسرة لامبوماس. كنوك : أفضل أن أفول إن فى مجيئها تسريفاً لى..
السيدة	: ربما ستفول إن هذه إحدى نتائج الفوضى السائدة هذه الأيام، فعلى حين نرى عدداً كبيراً من أوساب الناس وتجار الخنارير يتبخثرون فى العربات الفاخرة ويحتسون السمبانيا مع الممثلات، إذا بسيدة يجرى فى

عروفيها دم أسره لامبوماس، ونمتد سلاله
أسرتها العريفة بلا انقطاع إلى القرن الثالث
عسر، وكانت مملك في وف ما نصف هذه
البلاد ويربط بصلاب وبنفة مع كافه أسر
النبلاء والأعيان في هذه المفاطعة، ينحدر بها
الحال إلى حد أن تقف في الصف تنتظر دورها
مع الففراء والفقيراب من أهالي سان موريس،
أعترف يا دكتور أن الحال فيها مضى كانت
أحسن من ذلك.

: [وهو مجلسها] نعم مع الأسف يا سيدى..
: لا أقول لك إن دخلى فد بقى كما كان من
قبل أو أننى احتفظت بمنزل يعج بسته من
الخدم وبإصطبل به أربعة خيول كما كانت
تتطلب مكانه أسرتنا حتى موب عمى، بل إننى
بعب في العام الماضى مزرعة وريتها عن جدنى
مساحتها مائه وستون هكتاراً هى مزرعة
ميشويل، وهذا الاسم في قول فسيشنا مستو
من كلمة يونانية وأخرى لاتينية تفيد معنى
كراهية الفطر، والسبب أنه لم يعر فط على
نبت واحد من هذا الفطر في المزرعة كلها
كما لو كان بين الأرض وبينه كراهية، والواقع

كنوك
السيدة

أنى لم أصب منها بعد خصم الضرائب ونفقات
التعمير إلا دخلا ضئيلاً وبالأخص بعد وفاه
زوجى فإن المزارعين عمدوا إلى اسغلال
الموقف وأخذوا يلاحقوننى بطلب تخفيض
الإيجار أو تأجيل دفعه، لقد ضف ذرعاً، كفى..
كفى.. أفلا تعتقد إذن يا دكتور بعد
استعراضى للموقف على مختلف جوانبه أنى
كنت على حق فى التلخص من هذه المزرعة؟
: [لم يقطع عن الإصاب إليها بانتباه] هذا يا سيدى هو
اعتقادى وبالأخص إذا كنت نخبين نبات
الفطر، وإذا كنت من ناحيه أخرى فد أحسنت
توظيف بمن المزرعة..

كنوك

: أى.. لقد وضعت أصبعك على الجرح الدامى،
فإنى أسأل نفسى ليل نهار عما إذا كنت
أحسنت توظيف نقودى، فإنى أشك فى
ذلك كبيراً، فقد اتبعت نصيحة هذا الموق
الأحمق؛ وإن كان أطيب الرجال، ولكنى أعتقد
أنه أفل فطنة من المنضدة الصغيرة التى تستعين
بها زوجته العزيزة كما تعلم فى تحضير الأرواح،
وفد استريت بالأخص أسهم شركات مناجم
الفحم، فما رأيك يا دكتور فى هذه الأسهم؟

السيدة

كنوك

: هى على العموم أوراق مالية لها قيمتها، وهى محببه بعض السوء للمضاربين لأن سعرها يتقلب بين ارتفاع غير معقول وهبوط لا تفسير له.

السيدة

: آه.. يا إلهى.. إن جلدى يقسعر إذ يخيل إلى أننى استريتها فى ذروه ارتفاع أسعارها وقد وضعت فيها أكثر من خمسين ألف فرنك، وإنه لمن الحمافة لمن لا يملك ثروة طائله أن يوظف فى أسهم شركات مناجم الفحم مل هذا المبلغ الذى دفعته.

كنوك

: فى الواقع يخيل إلى أن مل هذا التوظيف ينبغى ألا يستأجر بأكر من واحد على عشرة من نروه الشخص كلها..

السيدة

: آه واحد على عسره لا أكر؟ فإذا كان التوظيف لا يزيد على هذه النسبه فأنت لا تصفه بالحمافة؟

كنوك

: بالتأكيد لا..

السيدة

: أنت تطمئننى يا دكتور، وقد كنت متلهفة على من يطمئننى، أنت لا تدرى أى هم ألفاه فى رعاية ما فى يدى من فرنسن، وأهول لنفسى أحياناً: حبذا بهموم أخرى لتطرد هذا الهم

عنى، فإن الإنسان جبل يا دكتور على طبع
يرسى له، فمقدر عليه ألا يفلح فى إقصاءهم
إلا بسرط أن محل هم آخر محله، ولعلنا ننعـم
على الأقل بسىء من الراحة فى هذا التغير
والتبديل، فإنى أود أن أنقطع عن التفكير طول
النهار فى المستأجرين والمزارعين والأسهم
والأوراق المالية لأننى لا أستطيع فى العمر
الذى بلغته أن أجرب المغامرات الغرامية. آه..
آه.. آه.. ولا أن أقوم برحله حول العالم،
ولكنك تنتظر منى ولا ريب أن أفسر لك لماذا
أخذت مكانى فى الصف، أنتظر كشفاً مجانياً.
: مهما يكن السبب يا سيدنى فإنه بلاسك سبب
وجيه.

كنوك

: إليك إذن التفسير، أردت أن أضرب منلاً، فقد
وجدت أنك استلهمت يا دكتور فكرة بديعة
نبيلة ولكنى أعلم أهل بلدى، فقلت لنفسى هذا
سىء لم يالفوه، فهم إذن لن يذهبوا، وسبكون
الإعراض هو كل ما يجنيه هذا السيد جزاءً
على كرمه، حينئذ قالت لى نفسى إنهم لو رأوا
سيده زوجها من أسرة بونس وأبوها من أسرة
لامبوماس لا تتردد فى افتتاح الكشف المجانى،

السيدة

فإنهم لن يخجلوا من أن يحذوا حذوها على
مرأى من الناس، ذلك أن أهل تصرفاتى
وحركاتى هى موضع المراقبة والتعليق، وهذا
شئ طبيعى.

: إن هذا سعى محمود منك ياسيدى وأسكر
عليه..

كنوك

: [تنهض وكأنها تؤذنه بأنها تصرف] كان لى غاة السرور
يادكتور أننى تعرفت إليك وأنى ألزم دارى بعد
الظهر كل يوم، ويأتى لزيارنى بعض الأصدقاء
فنجتمع حول يراد سائى من عهد لويس
الخامس عشر ورثته عن أجدادى، فسيكون لك
دائماً فنجان معد لك ينتظرك..

السيدة

: [يسحن أمامها، على حين أنها تتقدم نائية نحو الباب] أنت
تعلم أننى حقيقة معذبة جداً جداً بسبب
المستأجرين والأوراق المالية، وقد ينقضى
الليل كله دون أن أنام، ياله من إعياء فظيع..
أعرف يادكتور حيلة تجلب النوم؟

كنوك

: تعانين الأرق منذ زمن طويل؟

كنوك

: منذ زمن طويل جداً.. جداً..

السيدة

: وهل تحدث عنه إلى الدكتور باربالد؟

كنوك

: نعم.. مراراً عديدة..

السيدة

- كنوك : وماذا قال لك؟
- السيدة : نصحنى أن أقرأ كل مساء ثلاث صفحات من القانون المدنى، إنها كانت دعابة منه، فإن الدكتور بارباليد لم ينظر إلى الأمر نظرة جديه.
- كنوك : لعله كان مخطئاً لأن من الأرق حالات تنم عن حطر بليغ..
- السيدة : حفا..؟
- كنوك : قد يكون سبب الأرق راجعاً إلى اضطراب أساسى فى سريان الدم فى عروق المخ وبالأخص إلى عله فى هذه العروق التى تسمى «خرطوم النرجيله» وقد تكون عروق مخك يا سبدنى على هذه الصورة..
- السيدة : يا إلهى... خرطوم النرجيله؟ أ يكون للتبغ يا دكتور دخل فى ذلك؟ إنى أستعمل أحياناً السعوط..
- كنوك : هذه مسألة ينبغى فحصها، وقد يأتى الأرق أيضاً من إصابة بالتهاب الأعصاب تؤثر على الماده السنجابية تأثيراً عميقاً متوالياً..
- السيدة : يا لها من حالة فظيعة.. اشرحها لى يا دكتور..
- كنوك : تصورى أخطبوطاً أو عنكبوتاً صخماً يلتهم مخك على مهل قرصاً وامتصاصاً وتمزيقاً..

السيدة : أوه [تتهاوى في مقعد] من يسمع كلامك معذور إذا
أغمى عليه من شدة الفزع. لاسك أن هذه
هى حالتى فإنى أشعر بها بوضوح، أرجوك
يا دكتور اقتلنى على الفور بحقنة واحدة،
ولكنى أراجع نفسى وأقول: لا تتخل عني
يا دكتور فقد هويت إلى أعمق درجات
الفزع... [صت] لا بد أنها علة لاشفاء لها أبدًا
علة مميتة..

كنوك : كلا..

السيدة : هل هناك أمل فى الشفاء؟

كنوك : نعم.. على مدى الزمن..

السيدة : لا تخدعنى يا دكتور.. أريد أن عرف الحقيقة..

كنوك : المسألة كلها تتوقف على انتظام العلاج ومدته..

السيدة : علاج ماذا؟ أهذه الأشياء التى تشبه خرطوم
النجيلة أو العنكبوت؟ إذ أسعر بوضوح أنه
العنكبوت..

كنوك : الشفاء ميسور من هذا وذاك، وما نت لأجرؤ
على أن أمد فى هذا الأمل لمريض من عامة
الناس لايتيح له وقته ولاموارده أن يعالج
نفسه بأحدث الوسائل العملية، أما بالنسبة
إليك فالأمر مختلف..

السيدة : [تهص] سأكون بين يديك مبالا للطاعه خاضعه

كالجرو الصغير، وسأتحمل كل علاج تفرره
وبخاصه إذا لم يؤلنى ألماً سديداً..

كنوك : لن نسعرين بأفل ألم إذ أن الأسعه هى الى

سنلجأ إلبها كوسيله للعلاج، والصعوبه
الوحيدة هى أن يكون لك صبر على متابعة
العلاج بأناه لمدته سنتين أو ثلاث، وأن يكون
بجانبك طبيب يلزم نفسه ألا ينقطع عن مرافقة
تقدمك نحو السفاء وأن يضبط زمن جلسات
الأسعه ضبطاً دقيقاً وألا يسوانى عن زيارتك
كل يوم نفرياً..

السيدة : آه.. أما عن نفسى فإن فضيله الصبر

لا نتفصنى، ولكنك يا دكتور أنت الذى قد
لا تريد أن تواظب على علاجى طوال المدة
اللازمه لى..

كنوك : لا أريد.. لا أريد.. أنا لا أريد غير ذلك، المهم.

أن أقدر على ذلك، هل تسكنين بعداً عن هنا؟
: أبداً، بل على بعد خطوتين، فمنزلى أمام المبانى
العمومى..

كنوك : سأحاول أن أخطف رجلى لأذهب إليك كل

صباح فيما عدا يوم الأثنين وفيما عدا يوم

الاننن بسبب مواعد عبادنى.

السيدة : ألا يكون يومان متتالين فتره انقطاع أطول مما
ننبغى، وهكذا أبقى بدون علاج من السبب
إلى النلتاء؟

كنوك : سأترك لك نعلمان تفصيلية دفيه، ومع ذلك
إذا وجدت فى متسع وقنى دفيه فإنى أمر عليك
يوم الأحد صباحًا أو يوم الاننن بعد الظهر..

السيدة : الحمد لله.. الحمد لله.. [تهض] وما الذى ينبغى
لى أن أفعله فورًا؟

كنوك : عودى إلى دارك والزمى حجرة نومك،
وسأذهب إليك غدًا صباحًا، وأتولى فحصك
فحصًا ساملاً..

السيدة : ألس لى دواء أتناوله اليوم؟

كنوك : هبه.. نعم [يكتب الروشته بسرعه] مرى على مسيو
موسكيه واسأل به أن يعد لك فورًا هذه الروشته
الصغيره الأولى..

المشهد السادس

كنوك - وفتيان من أهل الريف

كنوك : [ينادى لمن وراء الباب] مارييت.. يا مارييت،
ما هذا الحشد الغفير [ينظر إلى ساعته] ألم تعلقى
أن العيادة المجانية تنتهى عند الساعة الحادية
عشرة والنصف؟

صوت مارييت : نعم أعلننتهم، ولكنهم يريدون البقاء..
كنوك : من هو صاحب الدور الأول؟ [يتقدم إليه الفتیان
وهما يكتمان الصحكات ويتنادلان اللكمات بالكوعين
والعمرات بالأعين ثم يفجران فى ضحكة يكتمانها بوضع اليد
على الفم ومن ورائها يشاهد الأهالى وهم يحذون فى تصرفاتها
منظراً ظريفاً مسلياً، فتثور بينهم صحة والدكتور كنوك يرعم
أنه لا يرى شيئاً] من منكما صاحب الدور؟

الفتى الأول : [ينظر جاساً ويخفى ضحكة متهية] هئى.. هئى.. هئى..
[نحن الاثنين] هئى.. هئى.. هئى!

كنوك : ما أحسبكما متقدمين معاً؟

الفتى الأول : نعم.. هئى هئى! نعم.. نعم [صوت ضحك من وراء
الباب].

كنوك : لا أسطع فبولكما معاً، فلقع اختياركما على
واحد منكما، ثم يخل إلى أنى لم أركما من قبل،
فهناك أناس قدموا فبلكما..

الفنى الأول : لقد نخلوا لنا عن دورهم، لك أن سألهم. هئى..
هئى.. هئى ! [صحكاب مسموعة ومكتومه].

الفنى الثانى : [وقد ملك حرأته] نحن الاننن متلازمان دائماً..
نحن ننائى لا ننفصل. هئى هئى هئى ! [صحكاب
تبع من الأهالى].

كنوك : [بصط على سمتيه وبول بلهجه فى غايه الرود] ادخلا
[يفل الباب ثم يقول للأول احلع بياك، وسر إلى البانى.
وأنت احلس هنا] [الفتيان يتادلان الإشارات والصحكاب
المكتومه شىء من الافتعال].

الفنى الأول : [وقد حلع ملاسه إلا السروال والميص] أنبغى أن
أخلع بقيه سابى وأصبح عارباً؟

كنوك : اخلع أيضاً فميصك [الفى يلبس بح الميص فانه
نعر أكمام] هذا بكفى [كنوك يفتر منه ويدور حوله
بحس جسده ويدق عليه ويضع أذنه هنا وهناك ويحدث حله
ويقلب حمسه وشفتيه، ثم يتناول حمار فحص الحلق دا المرآه
ويلبسه على رأسه ممهلاً ثم بضىء فحاه فى وجه الفى نوراً
نعمى الأنصار ويسلطه إلى داخل حلقه وعلى عيسه، ولما تن
من الفى استسلامه سر كنوك له إلى المقعد الطويل]:

أرغد هيا.. هيا ضم ركبتيك [بحس النظر ويضع
الساعة هيا وهناك] مد ذراعك.. [يفحص السر
ويفيس ضغط الدم] حسن.. ارتد ملابسك [لحظه
صمت والفي يرتدى نيايه] هل أبوك حي؟

الفنى الأول : كلا.. إنه فد مات..

كنوك : موتاً مفاجئاً؟

الفنى الأول : نعم.

كنوك : هذا هو تقديرى.. لاسك أنه لم يكن متقدماً فى
العمر.

الفنى الأول : كلا.. إنه وصل إلى التاسعه والأربعين.

كنوك : أعاس إلى هذا الحد؟ [صمت طويل لم يبق لدى

الفتين أهل رعبه للضحك، ثم يذهب كنوك يمشى فى ركن من
الحجره بين أشياء مستنده إلى قطع من الأثاث، ثم يستخرج
مها لوحاً من الكرتون تبين بالصورة الأحشاء الداخليه عند
الرجل السليم وعند الرجل السكر المدمن، ثم يقول للمنى
الأول بلهجة مؤدبه] سأوضح لك كيف أصبحت
أحساؤك الداخليه الرئيسيه: هاتان هما
الكليتان عند الرجل السليم، وهذه هى صورة
كليتك أنت [بين كل حمله وأخرى فبره تريت] لهذا دل
كبدك.. هذا هو قلبك.. ولكن القلب منك

أُسند عطياً مم تبينه الصورة [نم يمضى كنوك يهدوء
ليعيد اللوحات إلى مكانها] .

الفنى الأول : [سخل سديد] إذن ينبغي أن أنقطع عن سرب
الخمر..

كنوك : هذا شأنك.. افعل ما تراه.

[لحظه صمت]

الفنى الأول : هل هناك دواء أتناوله؟
كنوك : لا فائدة فى ذلك أبداً [إلى الفنى الثانى]: جاء
دورك الآن..

الفنى الأول : إن شئت يا حضرة الدكتور عدت للكشف
أدفع أجره..

كنوك : لا فائدة من ذلك أبداً..

الفنى الثانى : [وهو منكش متصائل] إننى يا حضرة الدكتور
لا أسكو من أى مرض..

كنوك : وكيف تعرف ذلك؟

الفنى الثانى : [يتراجع وهو يرتعد] صحتى على ما يرام يا حضرة
الدكتور.

كنوك : إذن لماذا جئت؟

الفنى الثانى : [دور أن تتعبر حالته] لأصحب رفيقى..

كنوك : ألبس هو بالرجل السيد مملك زمام نفسه
فأبى وحدى؟ هبنا انقلع ملابسك.

الفى البانى : [يتحه للباب] كلا.. كلا يا حضره الدكور، لس
البوم، سأعود يا حضره الدكور، [صم].
كنوك : [يفتح الباب، تسمع صحه الأهالى وهم يصحكون من سابق
ويترك كنوك الفس مران فيحرجان وعلى وجهيهما علامات
متنانه تنم عن الإعياء والهلح بم سمان الرحام وقد هبط عليه
وحاه صم جنائرى].

الفصل الثالث

الردهه الكبيره فى هندى المفتاح، بها كل علامات محول هندى مدينه فى الريف إلى هندى محصص للاستشفاء، لا يرال نافيًا على الحدراں «تائج تبين تاريخ اليوم» وعليها أسماء مهندسها من سركاب سع الحمور، إلا أن العن تقع على مقاصص وحوافى الأثاث مكسوه بالنيكل والحدراں مطليه بدهان أبيض، ومناسف بيص معمه]

المشهد الأول

مدام ريمى - سيبون

مدام ريمى	: هل وصلت العربيه نا سيبون؟
سيبون	: نعم يا سدى.
مدام ريمى	: قبل إن الطريق سدده اللوج..
سيبون	: المسأله بسيطه لا نزيد التأخر عن ربع ساعه.
مدام ريمى	: لمن هذا المناع؟
سيبون	: لسيده من لبفرون . جاءت للكشف عليها..
مدام ريمى	: ولكننا حسبناها لا تصل إلا هذا المساء..
سيبون	: هذا خطأ فإن السدده القادمه هذا المساء هى من سان مارسيلان.

- مدام ريمى : وهذه الحقيبة ؟
 سيبون : هي حقيبة «أبو كسورة»..
 مدام ريمى : كيف؟ مسو يارباليد هنا؟
 سيبون : هو فادم خلفى بمسافة خمسين مترا..
 مدام ريمى : ما هو غرضه من المجيء؟ لاستعيد عبادته
 بالطبع..
 سيبون : ربما جاء يطلب الكسف عليه.
 مدام ريمى : ولكن لم يبق عندنا من حجر خاليه إلا الحجرة
 رقم ٩ ورقم ١٤، وقد حجزت رقم ٩ للسيدة
 القادمة من سان مارسيلين، وستكون الحجرة
 رقم ١٤ للسيدة القادمة من ليهرون، فلماذا لم
 تقل «لأبو كسورة» إنه لن يجد له حجرة
 خالية؟
 سيبون : لأنى كنت أعلم أن الحجرة رقم ١٤ الخالية
 أصبحت محجوز للسيدة القادمة من ليفرون..
 وما كان لى بغبر تعليمات أن أفاضل بينها وبين
 «أبو كسورة»..
 مدام ريمى : هذا سىء يضايقنى جداً.
 سيبون : دبرى أنت حلا للإشكال أما أنا فنبغى أن
 أنصرف لخدمة المرضى..
 مدام ريمى : لا لزوم لذلك يا سيبون انتظر مسيو ياربالد

وانسرح له أن جميع الحجرات مسغولة، فإننى
لا أستطيع أن أقول له ذلك بنفسى..

سببون : آسف يا سبدى، أصبح وبنى لا يتسع

إلا لارتداء معطفى فإن الدكتور كنوك على
وشك الوصول وعلى أن أجمع البول من
الحجرة رقم ٥ و٨ والبصافى من الحجرة رقم ٢
وأن أفسح حرارة ساغلى الحجرات رقم ١، ٣،
٤، ١٢، ١٧، ١٨ وبفيه الحجرات أيضاً،
ولا أود أن يفتح حلفه على..

مدام رعى : أفلا تحمل على الأقل متاع هذه السيدة إلى
الدور الأعلى؟..

سيبيون : والخادمه.. ماذا تفعل؟ هل «تلتزم» اللؤلؤ؟.

[يخرج سيبيون من المسرح ويحدو مدام رعى حدوه حتى ترى
بارباليد قادماً].

المشهد الثانى

بارباليد وحده ثم تأنى إليه الخادم

بارباليد : ألا يوجد أحد هنا؟ مدام رعى! سيبيون! هذا

سئء محير، ها هى حفيبتى وجدتها على الأقل..
سببون..

- الخادمة : [تدخل وهي في ثياب المرضات] سيدي ماهو طلبك؟
- بارباليد : أريد أن أرى صاحبة الفندق..
- الخادمة : لماذا يا سيدي؟
- الدكتور : لتعطيني حجره..
- الخادمة : أنا لا خبر عندي، هل أنت من المرضى الذين طلبوا حجز حجره لهم!..
- الدكتور : إنني لسب من بين المرضى يا آنسة.. إنني طبيب!..
- الخادمة : آه.. جئت تعمل مساعداً للدكتور؟ الواقع أنه في حاجه إلى من يساعده..
- الدكتور : ولكن.. ألا نعرفيني يا آنسة؟
- الخادمة : كلا.. أبداً..
- الدكتور : الدكتور بارباليد! كنت ليلانه أسهر خلب طبيب سان موريس، لاسك أنك لست من أهالي البلد..
- الخادمة : كلا بل إنني من أهالي البلد، ولكن ما كنت أعلم أنه كان بها طبيب قبل الدكتور كنوك [لحظه صمت] عن إذكك يا سيدي، السبده صاحبه الفندق سأتى إليك ولا ريب، فإنه أمامي أن أعقم أكباس الوسائد.
- الدكتور : هذا الفندق أصبح له وجه عجيب..

المشهد الثالث

بارباليد - بم مدام ريمى

مدام ريمى : [تسترق النظر] إنه لا يزال باقيا [ثم تقرر قرارها]
صباح الخير يا مسيو بارباليد، أرجو ألا تكون
قد أتيت تطلب سكناً عندنا.

الدكتور : أى نعم، كيف حالك يا مدام ريمى..
مدام ريمى : على أحسن حال.. ليست لدينا حجرة واحدة
خالية..

الدكتور : هل اليوم هو يوم السوق؟
مدام ريمى : كلا.. إنه ليس يوم السوق..
الدكتور : وكل الحجرات عندك مشغولة فى يوم هو ليس
يوم السوق؟ ولم كل هؤلاء، هؤلاء الناس
إذن؟

مدام ريمى : مرضى..
الدكتور : مرضى؟
مدام ريمى : نعم أناس تحت العلاج..
الدكتور : ولماذا يقيمون عندك؟
مدام ريمى : لأن سان موريس ليس بها فندق غير هذا

الفندق، ومع ذلك فلا أحسبهم سئى البخت
أن نزلوا عندنا انتظاراً لإقامة المبنى الجديد،
فإن علاجهم يسم هنا، ونحن نتبع بدفه كل
العليمات الطبية الحديثة..

: ولكن من أين جاءوا؟

الدكتور

: المرصى؟ إنهم منذ وقت يأتون من كل حدب
وصوب ومن قبل كانوا أناساً غرباء على سفر.
: لا أفهم سئاً..

مدام ريمى

الدكتور

: نعم مسافرون نزلوا سان موريس لعمل لهم
وبلع أسماعهم اسم الدكتور كنوك من أهالى
البلد كلهم، فحدوا أنفسهم أن ينهزوا
الفرصة وبطلبوا استسارنه، وبالطبع كانوا
يجهلون حالتهم من الوجهة الصحية وإن
خامرهم سك، بأنهم ربما يعانون مرضاً من
الأمراض، وإذا لم يكن حسن حظهم فدقدهم
إلى سان موريس لكان نفر منهم قد أهل عليه
التراب اليوم..

مدام ريمى

: ولماذا كانوا سيموتون؟

الدكتور

: لأنهم فى غفلتهم عن حالتهم الصحية كانوا
سبداومون على شرب الخمر والنهام الطعام
وارتكاب مئات من الحماقات الأخرى.

مدام ريمى

الدكتور : وكل هؤلاء المسافرين بفوا هنا ؟
مدام رمى : نعم، فإنهم كانوا إذا عادوا من زيارة الدكتور
كنوك سارعوا إلى الرفاد في فراشهم وبدءوا
العلاج، أما اليوم فالحال لم يعد كذلك، فإن
النازلين عندما قد قاموا بالرحلة إلينا خصبصاً،
ومما يكرهني أن الحجرات لا تكفيهم وسنسب
مبنى آخر..

الدكتور : هذا سيء عجيب جداً..
مدام رمى : [بعد تفكير] حقا إن ما تراه يبدو ولا ريب سيئاً
عجيباً لك أنب، ولو كانت لك حياة مثل حياة
الدكتور كنوك لدعوب الله أن ينقذك..

الدكتور : هيه.. وكف حياته هو إذن ؟
مدام رمى : حياة رجل محكوم عليه بالأشغال الساهرة،
فما يكاد ينهض من فراشه حتى بجري يؤدي
زيارته، وفي الساعة العاسرة يأبى للفندى
وستراه بعد خمس دقائق، ثم يثوب إلى عبادته
فيستقبل المرضى، ثم يخرج من جديد يؤدي
زيارته، من أول المركز إلى آخره، لا أنفى أن
لديه سيارة: سيارة جديدة فخمة يقودها
بسرعه كبيرة، ولكنى وافقه أنه نمر عليه أحيان
كثيرة تقتصر فيها وجبة الغذاء على

«ساندويتش» واحد..

الدكتور : يحدث لي أيضاً في اليوم أن أكتفى
«بساندويتش»..

مدام رعى : آه كان في إمكانك هنا أن تنعم بحياة محتسمة
هادئة [تميل لداعته] أتذكر لعبك «للبلياردو» في
مقصف الفندق؟

الدكتور : لا مفر من الاعتقاد أن الناس كانوا في زمان
يتمتعون بصحة أحسن..

مدام رعى : لا تقل هذا يا مسيو بارباليد، إن الناس هنا
كانوا لا يبالون بعلاج أنفسهم، هذا هو
الفرو، هناك ظن بأننا أهل الريف أناس
أجلاف لم يتمدنوا، وأننا لا نبالي أقل مبالاة
بسلامة الأبدان، وأننا ننتظر حتى تأذن ساعتنا
فنتفق كما ينفق الحيوان، وأن الدواء والعلاج
والأجهزة الطبية وكل مبتكرات المدنية الحديثة
هي جديرة بسكان المدن، هذا خطأ يا مسيو
بارباليد، فإننا لا نقل في تقدير أنفسنا عن
بقية الناس، وإذا كان الواحد منا لا يجب أن
يذر نقوده، فإنه لا يتردد أن يدفع من
ما لا غنى عنه، أما أنت يا مسيو بارباليد
فلا تتصور الفلاحين إلا كما كانوا في الماضي

يتعاملون بالملئيم لا بالفرس ويفضلون فهد
عين أو ساق على سراء دواء ببلايه فرنكاف،
لهذا تغيرت الأحوال والحمد لله .

باربالييد

: ليكن الأمر كذلك، فإذا كان الناس أصبحوا
يضيئون ذرعاً بحسن صحتهم ويريدون التمتع
بفخفة عد أنفسهم من المرضى، فهم يخطئون
إذا لم يحققوا غرضهم دون أن يباليوا بأي شيء
آخر، ثم إن هذا كله مكسب للطبيب.

مدام ربي

: [وهي تحتد] على كل حال لن يسمح لك أحد أن
تصف الدكتور كنوك بأنه رجل يجري وراء
مصلحته الشخصية، فإنه هو الذي بدأ لأول
مرة العيادة المجانية التي لم تكن نعرفها هنا،
أما عن ذهابه لزيارته مريض، فإنه لا يطلب
أجراً إلا ممن هو قادر على دفعه، ولو فعل غير
ذلك لكان فعله مدعاه للأسف، ولكنه لا يقبل
شيئاً من الفمراء، إن الناس ساءده يقطع
المركز بطوله ينفق عسره فرنكاف نمنا
للبنزين تم يفف بسباريه الفخمة أمام كوخ
عجور ففبر لا يمتلك حتى قطعة جبن من لبن
الماعز لتعطيتها إليه، ولا ينبغي كذلك التلميح
بأنه يقنع الأصحاء بأنهم مرضى، فأنا أول من

أسهد على نفسي بأننى جعلته يكسف علىّ ربما
عسر مرات مند أن أصبح يأنى للفندق كل يوم
وفى كل مرة يكسف على بنفس الصبر والأناه
من الرأس إلى القدم مستعيناً بكل أدواته
وأجهزه ويكرس لى ربع ساعه على الأقل
وكان يقول لى فى كل مره إننى غير مصابه
بمرض وأنه لا داعى للقلق، وما علىّ إلا أن
أتمنع بماكلى ومسرّبى وحاولت جهدى أن أدفع
له أجراً ولو مبلغاً قليلاً، فكان بأبى، وإنه يخص
مسو برنار المدرس بنفس المعامله بعد أن
استحوذت عليه فكرة أنه من حاملى
المكروبات، واسودت الحياه فى عننه، فمن
أحل بظمنه لم يتراجع الدكتور كنوك عن
نخليل برازه نلاب مرات ولكن ها هو
ذا مسو موسكبه فادم بعد أن أخذ فى حضور
الدكتور عينه من دم ساغل الحجرة رقم ١٥،
وممكنك النحدث إليه [بعد فتره تفكير] بم اعطنى
على كل حال حصبك وسأدبر لك مسكناً..

المشهد الرابع

باربالد - موسكبه

- موسكبه : [أصبح يرتدى حله من آخر طرار]الدكتور غبر
موجود هنا؟ آه.. الدكتور باربالد؟ كأننى
أرى سباحاً وأيم الحق، لقد رحل عنا منذ أمد
بعيد.
- باربالد : بهذا القدر بدا رحبلى بعيداً؟ كلا.. فما رحلت
إلا منذ ثلاثة أشهر.
- موسكبه : هذا حق، ثلاثة أشهر، سىء مدهس [يقول بلهجه
عطف] أنت مسرور فى ليون؟
- الدكتور : مسرور جداً..
- موسكبه : آه.. الحمد لله.. لعلك وجدت بها عيادة لها
زبائن المخلصون.
- الدكتور : هيه.. وزدتهم بنسبة الـثلث، صحه مدام موسكبه
طبية؟
- موسكبه : أحسن من الأول بكثير..
- الدكتور : هل كانت مريضه؟

موسكيه

: ألا تذكر هذا الصداع الذى كانت تسكو منه
فى أكر الأيام؟ لعلك لا تذكره لأنه لم يكن فى
اعتبارك سيئاً مهياً، ولكن ما كاد الدكتور
كنوك يفحصها حتى اكتشف أنها تعاني من
نقص فى إفرازات المبايض ووصف لها علاجاً
بالمرمونات كان مفعوله مدهشاً.

الدكتور

: هل انقطع ألمها؟

موسكيه

: لم يبق أثر لهذا الصداع القديم، أما ثقل
الرأس الذى لا يزال نتابها فغير ناتج إلا من
الإجهاد وهو ظاهرة طبيعية، ذلك أننا أصبحنا
مرهقين بالعمل وسأستعين بمساعد صيدلى،
فهل تعرف واحداً يعتمد عليه توصينى به؟
: كلا، ولكن سأجعل طلبك فى بالى..

الدكتور

موسكيه

: آه، لقد انقضت تلك المعيسه الهادئه الى كنا
نعيسها فى الماضى، وما فورك أنتى حى وأنا
أوى إلى فراسى فى الساعه الحاديه عسره
والنصف مساءً لا أكون قد أنجزت محضر كل
الروستاب؟

الدكتور

موسكيه

: باختصار قد وقعت على منجم من الذهب..
: أوه، من المؤكد أننى ضاعفت دخلى خمس

مران، وحاسا لى أن أسكو من ذلك، ولكن لى
أسباباً يحملنى على الرضا لأنى يا عزيزى
الدكتور بارباليد أحب مهنتى وأحب أن أسعر
أننى رجل مفيد وكبره العمل تسرنى أكر من
فراع يسلمنى إلى التفكير فى همومى، مسأله
مزاج، ولكن ها هو ذا الدكتور فادم..

المشهد الخامس

بارباليد - موسكبه - كنوك

كنوك	: سلام عليكما، صباح الخير يا دكتور بارباليد،
	كنت أفكر فبك، هل كانت رحلتك طيبه؟
الدكتور	: طيبه جداً.
كنوك	: هل جئت بسيارتك؟
الدكتور	: كلا، بل بالمطار..
كنوك	: حسن، جئت لفبض الفسط.. ألس كذلك؟
الدكتور	: المسأله أننى حثت، ولا بأس أن أسهر
	الفرصه..
موسكبه	: أنرككما نا ساده [إلى كنوك] سأصعد إلى الحجرة
	رقم ١٥..

المشهد السادس

باربالد - كنوك

- الدكتور : لن تتهمنى الآن أننى ضحكك عليك..
- كنوك : على الأقل كانت هذه نيك با زمبلى العزيز..
- الدكتور : أنب لا ننكر أننى نخلت لك عن عيادى وأنها عياده ساوى الكئبر..
- كنوك : أوه.. كان فى مقدورك أن تبقى عليها، إذن لما ضايق أحدنا الآخر.. هل أنبأك مسو موسكه بالنائج الأولى؟
- الدكتور : نعم.. حدونى عنها..
- كنوك : [سب فى محفظه النفود] سأطلعك بصفه سرية بيننا على بعض الرسوم البيانية التى أعددها، وستجد لها سهوله علافة بالحديد الذى دار بيننا منذ ثلاثة أشهر.. لتكلم عن العادة، أولاً: هذا الخط البيانى يميل عدد المترددى على العيادة أسبوعياً، وبدأ الخط من نقطة تميل هذا العدد أبامك، وكنت لا أعرف هذا العدد وهدرته بخمسة أنسخاص.

بارباليد

: خمسة أشخاص في الأسبوع؟ ليس بمبالغه منك إذا فلب إنهم كانوا ضعف هذا العدد على الأقل يا زميلي العزيز.

كنوك

: فليكن.. ها هي أرقامى أنا، وهى بطبيعته الحال لا تشمل الكسف المجانى يوم الاثنين: منتصف أكتوبر: ٣٧، آخر أكتوبر: ٩٠ آخر نوفمبر ١٢٨، آخر ديسمبر: لم أجمع العدد بعد، ولكن الرقم سيزيد عن ١٥٠، وعلى كل حال فإننى سأعدل تضيقى الوفت عن الاهتمام بنمو عدد الاسسارات ولن أعنى إلا بالمنتفعين بعلاج طويل، فإن الكسف فى العياده لا يستحوذ إلا على نصف اهتمامى، فهذا فن ساذج يشبه الصدد بالشيكه، أما العلاج الطويل فيسبه زرع صغار السمك فى مياه الصيد.

: عفواً يا زميلى العزيز.. هل أرقامك ديفه غاية الدفة؟

الدكتور

كنوك

الدكتور

: نعم.. غاية الدفة..
: معنى هذا أنه تأيً فى أسبوع واحد أن قبل ١٥٠ شخصاً من أهالى مركز سان موريس تكبد مسفه الانتفال من متازلهم للوقوف فى صف أمام باب العباده وفى بدهم أجر الكسف،

لم يوت بهم بالقوة أو بأثر ضغط ما..
: لم تكن في حاجه للاستعانة لا بقوة البوليس
كنوك ولا بقوة الجبس..

: سسعى على أن أجد لذلك نفسراً.
: لنمض في متابعه الخط البياني الذي عمل عدد
كنوك المرضى تحت العلاج، أول أكتوبر: كانت
الحاله كما تركها لى: عدد المرضى الذين
بداومون على العلاج في منازلهم، العدد: صفر
أليس كذلك؟ [بيدى الدكتور مارباليد حركه تنم عن
تبرمه بعد حماس بالموافقه] - آخر أكتوبر: العدد
٣٢، آخر نوفمبر: العدد ١٢١، آخر ديسمبر:
سبتراوح العدد بين ٢٤٥، ٢٥٠..

: يخل إلى أنك نحسبني ساذجاً..
: أما أنا فلا أجد أنها أرقام عاليه جداً،
كنوك فلا تنس أنه يوجد بمركز سان موريس ٢٨٥٣
منزلاً، من فاطنيها ١٥٠٢ أسرة بريد دخل كل
واحد منها على ١٢,٠٠٠ فرنك.

: وما سأن دخل الأسر في الأمر؟
: [يتحه إلى حوض العسل] لا مجال أن تفرض عبء
الدكتور كنوك مريض مزمن على أسرة لا يبلغ دخلها انى
عسر ألف فرنك، فهذا جور غسوم، أما عن

الأسر الى لها هذا الدخل، فكذلك لا محال
للفكير فى تطبيق حظه واحده عليها، فجعلتها
من أربع درجات، فالخطة المرسومه لأدنى
الدرجات هى للأسر التى ينراوح دخلها بين
١٢,٠٠٠، ٢٠,٠٠٠، ولا تتضمن إلا زياده
واحدة كل أسبوع وخمسين فرنكاً تقريباً فى
كل شهر لمن الأدوية، والدرجه العليا -
درجه «اللوكس» - هى للأسر التى بعلو
دخلها على ٥٠,٠٠٠ فرنك، فهى تتضمن أربع
زيارات فى الأسبوع على الأقل، وبلاب مائه
فرنك شهرياً للمصاريف المخلفه: أسعه
إكس، علاج بالراديو تدليك كهربائى..
تحليل.. إلخ.. إلخ.

: ولكن كيف تعرف دخل زبائنك؟
: [بدأ غسل يديه بعناية فائقة] بى أننى لا ألقأ لمأمور
الضرائب وحسناً أفعّل، فعلى حى أننى
أحصيت ١٥٠٢ دخلاً يزيد على ١٢,٠٠٠
فرنك، فإن عددها المقدر عند مأمور الضرائب
لا يزيد على ١٧ فقط، وأكبر دخل مبيت فى
إقرار مقدم له لا يزيد على ٢٠,٠٠٠ فرنك،
وحقيقة هذا الرقم عندى هى ١٢٠,٠٠٠

الدكتور
كنوك

فلا نطابق قط بين إحصائياتي وإحصائياتك،
وماذا يهم مأمور الضرائب؟ لا تنس أنه
موظف حكومة..

: ولكن من أين ستفى معلوماتك؟

الدكتور

: [يتسم] من مصادر عديدة، إنه عمل ليس بالهين
سغنى طوال شهر أكتوبر بأكمله، وأننى
أصحح الأرقام باستمرار، انظر إلى هذه -
حلوة.. ألبس كذلك؟

كنوك

: كأنها خريطة للمركز، ولكن ما معنى هذه
العلامات الحمراء؟

الدكتور

: إنها خريطة التغلغل الطبى، فكل علامة حمراء
تدل على مكان مريض غير منقطع،
ولو اطلعت على هذه الخريطة قبل شهر واحد
لكنت رأيت هنا بقعة ملونة بلون رمادى هى
بقعة سابيرير.

كنوك

: ماذا؟

الدكتور

: نعم هذا هو اسم المربة التى تقع وسط هذه
البقعة، وهى التى وجهت إليها أول عنايتى فى
الأسابيع الماضية، أما اليوم فإن البقعة لم تختف،
بعد، ولتأها مساحتها أجزاء، أليس كذلك؟

كنوك

ونظرتك لا تتبين هذه البقعه إلا بعد تدفؤ

[فتره صمت]

: حتى لو أردت أن أخفي عنك دهستى يا زملى
العزیز لما استطعت، ومحال لى أن أسك فى
ننائجك، فقد سمعت بأبدًا لها من كل جانب،
أب رجل مدهس، وقد ينكص غيرى من
الأطباء عن أن يصارحك بمثل هذا الرأى وهم
بيطنونه وإلا لما كانوا أهلا لحمل لقب دكتور،
ولكن أسمح لى أن أفصح وأوجه إلبك سؤالا
واحداً؟

الدكتور

: تفضل..

كنوك

: إن انتكرب خطه مل خطتك وأصبحت فى
قبضة يدى كما هى فى قبضة يدك وإن أصبح
كل ما يبقى على بعد ذلك هو تطبنفها.

الدكتور

: نعم..

كنوك

: ألا يساورنى سىء من تقريع الضمير؟ [صمت]
إنى أننظر إجابتك..

الدكتور

: بجبل إلی أن الجواب مرده إلبك أنب..

كنوك

: لاحظ أننى لا أطلع بسىء، إعا أنرب مسأله
.. الله جداً ..

الدكتور

: سبباً أو أفص، عن غرضك هو حوسه أكر.

كنوك

- الدكتور : ستمول إننى رجل متسدد معمد، ولكن
ألا تكون مصلحة المريض طبياً لخطتك هى فى
المحل الثانى بعد مصلحة الطبيب؟
- كنوك : يا دكتور بارباليد، أنت نسى أن هناك مصلحة
أسمى من هاتين المصلحتين..
- الدكتور : وما هى؟
- كنوك : مصلحة الطب ذاته، فهى المصلحة الأولى التى
أهتم بها [ص، بارباليد مستغرى فى التفكير].
- بارباليد : نعم.. نعم.. نعم.
- [واسدء من تلك اللحظة إلى هاية المسرحيه تتحول إصاءه
المسرح شيئاً فشيئاً إلى إصاءه العادات والمستعصبات، وتغلب
عليها كالعهد بها الأنوار الخضر والبفسحه مدرجه تفوق
أنوار دور بفيه خلق الله].
- كنوك : أنت سلمنى مركزاً بسكنه عدة آلاف بفون
من الطب على الجباد لا قرار له، فمهمنى هى
أن أدفعهم إلى اتخاذ الفرار، أن أحملهم إلى أن
يكون وجودهم فى الحياه وجوداً طبيئاً، فأجعلهم
يلزمون الفراش وأنظر ما ينجم عن هذا
الرفاد من سفور مريض بالسل أو مرض
بالاضطراب العصبى أو بنصل السرايين:
إنسان مريض أياً كان، ولكن إنساناً مريضاً

على كل حال، ولا سىء يضايبنى أكر من هذا
الذى لا هو طالع ولا نازل، أى الرجل الذى
لا يسكو من مرض كما يقال.

الدكتور : ولكنك لا تستطيع أن نجعل المركز كله يرقد فى
الفراش..

كنوك : [وهو يشف يديه] هذه مسأله ممكن مناقستها، فإنى
أعرف خمسة أفراد من أسره واحده مرضوا
جميعاً ولزموا الفراش فى وقت واحد، ومع ذلك
لم ترتبك حيانهم، واعراضك هذا يذكرنى
بهؤلاء الأساتذه فى علم الافتصاد الذين
يزعمون أن الحرب الحديده لا ممكن أن تطول
أكر من ستة أسابيع، والحقيقه أننا جميعاً
تنقصنا الشجاعه، ولا بجرؤ إنسان حتى ولا أنا
على الماضى إلى أقصى المدى فيجعل كل
الأهالى يلزمون الفراش لانتظار سفور المرض
فليكن، إنى أوافك على أنه ينبغى أن يظل
هناك أناس أصحاء ليعنوا على الأقل
بالآخرين، أو لؤلّفوا فوه احتياطيه وراء
جبش المرضى المسغولن بأمراضهم، ولكن
الذى لا أحبه أن نتم الصحه عن التحدى فإن
هذا كما ينبغى أن تعترف أنب سىء لا يطاق،

لذلك نحن نغمض العين على بعض الحالات،
ونترك على وجوه بعض الناس فناع الصحة،
أما إذا جاءوا فيما بعد يتبخرون أمامنا
ويهزءون بنا، فإنى محق أن أغضب، وهذا
ما حدث هنا لمسبو رافالنس..

الدكتور

: آه هذا العملاق؟ هذا الذى يفاخر بأنه
يسنطيع حمل حماته على ذراعيه الممدودين؟
: نعم، إنه ظل يتحدثانى بلاله أسهر سم وقع فى
بدى..

كنوك

: ماذا؟

الدكتور

: والآن رافد فى الفراش لأن جعجعته بدأت
تضعف عند الأهالى ذهنهم الطبي.

كنوك

: ولكن نبفى بعد ذلك مسكلة عويصة..

الدكتور

: ما هى؟

كنوك

: أنت لا تفكر إلا فى مهنة الطب ولكن ماذا
عسى أن تكون عليه حالة بقية المهن؟
ألا نخشى أن يودى نعيم بطبق خطتك إلى
تراخ بين فى مختلف أوجه النشاط الاجتماعى،
مع أن بعضها له أهمية

الدكتور

: لا، هذا من سائقى، فأنا لا أسهر
إلا بالطب..

كنوك

الدكتور

: صحيح أن المهندس وهو ينسىء سكك حديديه
لا يسأل نفسه عما عساه يكون رأى طبيب
الفرية..

كنوك

: لا فضل فوقك [سحه إلى مؤخره المسرح ويقترّب من
النافده] تعال يا دكتور بارباليد، ألى نظره من
هنا، أنت تعرف المسهد الذى يطالع من يطل
من هذه النافده ولا نسك أنه لم يفتك أن تتملى
من هذا المنظر بين دورين من أدوار لعب
البلياردو الذى كنت مغرمًا به، فأمامك على
بعد، ربوه أليجر الى ينهى إليها حدود
المركز، وعلى البسار قريه مسكلا وتريبور؛ وفي
هذه الناصبه، لو لم يكن مساكن سان موريس
قد تضخمت كالورم، لكننا أبصرنا كل دساكر
الوادى متتاليه واحده بعد أخرى. لا سك أنه
لم يستأر بنظرك إلا جمال المنظر الطبيعى
الذى أنت به مسغوف، كنت تراه كصعيد ريف
غلبط الطبع لا تكاد الحباه تدب فيه، وهأنذا
اليوم أقدمه لك، وقد يغفل الطب في أرجائه،
وهبت النيران التحبه لمهنتنا بقليله وسرى في
بنبائه، وفي أول يوم ركزت نفسى هنا - أى
في صبيحه، يوم وصولى - كنت أبعد من أن

يتملكنى الزهو إذ سمرت أن وجودى هنا لن
يؤبه له كسرًا، فستقف فى الأرض الساسعه
عرض عنى وعن أمالى بوفاحة. أما اليوم
فإنى مطمئن مستريح لمكانى بها كما يطمئن
العازف المحنك لآلته، وأمامك مائه وخمسون
منزلاً قد لا تراها كلها بسبب البعد وستور
الأسجار، إن بها مائتين وخمسين حجرة، فى كل
واحدة منها شخص يؤمن بالطب، أو بعبارة
أخرى بها مائتان وخمسون فراشاً يتمدد فوق
كل منها جسد يسهد بأن الحياة لها معنى هو
بفضلى أنا معنى طبي، ويزداد المنظر بهاء بالليل
حين تضاء الأنوار والفضل فى أغلب هذه
الأنوار راجع إلى، أما غير المرضى فيرفدون فى
الظلمات وقد أسقط حسابهم، ولكن المرضى
قد استبفوا نور مصباح أو سمعة. وكل ما بقى
على هامس الطب فقد خلصنى الليل منه ومن
مضايقته ومحديه. وينقلب المركز كله بالليل إلى
فلك أنا خالعه الدائم وهأنذا لم أحدثك بعد
عن نوافيس الكنائس، أعلم أن وظيفتها
الأولى لهذا الخلق كله أصبحت أنها تذكرهم
بمواعد تناول الدواء، وفرعها هو نداء

تعليماني، تصور أنه بعد بضع لحظات ستدق
الأجراس معلنة حلول الساعة العاسرة،
والساعة العاسرة عند جميع مرضاي هو موعد
قياس الحرارة للمرة الثانية من السرج، أى
بعد بضع لحظات ستتخذ مائتان وخمسون
ترمومترا أماكنها في وقت واحد..

: [وقد غلب عليه التأثير يسك ذراع كنوك] يا زميلي العزيز
لى اقتراح أريد أن أقدمه إليك..

الدكتور

: ما هو؟

كنوك

: إن رجلا مثلك لا يجد مكانه الجدير به في مركز
بالريف بل تلزمك مدينة كبيرة..

الدكتور

: سأفوز بها عاجلا أو آجلا..

كنوك

: ولكن حذار، أنت الآن في ذروة قواك، لن
عمضى بضع سنوات حتى تكون قد وهنت، هذه
هى تجربتى فتق بها.

الدكتور

: إذن؟

كنوك

: إذن ينبغي لك ألا تنتظر..

الدكتور

: هل تعلم مكانا كالذى تعنيه تدلنى عليه؟

كنوك

: مكانى أنا؟ أنا أعطيه لك، وما بعد ذلك برهان
على إعجابى بك.

الدكتور

: نعم، وأنت ما هو مآلك؟

كنوك

الدكتور : أنا؟ أنا سأقنع بالعمل من جديد في سان

موريس..

كنوك

: نعم..

الدكتور

: بل سأذهب إلى أبعد من ذلك.. فقد بقى عليك

عده آلاف من الفرنكات دبنا لى فى ذمتك
سأنازل عنها هدية منى إلبك..

كنوك

: نعم.. فى الحقيقة أنك لست غرًا كما قد يظن
بك..

الدكتور

: وكيف؟

كنوك

: أنت لا نحسن الإنتاج، ولكنك تجيد البيع
والسراء، وهذه هى صفة الباجر..

الدكتور

: أؤكد لك.

كنوك

: بل إنك فى هذه المسألة بالذات تثبت أنك تجيد
أيضًا فهم النفوس، فقد حسبت أن هيامى
بالمال سينفضى لحظة تدفقه علىّ، وأن تطبيق
خطتى فى التغلغل الطبى على حى واحد أو
اثنين من أحياء لون، كفىل أن ينسينى رسومى
البيانية عن سان موريس، آه، نعم، ليس فى
نيتى أن أبقى هنا حتى تركبى السبخوخة
ولكن شتان بين هذا وبين أن أرتقى على أول
عرض يقدم إلىّ..

المشهد السابع

كنوك - باربالد - موسكيه

[موسكيه يحترق الصاله متسللا ليخرج، يستوففه كنوك]

: اقترَب يا صديقي، أتعرف ماذا يفترح علىّ
الدكتور بارباليد؟ أن نبادل ببنا العيادتين
فأذهب أنا إلى ليون ويعود هو إلى هنا.

: هذه دعابه..

: أبداً، بل هو عرض جدى جداً..

: كأني سقطت من شاهق، ورفضت العرض
بطبيعة الحال..

: ولماذا يرفضه الدكتور كنوك؟

: [موجهًا الحديث إلى الدكتور بارباليد] حين يكون البدل

هو النزول عن بندقية نمنها ألفتان من

الفرنكات نظير مسدس قديم فإن من عادة

العقلاء غبر المغفلين أن يرفضوا مثل هذا

البدل، فكان في إمكانك أن تقترح على

الدكتور كنوك تبادل السيارات..

: أرجو أن تتق بأني أملك في ليون عيادة من

كنوك

موسكيه

كنوك

موسكيه

الدكتور

موسكيه

الدكتور

الدرجة الأولى، فقد خلفت فيها الدكتور

مارلو، وكانت له فيها سهرة مستفيضة..

: هذا كلام كان يصح لو قيل منذ بلانه أسهر،

ففى بلانه أسهر، يقطع السائر شوطاً فى

الطريق هو للنازل أطول منه للصاعد [إلى

كوك]: ثم إن أهالى سان موريس يا عزيزى

الدكتور لن يقبلوا أبداً..

: وما دخلهم فى هذه المسألة؟ نحن لن نسألهم

رأيهم..

: ولكنهم سيصارحونك به، ولا أزعم لك أنهم

سيعمدون إلى إقامة المتاريس فى وجهك، فإنها

ليس من عادة أهل هذا البلد، وشوارعهم

غير مبلطة ولكن أهالى البلد يستطيعون

تشبيعك إليها [يشاهد مدام ريبى] وعلى كل حال

فستحكم أنت بنفسك..

[تدخل مدام ريبى تحمل صفاً من الأطباق]

موسكيه

الدكتور

موسكيه

المشهد الثامن

جميع من سبق ومدام رمى

موسكبه : يا مدام رمى إليك بخبر سار، إن الدكتور

كنوك سيفارقنا، الدكتور بارباليد سيعود إلينا.

مدام رمى : [ترك الأطباء تكاد تهوى من يدها، ولكنها تلحقها قل

السقوط إلى الأرض ومحصها كرهرة على صدرها] آه..

كلا.. كلا... أقول لكم إن هذا لن يحدث أبداً

[إلى كنوك] اللهم إلا إذا خطفك ليلا بطائرة،

وإلا فإني سأبلغ النبأ إلى أهل البلد ولن

يتركوك ترحل، وما أسهل عليهم أن يخرفوا

إطار سيارتك، أما فيما يتعلق بك أنت يا مسيو

بارباليد فإن كان هذا هو الغرض الذي جئت

من أجله فيؤسفني أن أبلغك أنني لا أجد لك

حجره خالية عندي، وبالرغم من أننا في عز

الشتاء فلا مفر لك من النوم في العراء [تنحى إلى

مضدة لضع أطاقها عليها]

الدكتور : [وهو في شدة التأثر] طيب.. طيب.. إنها فضيحة

مخجلة أن يكون هذا هو شعور هؤلاء الناس

نحو رجل كرس لهم خمساً وعشرين سنة من
حياته، ما دام لم يبن في سان موريس محال
إلا للدجالين فإنني أفضل كسب قوني بشرف
في لون، أكسبه بسرف وبوفرة أيضاً، وإذا
كنت قد فكرت لحظة في أن أسترجع عيادتي
القديمه فلأن صحة زوجي وأقوالها بلا خفاء لم
يوافقها هواء المدن الكبيره، يا دكتور كنوك
دعنا نصفى الحساب في أقرب وقت لأنى
سأرحل هذا المساء..

: حاننا أن ترضى إهانتنا، إن مدام ريمى في
دهشتها لسماع خبر هو في الحفقه غير صحيح
وبسبب ما لحفها من دعر أن تسقط أطباقها،
لم تستطع ضبط لسانها، إن كلامها لم يحسن
التعبير عن فكرها، وها أنت ذا ترى بنفسك
أن مدام ريمى بعد أن اطمأنت على سلامه
أطبافها قد استعادت سماحها وأصبحت
عينها لا تنطفان إلا بما تكنه لك هى وأهل
سان موريس جميعاً من عرفان بالجميل لهذه
الخدمة الصامه التى كرس لها حياتك بينهم
طوال خمسة وعشرين عاماً..

: هذا أكيد، وعهدنا به دائماً أنه رجل طيب جداً،

كنوك

مدام ريمى

وكان يؤدي واجبه بيننا كأى طبيب آخر
لو كان مكانه طالما كنا نحن فادرين على أن
نعبس فى غفلة عن مزايا الطب، ولم يكن فى
ذلك ضير إلا نحن عم الوباء، فلن تزعم لى أن
طبيباً جديراً بهذا الاسم كانيترك هذا العدد
الوفير من الناس يموت فى وباء الحمى
الإسبانية.

الدكتور : طبيب جدير بهذا الاسم؟ أى كلام أصبحنا
نسمعه؟ أتظنن يا مدام ريمى أن يقدر طبيب
جدير بهذا الاسم على مقاومة وباء عالمى،
سأنك فى هذا تقریباً سأن من يطلب إلى قوة
غفر البلد مقاومة زلزال، فصبراً يا مدام ريمى
إلى الوباء القادم، لنرى إذا كان الدكتور
كنوك سيكون أكثر نجاحاً منى..

مدام ريمى : الدكتور كنوك: استمع إلىّ يا مسيو بارباليد
إنى لا أعمد إلى مجادلتك فى مسألة تتعلق
بالسيارات لأنى لا أفهم فى السيارات شيئاً
ولكنى بدأت أفهم ما هو المريض إذن أستطيع
أن أقول إن أناساً نجد الضعفاء منهم لاثنين
بالفراس هم أقدر من غيرهم على أن يواجهوا
بفدم مابتة وباءك العالمى القادم، وكما قال

مسيو برنار منذ أيام في محاضراته : المصيبة هي
التعرض لمفاجأة تدهمنا كالرعد في سماء
صافية..

موسكيه : يا عزيزى الدكتور إني أنصحك ألا تنثر هنا
خلافات من هذا النوع. فإن مقام الطب
والصيدلة قد توطد واستتب بيننا وساع إدراكه
بين الناس، واسأل من تثت بحده خصماً عنيداً
لآرائك.

كنوك : ينبغي ألا تتوه في جدل مذهبي فقد تختلف مدام
رعى والدكتور بارباليد في رأى ومع ذلك تظل
بينهما رابطة طيبة [إلى مدام رعى] ألدك حجرة
للدكتور بارباليد؟

مدام رعى : لا توجد حجرة. فكما تعلم لا يأتى لنا أن
نجد مكاناً لكل المرضى، فإذا جاء مريض
فلعلنى أنجح في تدبير مكان وأفعل المستحيل
فإن هذا من واجبي..

كنوك : ولكن إذا قلت لك إن الدكتور بارباليد ليس
في حالة تمكنه من السفر اليوم بعد الظهر،
ولا بد له من الوجهة الطبية أن يستريح يوماً
كاملاً..

مدام رعى : إذن الأمر يختلف، ولكن الدكتور بارباليد لم

يأت لطلب الكسف عليه..

كنوك : حتى ولو كان هذا غرضه، فإن واجب الكتمان

في مهنتنا يقتضي أني ألا أصرح بذلك علنا..

الدكتور : ما الذي ترمي إليه؟ إنني سأرحل اليوم بعد

الظهر وهذا كل ما في الأمر..

كنوك : [يطر إليه] يا زميلي العزيز، إنني جاد في فولي

لك كل الجد لا غنى لك عن أن تستريح لمدة

٢٤ ساعة، إنني لا أنصحك بالسفر اليوم،

وعند اللزوم سأمنعك من الرحيل..

مدام ريبي : حسن.. حسن يا دكتور، إنني كنت لا أعلم

ذلك، وسنجد لمسيو بارباليد فراساً فاطمئن،

هل ينبغي قياس حرارته؟

كنوك : سنتحدث عن ذلك وسيكاً [تنسحب مدام ريبي].

موسكيه : أترككما برهة يا سادى [إلى كنوك]: قد كسرت

إبره وسأذهب إلى الصيدلة لأخذ أخرى..

المشهد التاسع

كنوك - بارباليد

الدكتور

: قل لى.. هل هو مزاح [صم صم] على كل حال إنى سأكرك لك إذ ليس مما ترتاح إليه نفسى أن أستأنف السفر هذا المساء لمدة سمانى ساعات [فتره صم] فقد ولّى السباب وأنا أعلم بحالى [صم] إن طريفتك فى الاحتفاظ بهيئة الجدلما يدعو للإعجاب، فمنذ قليل كانت هيئتك تنم عن مكاشفتك لى بهذه الحقبعة [يهض] نعم فما نفعى علمى، إنك نمزح، ولا بصرى بخفايا أساليب الطبيب مع مريضه، نعم كانت لك هيئته ونظرة وشعرت كأنك نفذت بهما تتفحص أعمق أحسنائى، آه هذه مقدرة خارقة..

كنوك

: وماذا أفعل؟ إن هذا يحدث لى رغماً منى بعض السيء، فما أكاد أجتمع بإنسان إلا وجدتنى لا أتمالك نفسى من أن تتحرك لى شخص علة تسخيصاً مبدئياً، حنى لو كان عملى هذا لغوا

خالصاً وجهداً ضائعاً كله ولا مسوغ له.. [يسير
إليه وكأنه يكشفه سر] حتى بلغ بي الحال أننى
أصبحت منذ زمن أنحاسى النظر فى المرآة..
: ولكن هذا التشخيص ما تعنى به؟ هل هو
تشخيص عابى أم...؟

الدكتور

: ما معنى وصفه بأنه تشخيص عابى؟ لقد فلت
لك إننى إذا طالعت وجه إنسان، فإن نظرتى
ترمى رغماً عنى وبدون تفكير منى على
علامات، قد يخفى على العين حالة الجلد
والشعر وإنسان العين وسرعه النفس
وعلامات أخرى من هذا القبيل، وعندئذ أجد
جهاز استخلاص التشخيص المستقر فى
أعمافى يعمل من تلفاء ذاته، وينبغى لى أن
أضبط نفسى وإأصبح طبعى هذا سخيفاً..
: ولكن.. المسألة.. اسمح لى.. إننى أصر بطريفة

الدكتور

بلهاء قليلاً، ولكن لى دوافعى.. حينما فلت لى
إننى فى حاجة إلى راحة يوم كامل، هل كان
قولك من قبيل المعاينة أم...؟ ومرة أخرى
أقول إننى إذا كنت أصر على هذا السؤال فإن
مسلكى هذا يرجع إلى هموم قد تكون
تساورنى، فأنا لم يفتنى منذ زمن أن ألحظ أسياء

فى نفسى؁ فىانى متلهف جدًا ولو من الوجهة
النظرية البحتة أن أعرف هل جاء
ملاحظائى مطابقه لنتائج هذا التسخيص غير
الإرادى الذى ذكرت أنه أصبح من طبعك..
: يا زميلى العزيز فلنؤجل هذا البحث الآن [قرع
أجراس] الساعة تدق العاشرة؁ ينبغى لى أن
أقوم بجولتى؁ وسنتناول طعام الغداء معاً إن
أردت أن تبرهن لى على صداقتك أما عن
حالتك الصحية؁ وما ينبغى اتخاذها
فسنتحدث عنه بعد الظهر على مهل فى
عبادتى..

كنوك

[يبتعد كنوك - تنتهى الساعة من دى العاشرة - ناراليد
عارى فى التفكير وقد نهاوى على معد - يدحل سيببون
والخادمه ومدام رعى؁ يحملون أدوات طيه مألوفة ويسيرو
متتابعين فى صف واحد تغمرهم أضواء عالم الطب]

[ستار]

لَطَائِرُ الْأَرْزَقِ
أَجْدُوثَةٌ مِنْ عَالَمِ السِّحْرِ
فِي سِتَّةِ فُصُولٍ

تأليف: موريس ميترلينك

مقدمة

موريس ميتزلنك.. والمسرح الرمزي

١٨٦٢ - ١٩٤٩

بقلم: عبدالرحمن صدقي

موريس ميتزلنك - البلجيكي موطناً، الفلامنكي محتداً ونسباً،
الفرنسي مقاماً وقلماً وأدباً - شاعر من أبدع الشعراء في معانيه
وبانته، وحكيم من أكبر الحكماء في زمانه، وهو غزير الإنتاج
متنوعه، تجمع مؤلفاته بين ما يستولى على عقول الخاصة من
المفكرين، وما يؤثر في فلوب السواد من جمهور القارئ.

وتأييداً لهذه الصفة المميزة التي أوردناها في مستهل هذه
التقدمة، نجد لزماً علينا إيراد الشواهد، وتكفيها منها هنا لضيق
المقام الإسارة إلى هذين المالين من مؤلفات ميتزلنك، وهما من
جهة الموضوع جِدّ مختلفين.

الأول مبحث في التاريخ الطبيعي، وهو كتابه عن «حياة
النحل» الذي ترجم إلى جميع اللغات وتكرر طبعه مئات المرات،

والكتاب صغير في حجمه، ولكنه لا حدّ لسحره، سواء عند المتخصصين من العلماء، أو من ليس لهم في هذا الخصوص ادعاء. والعجيب في أمره أنه حوى بن دفتيه من صميم حياة النحل أكثر مما تضمنته كتب البحث العلمي، من غير أن يحمل مثلها طابع البحث العلمي. ولا خفاء في أن السر في ذلك أن صاحب الكتاب حكيم وساعر، وقد صاحب النحل زهاء نصف قرن من الزمان لأنه من هواة تربيته، فهو قد اعتمد في كتابه على طول المساهدة والدرس، ولكنه فوق ذلك كان في خلوصه إلى الحقائق يتلقاها بقلب العاشق، ويتعمقها بعقل الحكيم، ويروها بلسان الشاعر. فلا غرو أن يسحر القراء كافة بما يهوله كأنه نفث سحر. وهو في ذلك ما تعدّى قول الحقيقة وإنما أفاض عليها من حماسه وساعرته، وعمق فهمه وسعة أفقه وصدق تشبيهاته، ما جعل الحقيقة تبدو كالخيال عجيبة بديعة.

أما المال الآخر فهو - كما سنرى - أبعد ما يكون عن البحث في التاريخ الطبيعي، لأنه مسرحية من بدائع الفن الرمزي، وهي بعينها التي بين أيدينا: مسرحية «الطائر الأزرق». وهذه المسرحية التي تعمّد المؤلف أن تكون على أسلوب قصص الجنّيات وهي المفروض أنها للأطفال، تتضمن خلاصة فلسفته.

ولما كانت هذه الفلسفة للشاعر والكاتب والمؤلف المسرحي «موريس ميتزلنك»، هي نمرة بحاريه النفسية ومطالعته وتأملاته

الفلسفية حتى كتابة هذه المسرحية عام ١٩٠٨ وقد تجاوز وقتئذ الخامسة والأربعين، فلا غنى عن لمحة خاطفة ولو كطرفة العين لمراجعة ما كان من أمره قبل أن يبلغ إلى هذه المرحلة من عمره.

كان الساب «موريس ميتزلنك» في نحو الخامسة والعشرين من عمره، حين أخرجت المطبعة بواكير مؤلفاته عام ١٨٨٩، وأولها مجموعة أشعار بعنوان «الأكنان الدافئة Serres Chaudes» طبعت منها مائة وخمسة وخمسين نسخة إحدى دور النشر في باريس. وهذه الأكنان تضم رقائق من الأزهار السعوية لا تمت إلى واقع الطبيعة، بل هي نظائر لها يبلغ من لطفها وشفوفها أنها تبدو وكأنها أطياف في المنام من نسج الأحلام، ومثل هذه الأشعار كثيراً ما تشغل الخاطر وتبر الشجون بما تنطوى عليه من الشعور الغامض والروح الحزين. وأمام هذا النزوع للخفاء والغموض، والهروب من الواقع المبتذل المحدود، مع غرابة التعبير من حيث التراكيب، والترديد بالذات لبعض الجمل أو المفردات، وتعمد الإيقاع الجديد، لا يمكن أن يخفى على القارئ تعرف سمات ذلك الفريق من الشعراء الذي منه «جوستاف كاهن Gustave Kahn» و«شارل موريس Charles Morice» و«لافورج Jules Laforgue» وغيرهم من شباب الفنانين المنتمين إلى مدرسة الشعر الجديد، مدرسة الرمزيين التي رفع لواءها «بودلير» و«مالاربييه» و«رامبو» من متقدمي الأعلام المشهورين.

كذلك طبع الشاعر البلجيكي الساب بعد أسهر من طبع مجموعة أسعاره في باريس، مسرحية بعنوان «الأمبره مالبين» «Le Princesse Maleine»، وفد تولى مع صديق له طبعها في وطنه بلجيكا بمطبعة تدار باليد قام هو بإدارة عجلتها في حجرة مربعة صغيرة في مكان كالإسطنبول ببلدته «غنت Ghent»، وكانت هذه الطبعة خاصة لا يكاد تتجاوز عددها النلاين نسخة. ولكنه لم يلبث بعدها أن طبعها في المطبعة الصغيرة نفسها في حدود المائة والخمس والخمسين نسخة وهي الحد الأقصى الذي لم يكن يتعداه شباب الكتاب في هذه المدينة القديمة تظاهراً بالدلال وتحدياً لقلة الإقبال. وكان هذا العدد المحدود يدخل في عداد ما برسل عادة لنقاد الصحف والمجلات.

وكان المؤلف الساب مقبلاً في بيته الربفي في ناحية (أوستاكر Austacker) بالقرب من «غنت»، فانفق - في الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٩٥ وهو جالس إلى المائدة يتناول فطوره - أن جاءته جريدة الفيجارو الباريسية، فإذا صفحتها الأولى مخصصة كلها لمقال بقلم ناقد الجريدة المسرحي الكاتب المعروف «أوكتاف ميربو Octave Mirbeau»، استهله بما يلي:

(إني لا أعرف شيئاً عن «موريس ميترلنك»، لا أعرف من أن هو، ولا كيف هو. لا أعرف إن كان سيخاً كبير السن أو فتى في ربيع العمر، غنياً وافر المال أو فقيراً رفيق الحال، لا أعرف.

كل ما أعرف أنه ما من إنسان يجهله الناس أكثر من جهلهم إياه، كما أعرف في الوف نفسه أن هذا الإنسان نفسه أنى بآية رائعة من الآيات، آية ليست من قبيل هذا النوع الذى تعد له البطاقة مقدماً باسم المعجزة من قبل ظهورها، كتلك المعجزات التى يطالعنا بها كل آن أساتذتنا من السبان، فتتغنى باسمهم وتلهج بذكرهم وتسبح بحمدهم على كل نغم من الأنغام، وبكل لحن من الألحان تلك القيارة الحديثة الضخمة، أو - بعبارة أصح - ذلك المزمأر الصاخب الجبار: الصحافة. كلا، إنها معجزة من نوع آخر، آية رائعة خالصة خالدة، آية تكفى وحدها لتخليد اسم صاحبها، وتقديس ذكره، عند جميع المنهومين المتعطشين إلى ما هو رائع وعظيم،: آبه كالتى حلم فى بعض الأحيان بتحفيصها الفنانون السرفاء المعذبون فى لحظات الحماسة لفنهم، ولكنهم لم يحفقوها إلى اليوم وأخيراً طلع علينا السيد «موريس ميترلنك» بعمل من الأعمال الأدبية هو أعظم ما عرفه هذا العصر أصالةً وعبقريّة، عمل يجمع بين أبدع الغرابة وأعذب البساطة، حتى ليضارع بل أكاد أقول - إذا أسعفتنى الجرأة - إنه ليفوق فى روعه جماله أجمل ما فى سكسبير. هذا العمل الأدبى مسرحية اسمها «الأميرة مالين».

قرأ الشاب البلجيكى مؤلف مسرحية «الأميرة مالين» هذا المقال فى الصحيفة الفرنسية، فلم يكذب يتمه حتى أحس انفجار سىء فى نفسه، انفجر سد من الفلق كان لا محالة يضيق به صدره

حين يساوره فيكاد يعترض انطلاق طبعه، ويعوق دون انفساح مجراه، وتدفق المحتبس من فيضه إلى مداه، والاطمئنان إلى جدواه. إن ما قيل عنه في صحف بلاده في ذلك الحين قليل ولا يكاد عند حسن التقدير يعدو هذا القبيل: «ذاك البصيص الصغير الذى يتألق فى الأفق، لا يدرى أحدٌ بعدُ أهو بصيص مصباح صغبر أو نجم بعيد». أكان هذا القول وأمثاله فى صحف بلاده من شأنه أن يبعث الثقة فى نفس كاتب مجدّد يريد أن يستقيم على طريقه ويطمئن إلى حاله؟ أين هذا من فورة الإعجاب فى مقال الناقد الفرنسى الذى لم يكن ليفوقه مقالٌ فى حماسة الاستقبال حتى لقد خيل إلى والد المؤلف فى دهسته من كل هذه المبالغه فى الاحتفاء أنها مفضوذة بها السخرية والاستهزاء بولده. ولكن المؤلف فى واقع الأمر كان جديراً بالثناء، وإنما المبالغه وحدها هى التى كادت تفوت على القراء مدلوها وتفسد أنرها.

وفى اعتقادنا أنه على الرغم من ذهاب الناقد الفرنسى فى حماسته للمؤلف الشاب البلجيكى إلى حدّ المقارنة بينه وبين سكسبير أعظم شعراء العالم، وتفضيله عليه مع الفارق الذى لا يُحدّ بين الاثنين، فإننا نحمد على الأقلّ لذلك الناقد المتحمس أنه فى ذكره شكسبير فى معرض كلامه عن الباكورة الأولى لمسرح «ميتزلنك»، قد أسلمنا طرفاً من الخيط الذى يؤدى إلى استكشاف جانب هام فى تكوين ميتزلنك نفسه ونشأة مسرحه.

ولقد كان مولد «موريس ميترلنك» في التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٨٦٢ في مدينة «غنت Ghent» الواقعه في ملتقى النهرين (ليس - و - إسكو) بإقليم الفلمنك Flandres وفيها كانت نسأته حى نجاوز الخامسه والعشرين، وهى مدينه قديمه من أجمع المدن لخصائص الإقليم، تتحدث جدرانها المسوده من قدمها بالماضى الحافل بالحياة، المزدهم بالذكريات، كما تستم رائحه الموت والإنحلال من الرطوبة المنبعثه من ذلك العدد العديد من القنوات. ثم هى أعمار ما تكون بالأديرة والمصانع فى وقت معاً، فهى مدينه أهل الصناعه العاملين وأهل الله المتصوفه الزاهدين. فلا غرو أن يكون لهذا الإقليم بجوه المعتم الفاتم وبيئته الحسيه الصافيه، ما لا بد منه من الأثر الذى يتفاوت بحسب الملابس فى حساسه الأجيال المتعاقبه.

ولا بأس من أن نستشهد هنا بما يعرفه الجميع عن حياة كبر من أشهر مساهير التاريخ من مواليد مدينه «غنت» نفسها، وهو الإمبراطور سارلكان الذى اجتمع له فى العالمين القديم والجديد عظمه الملك الواسع الذى لا تغرب عنه الشمس، وجبروت الحاكم المطلق الذى لا معقب عليه، ومظاهر السلطان الذى ليس كملكه سلطان، فنزل فى عام ١٥٥٦ عن هذا جميعه إيثاراً لحياه النسك فى دير «يوسب Yuste» غربى أسبانيا، وفى هذا الدير طلب قبل وفاته أن تقام سعائر جنازته أمام عينيه فى حياته. هذا المزاج بعينه هو المزاج الغالب على إحساس «موريس

ميتزلنك» وتفكيره، في شعره وفي مسرحه وسائر مصنفاته على تعدد مباحثه واختلاف موضوعاته. ولما كان مدار الحديث هنا على مسرحه، فلا مندوحة من قصر الكلام على مسرحياته. وحسبنا لكى نبليغ الغاية أن نراجع مسرحياته الأولى، الطوال منها والفصا، كلها أو بعضها، لنرى هل الحياة فيها ما برحت على تكرارها هى الحكاية نفسها، حكاية يحكيها أبله معتوه، كلها ضجيج وصخب، ولا طائل من ورائها غير العذاب والتعب، ثم يطوى الردى أبطالها دون أن يعرفوا سرها أو يجدوا معنى لها؟ وهؤلاء الأبطال الفنانون أنراهم أجيالاً بعد أجيال، حين يسلكون مرحلة الحياة قصيرة كانت أو طويلة يسلكونها أجمعون عمياناً كانوا أو مبصرين، كالسارى الذى طال فى الليل سراه يردد هذا القول أو ما فى معناه، «أنا الإنسان البائس لا يدرى أبن هو ذاهب»؟

أجل إنها جميعاً نفس المأساة، مأساة القدر المتحكم فى الحياة كلها، فى سائر أمورها صغيرها وكبيرها، ليسلم الحياة - كل حياة - آخر الأمر إلى الموت الراصد منذ الصغر لها، المتربص بها، وهى أبداً شاعرة به وهو يحوم حولها، متوجسة منه، متجنبه له. وقد تحاول الحياة تناسى الموت والتغلغل عنه، ولكنه لا ينساها ولا يغفل عنها لحظة، حتى تحبب الساعة فيخمد أنفاسها وينتزع روحها، سيات كانت على انفراد وحدها، أو بين أهلها وأحبائها أو وسط الألوف المؤلفة المحتاجة إليها المتعلقة بها.

فهذه «الأميرة مالين» - في أولى مسرحيات «ميتزلنك» - صبيه كالزهرة الجنبية في رفتها وحسنها وبراءها، وهى وحدها بالليل في حجرتها، ولكنها مسهدة فلفة، نحس أن خطراً تجهله يهددها، وفي الواقع كان هنالك قتله لا تعرفهم أثمرروا لسبب لا تعرفه على قتل الأميرة الصغيرة، أنهم على السلم السرى المؤدى إلى باب خفى في جدار من جدران حجراتها. إنها تجهل كل نسيء عن هذا الممر الخفى، وتجهل أمر الفتلة كل الجهل، ولكنها تعرف أنها الليلة هالكة، نحس أن الموت قريب منها. أهى تلك الخطوة البعيدة التى خيل إليها أنها سمعتها؟ لكم سمعت ملها كل ليله فى نواحي القصر. ولكنها فى هذه الليلة رهيبه مخيفه مروعة كأنما تؤذن بالسرى. إن هذا السرى آت لا محالة. إنها لتسعر بوجود غير منظور، غير منظور، ولكنه حقيقى إلى حد فظع إنه يربعها فيجمد الدم فى عروقها. ويطول موقف الأميرة على هذه الحال، فإذا بنا نعيش فى عالم الخوف معها، لا إسفاقاً عليها من القتل المؤتمرين على قتلها، بل على أنفسنا من الأقدار، من القوى المجهولة التى تنصرف بنا وتسوفنا كما شاءت، وإلى حيث ساءت دون إرادتنا ومن غير علمنا.

هذه المسرحية «مالين» من الناحية الزمنية أولى مسرحيات «ميتزلنك»، وقد كان تأليفه لها تحب سماء بلده قبل التزوح إلى باريس، وهى - على ما فيها من التردد الطبيعى - بمابة النموذج الأول لما سيأتى فى أعقابها من عمل مسرحى، فنحن واجدون

فيها ذلك الإطار من المناظر التي مخلع عليها المؤلف مسحة خيالية لا تخلو من الغرابة والغموض، بحيث يبدو المكان كأنه في بلاد أسطورية مع شعورنا بحقيفته الواقعية. وهنا تطالعنا البحيرات هادئة ساكنة تكتنفها الغابات ذوات الأنشجار العاليه الساهمة، وعلى مسافة منها القصور القديمة، دهاليزها وأسرابها لا آخر لها، وأفبائها الضخام النفيلة كأنها على النفس جانمة، ومقاصيرها كثيرة الشقوق متآكلة من فرط الرطوبة، وحدائفها المهيمة ملتفة الشجر كنيقة الورق مظلمة. والصروح المحصنة بأبائها الفاخرة المتهدمة، العامرة الموحشة تعيد إلى الذاكرة ذكريات ما شهدته في الأجيال المتعاقبة من ضروب التعذيب وفظائع الجرائم، مما أوقع الروح لا محالة في نفوس ساكنيها صغارهم وكبارهم، فهم نهب الهواجس والمخاوف يستركون فيها، على الرغم من فلة التفاهم بينهم للفرق الكبير بين أعمارهم.. وإلى هذا كثير من أمثاله، وجميعه مما استوحاه المؤلف من مشاهد بلدته القديمة، وما أفاده من خلال مطالعته وزاد عليه من تخيلاته.

في هذه المسرحية التي لم يفكر مسرح في تمثيلها، تظهر محاكاة «ميتزلنك» لشكسبير في كثرة المناظر وتعددها في كل فصل من فصولها، وفي ازدحامها بالسمخيات الملكية، وذلك المزاج بين العناصر الفاجعة والعناصر المضحكة، وفي الغراميات المتعارضة، وكل هذه التنبؤات والنذر قبل المقتله الختامية.

ولكن هذه المحاكاة للوفائع تقف عند حد الظاهر، لأن «ميتزلنك» في عرضه سخوص المسرحية وأحداثها لا يقصد إلى واقعيتها، فقد كان غير مؤمن بالفن الواقعي، بل هو راسخ العقيدة بأن الواقعية في عصره قد أخففت، ويرجع إخفافها إلى أنها اتجهت سطر صغار الحقائق - تلك الحقائق اليومية الغثة الهزيلة التي لا كنه لها، ولا كبير طائل وراءها - بدلاً من أن تحاول الاتصال بالحقيقة الكبرى، تلك الحقيقة الكامنة المستكنة وراء الأسياء كلها، أو بعبارة أخرى «تلك القوى الخفية»، وبأوجز لفظ «ذلك المجهول» فهو وحده الذى يعنى الفنان الرمزي بحيث لا يمل ذكره، ولا يستهويه غيره، ولا تسغله الظواهر عن أمره ومحاولة استكناه سره.

من أجل ذلك لا يكون من المستغرب أن ميتزلنك - أو شكسبير البلجيكي على حد ما سماه «ميربو» في مقاله الحماسي - لم يلبث أن أدرك أنه في غير حاجة إلى أصحاب العروش ذوى الهامات المتوجة، ومن حولهم الأمراء والحاشية، وكل ما هنالك - في مسرحية مالبين - من تلك العناصر الكثيرة المتنوعة، فضلاً عن ذلك التفنن في ابتداع الموضوعات الفاجعة. نعم أدرك مير لنك أنه في غير حاجة إلى جميع هذا، إذ أن أبسط الحوادر العادية في الحياة اليومية يغنى عنه، وقد يكون أعمق أنراً منه بل أوفى بالغرض لبلوغ المؤلف ما يريد في مسرحه الرمزي من إسعار الجمهور بما وراء الأسياء والأحداث من القوى الخفية

أو سلطان القدر، أو بالاختصار ما ينطوى تحت لفظ «المجهول».
وعلى هذا جرى المؤلف فى مسرحياته التالية، وهى قصار فى
الغالب الأعم.

ونذكر من تلك المسرحيات الفصار مسرحية «الدخيل» من
فصل واحد ومن منظر واحد وهو غرفة مظلمة فى قصر قديم،
حيث يجتمع أسخاص المسرحية وهم الجد الضرير، والأب والعم
والبنات اللاب، ولا يُضىء الغرفة غير مصباح واحد ضوءه
خافت، والكل فيها يتهايمسون بصوت خافت كذلك، وهم جميعاً
واجمون مسهدون. وفى غرفة مجاورة ترقد تلك الى يفكرون فيها
وعنها يتهايمسون، المريض الذى يتهدد الخطر حياتها، ومن أجلها
كان اجتماع هؤلاء ومحاولتهم أن يطمئن بعضهم بعضاً، ومن هذا
القبيل ما كان يدور من المقال بين العم والأب: «إن طلعناها تبدو
منذ العصر على أحسن ما يرام، وهى تنام نوماً عميقاً الآن، فهل
ترانا نغص على أنفسنا أول ليلة طيبة أتاحها الحظ لنا. من رأى
أنه يحق لنا أن نستريح، بل أن نضحك هذا المساء ولا نخشى
شيئاً».

ولكن الجد الضرير كان يستبد به الفلق، فلم يكن ليهدي من
روعه سىء. لم يكن يعنيه ما يقوله الآخرون. ذلك أنهم مبصرون،
والواقع الذى يبصرونه يحول بينهم ورؤية الحق. أما هو فقد
حجب العمى عن عينيه عالم الظواهر، فأصبح اتصاله بالعالم عن

طريق الحواس الباطنة. إنه الوحيد الذي كشف العمى عن بصيرته، فهو يرى قبل سواه كل شيء على حقيقته. أنه يحس بالخطر يزداد، والأجل يدنو من المريضة سريع الخطوات... ومنذ هذه اللحظة تتركز المأساة كلها في الشيخ العجوز، في تبايرح لوعته التي تنعكس في ازدياد واستداد على طلعتة، ويضاعف الأثر ما بشيع في جو الغرفة من دواعي الفزع متوافداً من خارجها مصاعداً من أرضها، فمنه عصفة من الريح نهب ثم تسكن، وسدو البلابل بنقطع ويسكن، ووقع خطوات خاطفه مرقن في الحديقة، ولمحة من البستاني وهو يشحذ نحت جناح الليل منجله، وعسرات من التفاصيل لو سنحت متفرقة لما كان يؤبه لها، ولكن تكرارها منلاحقه تألف منه وعيد وتهديد بالخطر. عندئذ لم يستطع الجدد الضيرير إلا إظهار الفزع، حتى إذا جاءت لحظة أحس فيها الجدد الضيرير بين المجتمعين بوجود لم بسعروا هم بوجوده، نددت منه الصرخة المخنوقة. وفجأة ينفتح الباب ويغمر الغرفة فيض مباغت من ضياء. وتدخل ممرضة من الراهبات وترسم على صدرها إشارة الصليب التي يستدل منها أن المريض مات. ومع هذه المسرحية نسر المؤلف في سنة ١٨٩٠ مسرحية أخرى ملها عدد سخوصها اننا عسر، ستة رجال وست نساء وكلهم عميان، ومن هنا سميت «العميان». وهؤلاء الخلق العميان نراهم في الظلام وحدهم في غابه من غابات الشمال تبدو عريقة في القدم كأنها كانت هنا منذ الأزل، ومن فوفهم سماء غائرة النجوم، وهم

ينتظرون، ينتظرون من غير أمل، ولكنهم مع ذلك ينتظرون. إنهم في انتظار فس، رجل الله ومبعوب العناية، إنه نورهم الهادي ودليلهم المرشد، لقد كان يتقدمهم ويقودهم، ثم غاب عنهم وطال غيابه. وإنهم ليتحسسون طريقهم في الغابه بحسب عنه، وفجأه يقع في روعهم شعور مبهم تفشع فيه أبدانهم، شعور بوجود شيء غريب عنهم لا يبصرونه ولكنه قريب. ولم يكذبهم حدسهم. إنه الموت، فهناك عند جذع الشجرة أسند النفس ظهره جثته هامة.

والمؤلف مع هذه الصدمة القاصمة يشعر بأن مقصده الأخير ليس هو الدعوة إلى اليأس، يأس الإنسانية من جدوى السعى والأمل في الهداية إلى سواء السبيل، فإنه برغم ذلك الاخفاق والفشل، يسير إلى استمرار الإنسانية في الأمل، فإن الستار ينزل على أبطال مسرحيته «العميان» وهم لا يزالون ينتظرون.

هذا بعينه هو الذى مكن لمسرحيات «ميتزلنك» على ما فى حتمية وافعها الموحش المظلم اليائس المؤلم من رهبة وقسوة، أن تستهوينا بما لا ينفك يغمرها من فيض الحيوية وبهجة النضارة الفتية لفرط إيمان المؤلف بالحياة، وعمق شعوره بتلك الغريزة الكونية، غريزة الحياة الغلبة القوية التى أورت سائر الأحياء ما فيهم من قوة الجلد والعناد، كالذى نشهده فى النملة الصاعدة على العود وهى تسقط مائة مرة، وفى كل مره تعاود الصعود... أو مثل ذلك الإنسان الذى حكمت عليه الآلهة أن يدفع الحجر

الكبير إلى أعلى الجبل، فلا يزال الحجر كلما بلغ به إلى قمة الجبل يتدحرج إلى أسفل، وهو ماضٍ مع ذلك في تأدية العمل الموكول إليه. ذلك أن الحياة لم تكن منذ كانت إلا كذلك بطبيعتها، وهذه إرادتها. ولا يكون الحى حياً في حياته إلا إذا استجاب - طائعاً أو كارهاً - لغريزتها، وعمل بإرادتها وإن جهل غايتها.

ولكن هذا كله لم يكن ليحجب عن «ميتزلنك» خاطر الموت، فقد كان هذا الخاطر يلزمه منذ حداثة فلم يكف عن التحدث عن الموت في سعره وفي مسرحياته وسائر كتاباته، بصريح الإسم ^{تأدية}، وتارات أخرى بمختلف الكفايات، وجملة ما يقال آخر الأمر أن الموت كان عند «ميتزلنك» موضوع تفكيره طوال العمر، وأنه قضى السبعة والنمانين عاماً من حياته وهو في انتظار لقائه، لقاء ذلك صاحب المجهول وجهاً لوجه.

ومع ذلك فقد وقعت في حياة «ميتزلنك» بعض تغييرات مادية وأخرى وجدانية يمكن أن يُردَّ إليها ما يلاحظ على مسرحياته التالية من تسرب نوع من الرجاء، كالشعشاع من الضياء في الليل الحالك.

ونذكر من تلك التغيرات المادية في ظروف حياته انتقاله من جو الشمال البلجيكي الغائم القاتم، إلى الجنوب الفرنسي المشرف الباسم في مدينة نيس أو على مقربه منها حيث كان يقضى معظم العام على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

ولكن هذا التأثر المادى لا يذكر إلى جانب التأثير
الوجدانى، ونعنى به تأثر المرأة، وبعبارة أدق وألطف: الحب.
كان ميترلنك لا يزال مقيماً في إفليمه الفلمنكى في بلجيكا حين
التقى في العاصمة البلجيكية في إحدى الليالى بالمرأة التى
أصبحت رفيقة حياته ونجية نفسه وموضع سره نحواً من
العشرين عاماً، وهى السيدة الفنانة «جورجيت لبلان Georgette
Leblanc» وكان في ذلك الحين تغنى «تاييس» و «كارمن»
وغيرهما من الأوبرات فى التياترو الملكى فى ميدان لاموناى Place
de la Monnaie الذى نحف به المقاهى والمطاعم على مختلف
أنواعها ويعتبر مركز الملاحى فى العاصمة. وقد اتفق هذا اللقاء فى
دار محام من المحامين الكبار مشهور بدعوته إلى التجديد فى
الأدب البلجيكى، وكان الساب ميمر لُنك يزاول فى مكتبه المران
على المحاماة على كره منه نزولاً على إرادة والديه، وكان صاحب
الدار قد أعد مأدبة عشاء عنده تقام بعد الحفلة التمثيلية التى قدم
فيها مسرح دى بارك Theatre du Parc مسرحية «الأب» للأديب
السويدي اسرنبرج Strindberg وكان ميترلنك من المدعوين إلى
هذه المأدبة، فترك النحل فى بلدته نلبية للدعوة، فهو كعادته،
سيما الجد على سحنته، يلزم الصمت ويبدو كالحالم، مع نسيء من
الشعور بالقلق وعدم الارتياح كسأته فى المدينة. ولم يكن هذا
الصوب الوقور المستغرق فى التفكير ليخطر فى باله أنه فى هذه
الليلة سلقى فى شخص امرأة ممتازة مرموقة هى الفنانة

جورجيت لبلان ما أعدده له المفدور. وكانت القاعة على حن بغتة قد سادت عليها لحظة صمت عميق، فإذا بها قد طلعت على الحضور، وهى تمنسى الهوى مخطرة متهادية، وعلى جبينها حلية من الذهب كأنها ناره السلطنة، ومن ورائها ينسحب نوبها المجرور الذى ينسف الأسماع بحفيف الحرير، وقد قام صاحب الدار بينهما بواجب التعريف، فبدت منها عند تقدمه لها صيحة مقتضبة خفيفة، أما هو فقد رفع كالفروى بصره إليها مرتبكاً، وأحنى لها صعدته فى غبر لباقة، على حن ردت له التحية بانحناءة من تلك الانحناءات العميقة التقليدية، بدت فيها وكأنها الملكة السابة البزنطية من لطف تأديتها المراسم الملكيه، متعمدة أن تضع فى هذه الحركة كل براعتها التمثيلية، لتكون منها بمنابه تحية الفن للفن.

وفى أثناء العساء كان مير لنك يطيل النظر إليها دون أن يخوض فى الحديث معها.

وكان مترلنك حبن تم التعارف بينه وبين جورجيت لبلان مؤلفاً موفور الشهرة، عامر البدن بالعافية والصحة: ميسور الحال لا يعوزه المال، ومع ذلك فإن هذا الرجل الذى أنعم عليه بكل هذه الخيرات كان فى دخيله نفسه يعيش طول وقته مع الموت والخوف والملل. ولقد دعا الفنانة الحسناء إلى بلدته «غنت» حيث أوم لها وليمة فاخرة على الطريقة الفلمنكية، ثم خرجا للنزهة فى الشوارع الغائمة القائمة المكتئبة، وكان مبر لنك قليل الكلام،

ولكنه أفضى مع ذلك بجوهر الكلام ولبابه، قال: «إني غير مؤمن لا بالسعادة ولا بالحب». فاحتفظت المرأة بهذا التصريح في سويداء قلبها، وآلت على نفسها لتعلّمه ذلك الفن الشاق، فن التسليم للحياة والاطمئنان إليها والتعويل عليها. فما انفضى القليل حتى كان قد كتب مسرحية تختلف عما سبقها كل الاختلاف، مسرحية لم يُعدّ يعصف فيها عاصفُ الجزع والخوف، بل يسرى فيها نسيم الأمل والرجاء.

لقد كان ميترلنك لا همّ له في مسرحياته إلا تمثيل القدر المحتوم على البشر في صور الشقاء والعذاب والموت وهي مقبلة علينا الواحد بعد الآخر في خطى نابتة يثنيها ويفت في عزيمتها أو يعتاق سيرتها أو يقف في مواجهتها فيسدّ طريقها ويحول بينها وبين فريستها، كانت هذه الفكرة مستيدة به مسيطرة عليه في المرحلة الأولى من تفكيره الفلسفي، فإذا به في المرحلة الثانية ينفض عنه هذا التسليم للقدر، ويتحدث عن الصراع غير مكتفٍ فيه بما كان من ذلك التخبّط السلبي، تخبّط العاجز، الشاعر بعجزه في قبضة القدر. بل الصراع الحقيقي على مستوى البشر بين بعضهم البعض، والصراع الإيجابي بينهم وبين القدر على الرغم من علمهم بأن القوى غير متعادلة. ولا عليهم من ألا يكون لهم النصر في آخر الأمر. ويظهر هذا الصراع واضحاً في مسرحية «أجلافين وسليزيت» Aglavine et Sélysette عام ١٨٩٦ حيث يقوم الصراع بين المرأتين على رجل هو ملياندر

Méleandre وهو صراع كأسد ما يكون الصراع الحفيص، ولكن كفة إحداهما لا تلبس أن ترحح على كفة الأخرى لأن العلائق التي تربط بين «سلزيت» وهذا الرجل لست نسبياً إلا علائق سطحية على المستوى البسري، في حين يزداد ما يربط المرأة الأخرى «أجلافين» بهذا الرجل توفياً واستداداً في قوة الارتباط، وتأبلاً وإيغالا في الأعماق. وذلك أن انجذاب كل من الانبن - هذا الرجل وهذه المرأة بالذات - إلى الآخر غير مفسور على رغبتهما البسرية، بل من ورائها قوة خفية أقوى منها: هي تلك الجاذبية الميتافيزيقية التي لا نعرف كنهها ولا نملك ردّها، ولا نستطيع غير الانقياد لها والنزول على أمرها.

ولا نحسبنا مخطئين إذا رأينا في شخصه «أجلافين» شخص الفنانة «جورجيت لبلان»، فقد كان لفاؤهما على النحو الذي جاء وصفه في المسرحية نمائاً فهما - كما جاء في المسرحية - سواء في المقابلة الأولى على غير موعد، أو في الموعد الأول - لم يتبادلا إلا أبسط الكلمات وأكثرها تداولاً بين عموم الناس، فإذا بهما - مع ذلك - يسعران بأنهما لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا حياة له بغير صاحبه، وقد بلغت قمة الجذب بينهما أن دامت صحبتُهُما نحواً من العشرين سنة. ولقد حرص المؤلف في إبر تآليفه لهذه المسرحية على الكتابة إلى الفنانة محدّثاً عن بطلته الجديدة، فبقول هذا الذي قال في أول حديث بينهما: «إني غير مؤمن لا بالسعادة ولا بالحب».. يقول اليوم (لقد حملت إلى «أجلافين»

ما لا عهد لى به. جوّ جديد وإرادة للسعادة وقوة على الرجاء). ومنذ ذلك الحين دخل التغيير على مؤلفات مینر لنك المسرحية وغير المسرحية، حتى ليشعر القارئ لهذه المؤلفات بالنقلة المفاجئة من الجو القاتم المتلبّد بالضباب إلى جو آخر تمزق ضبابه فعرف الإسراق ودخل إليه النور مُشعِناً هنا وهناك في الآفاق، وكشفت الأرض لنا عن بدائع ودائعها وأنفس كنوزها، فاكستت بالزهر والربحان من مختلف الألوان، وأخرجت لنا الأيام أبطالاً وبطلات أقل خوفاً من الحياة وأكثر شجاعة وهمّة.

ولا نقصد بهذا القول إلى أن ميترلنك قد تخلّى عن فلسفته وعن تفكيره الدائم في القدر والموت. كلا، فإن الشيء الذي تغيّر لم يكن هو القدر والموت، وإنما هو نظرة ميترلنك إليهما وطابع شعوره بهما ولون تفكيره فيهما، حتى لنرى مؤلفنا المسرحي أميل إلى جعل الشقاء والعذاب والموت في خلفية المسرح، وعرض إرادة الحياة ونشيدان السعادة في مقدمته.

وحسبنا للتحقق من ذلك جميعه أن نقابل بين المسرحيات التي طلع بها علينا المؤلف في السنوات العشر الأخيرة في القرن الغابر وهي مسرحيات المرحلة الأولى التي قدمنا للقراء عرضاً موجزاً لموضوعها، وبين أشهر وأبدع مسرحياته في أوائل القرن الحاضر، وهي «الطائر الأزرق» التي نستأذن القراء في أن نعفيهم من إيراد خلاصتها فهي لا تغني عن الاستمتاع الكامل بقراءتها في الترجمة التي بين أيدينا.

وهذه المسرحية التى ضمنها مینر لنك ما بلغه وهو فى طور النضج من تطور فى النظر والصور والفلسفه، قد ساء له هذه المرة فنه - كما أنسرنا فى مستهل كلامنا - أن یصبها فى قالب قصة من قصص الجنیات. وقد یدو هذا من عجیب الأمر. ولكن الأعجب هو أن المؤلف الفنان، بما حقق فى هذه المسرحية من نجاح لم یتحقق له فى غيرها، أقام الدلیل على أن هذا الأسلوب - أسلوبها - هو الأسلوب الذى یناسب ما أراد عرضه على المسرح من بحب عن السعادة، تلك الضالة المنشودة التى افتفدها فى الطبيعة أبناء الأرض، وهؤلاء هم - فى المسرحية - یتحثون عنها فیما وراء الطبیعه على نحو رمزی بدیع شاعری لا یتقل على النفس، بل یندر الخیال ویسكر الحس، وعن طریق الجمال والخیال یوقظ الذهن والتفكير.

ومسرحیه الطائر الأزرق من خمسة فصول فى عشر لوحات وقد كان أول عرض لها على المسرح فى ۳۰ سبتمبر سنة ۱۹۰۸ بالمسرح الفنى فى موسكو، ثم صدرت طبعتها الأولى فى باريس عام ۱۹۰۹، ثم منلت فى ترجمتها الانجليزية على مسرح هاماركت Haymarket فى لندن فى ۸ ديسمبر عام ۱۹۱۰ ولقد شجع نجاح تمثيلها فى الخارج على استقبال المسارح الفرنسیة لها فكان أول المسارح التى فتحت لها أبوابها مسرح ريجان (وهو اليوم مسرح باريس) فى الثانى من مارس سنة ۱۹۱۱ وهى السنة التى حصل فيه على جائزة نوبل.

وبعد ما قدمناه من التعريف الوافى بهذا المؤلف من أعلام المسرح الرمزي «موريس مينرلنك»، ومحلل مسرحياته الرمزية في المرحلة الأولى نم في المرحلة التالية، مع عرض سريع للفكرة التي فامت عليها أسهر وأبدع مسرحياته الأخير؛ وهي «الطائر الأزرق» نرى لزماً علينا أن نحى الكاتب الروائى العربى الأستاذ يحيى حفى على ما اضطلع به من هذا التعريب الدقيق البليغ للمسرحية التى بن أيدينا، مع الحفاظ على خصائصها الجامعة بن الفلسفة والتصوف وروح الطفولة، حنى جاء تعريبه للنصوص من واقع أصلها، من حبب الأمانة فى نفلها وحسن المطابقة لها، كصورة الحسنة فى مرآها فالیه نرف تحيات الشكر والتقدير على لسان قرائها.

عبد الرحمن صدقى

الفصل الأول

الطائر الأزرق

المنظر الأول: كوخ الخطاب

[المسرح على هيئة كوخ خطاب من الداخل، بسيط المظهر، ريفي الساء والمتاع ولكنه لا يسم بحال عن تعاسة العور والفاقة، مدفأة مستورة لأنها محمورة داخل الحدران، بها حطب نعس ناره، آنية مطبخ، صوان، صندوق لحفظ الخبز، ساعة طويلة موروثة عن الأجداد، تعمل بنفاليين، عجله معرل، حوض للغسيل إلح إلح، مصباح مصىء على منصده، أمام الصوان كلب فى حانب وهرة فى الحانب الآخر، كلاهما يرقد وقد تقص جسده وجمح أنفه إلى ديله، وبين الاثنين فمع سكر كبير ملون بالتساوب بالأبيض والأزرق، ففص مستدير منبت على الجدران، به عصفور، فى غيانة الكوخ نافدتان، حصاصهما معلق، تحب إحدى الناهدتين دكة من الحشب، على اليسار الباب الأمامى للكوخ، عليه مزلاح كبير، باب آخر على اليمين، سلم يدوى من الحشب، يؤدى إلى المخزن، على اليمين أيضا مهدان من الحشب، على رأسيهما كرسيان فوقهما بياب مطقة بعناية.

عد رفع الستار برى الولد «تلتيل» والبت «ميتيل» يعطان فى سباب عميق فى مهديهما، «ماما تيل» يحبك العطاء حولها وتحى عليهما تتأملهما لحظة وهما نائمان، ثم تشبر إلى «بابا تيل» وقد أبرر رأسه من الباب الموارب، فتضع «ماما تيل» سباتها على فمها لتفرض عليه بالإشارة التزام الصمت، ثم تخرج إلى اليمين وهى تمس على أطراف أصابعها، وكانت قد أطفأت المصباح أولاً؛ يغرق المسرح فى الظلام برهة وخيرة، ثم

يتسلل من حصاص البادئين نور يزداد توهجه، يضاء المصباح نايه من تلقاء ذاته، ولكن نور مختلف عن نوره حين أطفأته «ماما تيل» - ثم إذا بالطفلين كأهبا هد استيقطا وجلسا في مهديها]

تيلتيل	: ميتيل ! (١)
ميتيل	: تيلتيل ! (١)
هو	: أنائمة أنت ؟
هى	: وأنت ؟
هو	: كلا وها أنذا أكلمك فكيف أكون نائماً.
هى	: قل لى، هل اليوم هو يوم يجىء عبد الميلاد ؟
هو	: لم يحن ميحيته بعد، إن موعده غداً، ولكن عمنا العيد لن يأتى لنا بنىء هذه السنة.
هى	: ولماذا ؟
هو	: سمعت أمى تقول إنها لم تستطع الذهاب للمدينة لتلفت نظره إلينا، ولكنه سيأتى فى السنة القادمة.
هى	: أيعبد موعده فى السنة القادمة ؟
هو	: لا أقول إنه جدّ قريب، ولكن عمنا العيد سيأتى الليلة إلى الأطفال الأغنياء.
هى	: حقاً ؟

(١) اختصار للأسماء المتشابهة رأينا الإشارة إلى تيلتيل فيما بعد بكلمه (هو) وإلى ميتيل بكلمه (هى).

هو : أنظري، فد نسيت أننا أن تطفئ المصباح،
عندى فكرة...

هي : ما هي؟

هو : هبّا بنا نقوم من فراشنا.

هي : هذا مُحَرَّم علينا.

هو : لا ضرر، فما من أحد يرفبنا، أترين خصاص
نوافذنا؟

هي : ما أبهى النور الذى يتخلّله.

هو : إنه نور الحفل.

هي : أىّ حفل هو؟

هو : أماننا، عند الأطفال الأغنياء، إنها سجره عيد
الميلاد، سنفتح النافذه.

هي : أمباح لنا أن نفعل هذا؟

هو : أى نعم، ما دمنا وحدنا. أسمعبن الموسيقى؟
فلننهض!

[ينهضان ويجريان إلى إحدى النافدتين ويصعدان فوق الدكة،
ويدفعا مصراعى النافذة فيعم الحجرة نور ساطع، يتطلع
الاثنان شعف للحارج].

نيلتيل : ملكنا رؤية كل سىء.

ميتيل : [وقدمها لا يعوز إلا بوقفه غير مطمئنة على حافة الدكة]
أمّا أنا فلا أرى شيئاً.

- هو : السّج ينهمر، أرى عربتين بحرّ كُلاًّ منها سته
جیاد.
- هى : وينزل منها اننا عسر صبّاً.
- هو : يا لك من مغفلة! إنهن بنات.
- هى : لا أرى إلا سراويل تلقّ السفان.
- هو : نعم الخبيرة أنت بلبس البنات والصبيان!
لا تدفعبنى هكذا.
- هى : لم أَلمسك.
- هو : [وهو يحتكر الدّكة لنفسه] أنت نحتابن الدكة كلها
بمفردك.
- هى : كيف وأنا لا أجد فوفها موضعاً لقدمى.
- هو : الزمى الصمت إذن، إنى أرى السجّره.
- هى : أىّ شجرة تعنى؟
- هو : شجرة عيد الميلاد، أنت لا ترينها لأنّ نظرتك
مصوّبة للجدار.
- هى : هو كذلك، لأنّه لم يبق لى مكان فوق الدكة.
- هو : [وهو يتخلّى لها بشّح عن طرف من الدكة] الآن هبل
اطمأنت وقفّتك وفزت علىّ؟ يا لها من أنوار
فوق أنوار.
- هى : ماذا بفعل هؤلاء القوم الذين ينيرون كل هذه
الضجّه؟

- هو : إنهم يعزفون الموسيقى.
- هى : أهم فى حدة من الغضب؟
- هو : كلا، وإنما عملهم مرهق.
- هى : ها هى ذى عرنه أخرى بحرها جياذ بيض.
- هو : الزمى الصمت واكتفى بالنظر.
- هى : ما هذه الحلية المذهبة المعلقة بالغصون؟
- هو : إنها لعب ولا ريب، سيوف وبنادق، وجند ومدافع.
- هى : والعرائس؟ هل هناك عرائس معلقة أيضا؟
- هو : عرائس! إنها لعبٌ سخيْفه لا تروْفهم.
- هى : ما كل هذا الذى نر من فوق المائدة؟
- هو : كعك وفاكهة وفطيرة محسوة بالقسدة.
- هى : أكلت من أمالها مرة فى صغرى.
- هو : وأنا كذلك، إنه طعام ألذ من الخبز ولكن هذه الحلوى لا يُبذل لنا منها إلا بقدر ضئيل.
- هى : وليس هذا هو حالهم، إنها مبدولة لهم تغص بها المائدة. أسيأكلون كل هذه الحلوى؟
- هو : نعم ولا ريب، فماذا عساهم يفعلون بها؟
- هى : ولماذا لا يأكلونها من هورهم؟
- هو : لأنهم غير جياع.
- هى : [وقد غلبتها الدهشة] غير جياع؟ ولماذا؟

هو	: لأنهم يأكلون منها متى أرادوا.
هى	: [وهى غير مصدقة] كل يوم؟
هو	: هكذا يقال.
هى	: هل يأكلونها كلها ولا يجودون منها بسىء؟
هو	: على مَنْ؟
هى	: علينا.
هو	: إنهم لا يعرفوننا.
هى	: فلو سألتناهم.
هو	: هذا غير جائز.
هى	: ولماذا؟
هو	: لأنه عيب.
هى	: [وهى تصفُ مرحًا] أوه، ما أجملهم!
هو	: [فى حماس] إنهم غارقون فى الضحك.
هى	: وهؤلاء الصغار الذين يرفضون؟
هو	: نعم نعم، فلنرقص نحن أيضًا.
	[يتوانبان من المرح فوق الدكة].
هى	: يا لها من بهجة.
هو	: الكعك يُقدّم لهم، إن أرادوا لمسة بأصابعهم
	فعلوا، إنهم يأكلون ويأكلون ويأكلون..
هى	: حتى الصغار منهم، أكلوا من الكعك منى وبلاب
	ورباع.

- هو : [وهد أسكره الطرب] يا لها من لده، يا لها من لذه.
- هى : [وهى ترعم فى الوهم أنها تعد قطعاً من الكعك] قد فزت أنا باننى . عشرة كعكة.
- هو : أما أنا ففد نلت أربعة أمثال نصيبك، على أننى سأعطيك منها.
- [يدق باب الكوخ] تيلتيل وفد حمد ويملكه الخوف، مخاطباً أحته.]
- هو : ترى من يكون الطارق؟
- هى : [فى رعب] إنه بابا..
- [وإذ يتوايان عن فتح الباب يشاهد مزلاحه العليط يرتفع من تلقاء ذاته، ويسمع له صرير، ثم ينشق الباب عن امرأه عحور ضئيله تلبس نوباً أحصر وصداراً أحمر، هى حدباء عرجاء عوراء، أنفها تقوس حى لامس دهمها، تمشى بحيه الطهر تتوكأ على عصا، لا سبيل للعن أن تخطئ أنها جنية].
- الجنية : هل عندكم العسب الذى يدندن والطائر الذى لونه أزرق؟
- هو : لدينا عسب ولكنه لا يدندن.
- هى : تلتيل عنده الطائر.
- هو : ولكنى لا أفرط فيه.
- الجنية : ولماذا؟
- هو : لأنه ملكى.
- الجنية : هذا سبب وجيه ولا ريب، وأين هو هذا الطائر؟

هو : [مشيراً إلى المص] إنه في هذا الففص.
الجنية : «تلبس نظارها لتتفحص الطائر» إنه ليس
مطلبي، ينبغي أن تذهبا لتبحنا لى عن الطائر
الذى أريده.

هو : ولكنى لا أدرى أين هو.
الجنية : ولا أنا، من أجل هذا ينبغي البحث عنه، إننى
أستطيع إذا يئست أن أتنازل عن العصب الذى
يدندن ولكنى لأبُدّ لى من أن أجد الطائر
الأزرق، إنه لازم لابنى الصغيره، هى فى شدة
المرض.

هو : وما مرضها؟
الجنية : لا أحد يدرى حقيقته، إنها تريد أن تكون
سعيدة.

هو : حقاً؟
الجنية : أتعرفان من أنا؟

هو : إنك تسبهين قليلاً حارتنا الست غريبة.
الجنية : [وقد تملكها العصب فجأه] لا سبه مطلقاً، ستان
ما بيننا، هذه إهانته بليغة، إننى الحنيه غرابويه.

هو : آه، صدّفنا كلامك.

الجنية : ينبغي المضى فوراً.

هو : ألسن آتية معنا؟

الجنية : هذا مستحيل، بسبب الحساء الذى أقمته هذا الصباح على النار فإنه يهدد بالفوران والاندلاق إذا ما غيب عنه أكر من ساعه، [تشير بالتوالى إلى السقف والمدفأ والفاذة] من أين تريدان الخروج؟ من هنا أو من هنا أو من هناك؟
هو : [وهو يشير تهيّب إلى الباب] الأفضل أن أخرج من هناك.

الجنية : [وقد عاودها العصب المفاخى] هذا مستحيل كل الاستحالة، ثم إن الخروج من الأبواب ليس إلا عادة سخيّه، [تشير إلى الفاذة] سنخرج من هناك، وبعد، ففيم انتظاركما؟ ارتديا يابكما على الفور [يطيعها الاثنان، ويرتديان يابهما على عجل وتقضى الحنية قائلة] سأساعد ميتيل.

هو : ليس لدينا أحذية.
الجنية : ليس هذا بالهم، سأهيكما فلنسوه صغيرة مدهشة، أين والداكما؟

هو : [مشيراً إلى الباب الأيمن] إنها هناك، نائمين..
الجنية : وأين جدّكما وأين جدتكما؟
هو : مات الاننان.

الجنية : وإخوتكما وأخواتكما الصغار، أليس لكما أخوة وأخوات؟

هو : نعم نعم، لنا ثلاثة أخوة صغار وأربع أخوات صغيرات.

الجنية : وأين هم؟

هو : ماتوا هم أيضًا.

الجنية : أتريدان رؤيتهم من جديد؟

هو : نعم نعم، على الفور، الآن، دعينا نراهم.

الجنية : إنهم ليسوا في جيبى، ولكن نبختكما حسن،

فسيتاح لكما رؤيتهم وأنتما تعبران «أرض

الذكريات» في طريقكما إلى الطائر الأزرق، على

اليد اليسرى فور اجتياز ثلاثة مفارق، ماذا كننا

تفعلان حين دققت الباب؟

هو : كنا نلعب زاعمين أننا نأكل الكعك.

الجنية : وأين هو؟

هو : في فصر الأولاد الأغنياء، تعالى أنظري، ما أبهاه

من مشهد [يحرّان الجنية إلى النافذة].

الجنية : [وهى بالنافذة] ولكن أفواها غير أفواهكما هى

التي تأكله.

هو : نعم ولكن يكفيننا أن نرى أكلهم من هنا.

الجنية : أفى فلبكما موجدة عليهم؟

هو : ولماذا؟

الجنية : لأنهم يأكلون الكعك كله، إنه لخطأ كبير منهم أن لا يبذلوا لكما شيئاً مما يأكلون.

هو : لا يبذلون لأنهم أغنياء، ما رأيك في بيتهم؟ كم هو جميل.

الجنية : إنه ليس أجمل من بيتكما.
هو : هيهات! بيتنا أفل ضوءاً ورحابة.. وليس به كعك.

الجنية : ليس هناك أقلّ فرق بين بيتهم وبيتكما، إنما أنت لا ترى.

هو : بالعكس، إننى أحسن الرؤية، وعناى لا تنقصها حدّة البصر، إننى على خلاف أبى أتبين من بعيد عقارب الساعة فى فمة برج الكنيسة.

الجنية : [تغص فجأة] أقول لك إنك لا ترى، قلّ لى إذن كيف ترانى؟ ما هو شكلى فى نظرك؟ [تلتيل يلود بصب المتحرّج] هيا، أجبنى حتى أعرف إن كنت ترى، أنا جميلة أم دميمة؟ [تتد الصمت ويزداد الحرج] ألا تريد أن تجيبنى؟ أنا صبية أم عجوز؟ وبسرقى؟ أفى لون الورد أم هى مصفرة كالحلة؟ ولعلّ لى أيضاً حدة فوق ظهرى..

هو : [وهو يسترصيه] لا، لا، إن حديثك ليست كبيرة.

الجنية : نعم، لى حذبة، ولكن دهسة نظرتك إليها تنبىء
أنك تراها آية فى الضخامة. ألى أنف معقوصه
وعين مفموءة؟

هو : لا، لا، إنى أتبىن ذلك، ولكن من الذى ففأها؟
الجنية : [وعد راد لملها] ولكنها ليست مفموءة يا وقح،
يا لعين، إنها أجمل من أختها، هى أوسع وأصفى،
إن لونها فى زرفة السماء، وسعرى هل تراه؟ إنه
أسمر كستابل الفصح بل قد يُظن أنه من
العسجد الخالص، ولى من هذا السعر بروه تنفل
رأسى وتفرض من كل جانب، ها هو ذا على
يدى، ألا تراه [تعرض عليه حديلتين بحيلتين من شعر
أشهب].

هو : نعم، إنى أرى جديلة من سعرك.
هى : تقول جديلة؟ إنها حزمة ملء الذراعين كالنبت
الملتف، هى ذوب عسجد، إلى عالمه أن بين
الناس نفر يزعم أنه لا يرى منه شيئاً، ولكنك
- فيما أوئل - لست من هذا النفر الأعمى
الخبث؟

هو : كلا كلا، إبنى أرى كل ما تكشف للعين منه.
" الجنية : ولكن ينبغى أن ترى بقبته بسطارتك المعهودة،
ما أعجب بنى الإنسان! منذ أن انقضى عالم

السحر قد طمست أبصارهم وخبت مداركهم،
ومن حسن الحظ أننى مزودة دائماً بكل ما يبعث
النور فى العيون المنطفئة. فما هذا الذى أخرجه
من كيسى؟

هو : أوه، ما أجملها من فلنسوة صغيرة خضراء،
وما هذا الذى يبرق فى زرها؟

الجنية : إنها الماسة الكبرى التى نورها هو جلاء العيون.
هو : حقاً؟

الجنية : نعم، حين تضع القلنسوة على رأسك تدير الماسة
قليلاً من اليمين إلى اليسار، مثلاً هكذا، أرايت؟
إنها حينئذ تضغط على عظم نافر فى الرأس
لا يعرفه أحد وهو الذى يفتح العينين.

هو : وهل سأحس بألم؟

الجنية : على العكس، وانه سحر ستحس بلطفه، وفى
اللحظة ذاتها تتجلى لك سريرة الأسياء! سريرة
الخبز والنبيد والفلفل.

هو : وتتجلى لى أيضاً سريرة السكر؟

الجنية : طبعاً، إنى لا أحب الأسئلة الفارغة، إن سريرة
السكر لا تفضل سريرة الفلفل، والآن ها أنذا
أمنحكما كل ما تحتاجان إليه من أجل الحب
عن الطائر الأزرق ، إنى لا أجهل أن «خاتم

المُلك» الذى يحجب لا بسه عن الأنظار، وأن
البساط الطائر أنفع لكما، ولكنى أضعت مفتاح
الخزانة التى كنت خبأتهما فيها، آه ! كدت أنسى،
[تشر إلى الماسه] حين تضع يدك عليها وتديرها
مرة أخرى فليلاً هكذا فسيتكشف لك الماضى،
ثم تديرها أيضاً فليلاً فيتكشف لك المستقبل،
إنها سىء عجيب نافع يعمل فى صمت.

: إن بابا سيأخذها منى.

: إنه لن يراها، لن يقدر أحد أن يراها ما دامت
على رأسك. أتريد أن تجرب [تضع الفلسوه الصغيرة
الخضراء على رأس تيلتيل] والآن، أدر الماسه وانظر..

[ما يكاد تيلتيل يدير الماسه حتى يحدث تغير عجيب يشمل كل
الأشياء بغته، وتنقلب الحنية العجوز فجأة إلى أمره جميله رائعه
البهاء وتضىء حجارة الصوان المنية بها الجدران بلمعان
الياقوت الأزرق، وتصبح شفافه براهه مخطف الأنصار سأن
الأحجار الكريمة، الأثاث الفخر تدب فيه حياه داب بهاء،
المنصده المصنوعه من الخشب الأبيض تصيح تنطق بالوفار
والمجد مثل منصدة من المرمر، ووجه الساعه يغمر بعينه، وبيتسم
بشاشة، على حين يفتح غطاء دولاها الذى يتأرجح رفاصها من
ورائه مميناً ويساراً ثم تنطلق منه الساعات وهى مشبكه الأندى
محلحلة الضحكاب، وتأخذ فى الرفص على نغم حلو، وحو
لتيلتيل أن يدهش].

: هاته الأنسان الجميلات، من هنّ؟

هو
الجنية

هو

الجنية : لا تخف، إنهن ساعات عمرك، هنّ في غمرة من
الحبور إذ ملكن الحرية والانكشاف للأعين مدى
برهة ولو وجيزة.

هو : ولماذا تتلأأ الجدران؟ أهى من السكر أم من
الأحجار الكريمة؟

الجنية : كل الأحجار سواء، كل الأحجار كريمة، ولكن
الناس لا ترى إلا قلة منها.

[وإد يدور هذا الحوار بينها تتوالى لمسات السحر حتى تلعب كمال
غايتهما، وتبرز سرائر الأرغفة على شكل أفرام في سراويل بلون
فشرة الخمر الخاف، سكارى من الدهشة، تباثر فوفهم الدقيق،
ويخرجون في صندوق الخبر فيدورون حول المنصدة في حطى
مرحة عابثة فتعترضهم سريرة «النار» الى قفرت من المدفأه
وهى في سراويل أصفر ورمري وتتلوى من الصحك وهى تطارد
سرائر الأرغفه]

هو : وهؤلاء الأقزام الأمساخ، من هم؟
الجنية : ليس أمرهم بالجلل، أنهم سرائر الأرغفه
ينتفعون سفور عالم الحقيقة ليخرجوا من
سجنهم فى الصندوق الضيق.

هو : وهذا العفرين الأحمر كرية الرائحة؟
الجنية : اسكن، لا ترفع صوتك، إنها النار، وهى سرسة
الخلق.

[لا يقطع هذا الحوار توالى لمسات السحر، فإذا بالكلب والهرة

وهما نائمان مكوران إلى جانب الصوان يطلقان معاً فحأة صرحة عالية ثم ينشق تحتها غطاء سرداب ويلعبها فيختفيا ويرر مدلهما قرمان أحدهما يتلثم بقناع على هيئة وجه كلب من فصيلة «الولدوح» وقناع الآخر على هيئة وحده هرة، فإذا بالقزم الذي يلبس قناع الولدوح (وسكتفى فيما يلي بكلمة «الكلب» لتسميته) يرتقى على تيلتيل يعاقبه وبرشقه بقبيلات هوح، ويعرقه حتى يشل حركته تمشحات رائطة متأححة، على حين أن الفتاة القرم المثلثة بقناع الهرة (وسكتفى فيما يلي بكلمة «الهرة» لتسميتها) تشرع تمشط وتلعق يديها وتسوى شارها من قبل أن تقترب من ميتيل].

الكلب

: [وهو ينح ويقفز وينفلت عيابه فيحيط كل شيء في طريقه تنهور لا يطاق] مولاي الصغير أهلاً، أهلاً بمولاي الصغير، وأخيراً، أخيراً، استطعت أن أتكلم، إن لدى أشياء كثيرة أود أن أقولها لك فلم يسعفني ويفصح عني نباح ولا هزّ ذيل، وكنت لا تفهم عني، أما الآن، أما الآن فمرحباً بمولاي، إني أحبك، أحبك، أتريد أن أريك بعض ألعابي المدهشة؟ أن أقف وفقة المستجدي؟ أن أسبر على يديّ وحدهما؟ أن أرفص على قدميّ وحدهما؟

: [للحية] من هذا السيد الذي له وجه كلب؟
: ألا تدرك؟ إنها سريرة كلبك «تيلو» وقد استنقذتها أنت من الأسر.

هو
الجنه

الهرة : [تد إلى ميتيل يدا موقرة متهية] بحيه يا سنى،
ما أجملك هذا الصباح.

هى : بحيه سيّدى [إلى الحية] من تكون؟
الجنينة : من السهل أن ترى بنفسك أنها سريره هرّتك
«تيليب» الى تمد إليك يدها فامنحها قبله منك.

الكلب . [وهو يرحح الهرة] وأنا أيضاً أريد أن أقبل مولاي
الصغير، وأقبل سى الصغيره، إنى أريد تفبيل
الجميع هنا، ما أسعدنى! سيطيب لنا هو كبر.
سأبدأ بأن أخيف تيلين، هاو، هاو، هاو [يسحها].
الهرة : [للكلب] سيّدى، إنى لا أعرفك.

الجنينة : [هى ترجر الكلب بعصاها السحرية] أما أنت فالزم
الهدوء وإلا رددناك إلى عالم الصمب إلى يوم
القيامة.

[وفى عن الوف تكون لمساب السحر ماصيه فى عملها، تطلق
فى ركن المحره عجله «المعرل»، وتدور بسرعه هوحاء، وتسبح
أشعه من ضياء ذات بهاء، يبدأ الصور فى ركن آخر يصفر
صوت عال وتسعث منه نافورة مصيئه علأ الحوض بحدائل من
اللؤلؤ والياقوت، تنقلب منها سريره الماء على هيئه فتاه سانه
تنساقط منها القطرات، شعرها مشعث ونسيحها مرتفع وتبدأ من
مورها عراكها مع سريره النار].

تيلتيل : ومن تكون هذه السيده المبلّله؟

الجنية : لا تخف، إنها سريرة الماء قد انفلتت من الصنبور.

[يفلب إريق اللبن ويضع من على المنصده ويتحطم على الأرض وينعث من اللس المراق شخص أبيض حجول كأنه يتهيب كل شيء حوله]

هو : ومن تكون هذه السيدة الخائفة التي طلعت لنا بقميص النوم؟

الجنية : إنه اللبن وقد كسر إناءه.

[نرى قمع السكر أمام الصوان يأخذ في السو ويزداد حجمه وعزق ورق غلافه ويبعث منه شخص يصطع الرفه وهو نادی النفاق، يرتدى معطفا ملوناً على التوالي بالأبيض والأزرق ويتقدم إلى ميتيل وعلى شفقيه ابتسامه ترعم التقي والورع].

ميتيل : [في فلق] ماذا يريد؟

الجنية : أنه سريرة السكر.

هى : [وفد اطمأنت] هل عنده حلوى «نبوت الخفير».

الجنية : ليس في جيوبه شيء سواها، وكل أصبع في يده «نبوت خفير».

[يسقط المصباح من على المنضده وما يكاد يفعل حتى يتصاعد وهجه على هيئة فتاة عذراء وصاءه فائمه الجمال، محللها غللات شفافة براقه وتحمد في مكانها كأنها في وحد]

هو : إنها الملكة!

هى : إنها العذراء البتول.

الجنية

: كلا يا أولادى، إنها بسمة النور.

[وإذ يحدث هذا يرى الطواحي النحاسية على الرف وهى تدور على محاورها كلعبة النحلة، وينفتح باب الصوان على مصراعيه يدوى، ويلفظ سيلاً رائعاً من أقمشه بعضها فى لون أشعة القمر وبعضها فى لون أشعة الشمس يحتلط بها سيل لا يقل روعة من الخرق والمرق يهبط على السلم من المحرن، ثم يقرع الباب الأعم فحاء بدفات ثلاث عيفة نوعاً ما]

هو

: [فى خوف] إنه بابا، قد سمعنا.

الجنية

: أدر الماسة من الشمال إلى اليمين [تيلتيل يدير الماسة عنف] لا تعفرتها هكذا، يا إلهى! لقد تأخرنا فضاعت الفرصة من أيدينا، أنت أدرتها بعجلة سديدة، لن يبفى لمن حولنا وفن للعودة إلى أماكنهم المألوفة، وسنلقى متاعب كبيرة.

[ترتد الجنية إلى امرأه عجور، تطفئ حدران الكوخ ضياءها، وتؤوب الساعات إلى مئواها، وتكف عجله المعزل عن الدوران، النخ النخ ويعم المكان هرح ومرج، وربكة، بحوب النار أرجاء المحررة فى حركة هوجاء لتسبح عن المدفأه، وإذ تفعل ذلك نرى رعيماً يعجز عن الاندساس فى صندوق الحرف فينفجر نكاؤه وتدوى صرخاب فزعاً]

الجنية

: ماذا حدث؟

الرغيف

: لم يبق لى مكان فى الصندوق.

الجنية

: [تنحى فوق الصندوق] بل فيه مكان، فيه مكان لك، [تدفع الأربعة التى سممت فاحتلت مكانها القديم فى الصندوق]

هَيَّا، هَيَّا، اسرعوا، انتظموا، أفسحوا بينكم
مكاناً.

[يدى الباب من حديد].

الرجيف : [وهو مرتعب مضجّع مجاهد عساً للدخول إلى الصدوق]
لا وسيلة للدخول، سأكون أول ما يأكله.

الكلب : [وهو يتوانى حول تيلتيل] مولاي الصغير! إننى
لا أزال هنا، لا أزال أستطيع الكلام، لا أزال
أستطيع تفبيلك مرة، وبانبه، وبالنه.

الجنية : ماذا؟ أنت أيضاً لم تنصرف بعد؟
الكلب : إننى محظوظ إذ لم ألحق العودة إلى عالم الصمم
فإن غطاء السرداب كان أسرع منى فانفقل
وبقيت.

الهرة : كذلك كان شأنى، ماذا سيحدث؟ هل ستواجهنا
أخطار؟

الجنية : يا إلهى! ينبغى أن أصارحكم بالحفيفه، كل من
سيصحب الصبيين فى رحلتها سيموت عند
نهايتها.

الهرة : ومن لا يصحبهما، ما مصيره؟

الجنية : يمتد أجله قليلاً.

الهرة : [للكلب] تعال نأوى إلى السرداب.

- الكلب : كلا، كلا، لا أطاوعك فإني أحب أن أصحب
مولاي الصغير وألا أكف عن مناجاته.
- الهرة : يا لك من غرّ أبله !
[الباب يدو مره أخرى]
- الرجف : [وهو يدرف دموعاً ساحقة] لا أريد أن أموت عند
نهاية الرحلة، أريد أن أدخل فوراً إلى
الصندوق.
- النار : [وهي لا تتفكّ تدور في الحجرة بحركة هواء وترسل أريرا ييم
عن كرها] لم أعد أجد المدفأه.
- الماء : [وهي تحاول عسا الرجوع إلى الصبور] لم أعد أملك
العودة إلى الصنبور.
- قمع السكر : [وهو يطوف باضطراب حول مرق علاقه] فد مزفت
غلافي.
- اللبن : [في سكينه وخجل] وفد كسرت إبريفي الصغير.
- الجنبه : يا لهم من أغبياء، أغبياء جبناء، إن بهاءكم في
صندوقكم الكريه وفي سراديبكم وصبوركهم
أفضل عندكم من مصاحبه الصبيين للبحث عن
الطائر الأزرق.
- الجميع : [فيما عدا الكلب وسمة البور] نعم، نفضل العوده
فوراً، إلى صنبوري، إلى صندوقي، إلى مدفأتي،
إلى سردابي.

الجنبة : [إلى سمة النور وهي تصوّب نظرة حامله إلى حطام مصاحها]
وأنت يا بسمة النور ما هولك؟

بسمة النور : سأصحب الصبيين.
الكلب : [وهو يهتف بهرح] وأنا أيضاً، أنا أيضاً.
الجنبة : هذه شيمة أفضل، على كل حال قد فات أوان
النكوص، لم يبق لكم خيار، ستخرجون كلكم
معنا. ولكن أنت يا نار، لا تقربى من أحد،
وأنت يا كلب، لا تتساكس الهرة، وأنت يا ماء
اصلبى عودك وحذار أن تندلهى أينما حللت.
[لا يزال الباب الأيمن يدق بعنف].

تبلتلبل : [وهو يتسمع] هذا الدق مذ بدأ: هو دق بابا، إنه
نهض من فراشه وأنا أسمع خطوه.
الجنبة : لنخرج من النافذة. ستأتون جميعاً إلى بيتي
لأتخير لكل حيوان ولكل شىء ما يليق به من
النياب، وأنت يا رغيف، خذ معك القفص لنضع
فيه الطائر الأزرق، ستكون حارسه المستول
عنه، هيا هيا، لانضع الوقت.

[تتسع النافذة فجأة وتصبح بمثابة باب فيخرجون منها جميعاً ثم
تعود إلى وضعها الأول وتقفل مصراعها وهي تزعم الراءه،
تعود الحجرة للظلام ويختفى المهدان في العتمه، يفتح الباب
الأيسر إلى آخره ويظهر في إطاره بابا وماما تيل].

بابا تیل : لا سىء مريب، لم يكن إلا صرير الجنادب.
ماما تيل : هل غمك تبين أولادنا؟
بابا تيل : نعم ولا ريب، إنها نائمان فى هدوء.
ماما تيل : إني أسمع أنفاسهما.
[ينقل الباب].

[ستار]

الفصل الثاني

المنظر الثاني: بيت الجنية

[هو فخم في قصر الجنية غرباوية، أعمدة من المرمر لها تيجان من الذهب والفضة، سلام ومقاصير وشرفات إلح إلخ. يدخل إلى عيانة المسرح من اليمين كل من الهره وفعع السكر والنار وهم في ثياب نديعة، إنهم خرحوا من حجره ترسل فيضاً من الأضواء، هي خزانة نياي الجنية، تلمعت الهره بغلاله بيضاء شفافه فوق فميص لها من حرير أسود، وارتدى فمع السكر ثوباً من الحرير مزدوج اللون. أبيض وأزرق حائل، ولست النار معطفاً طويلاً فرمرى اللون، مبطناً بالذهب، ووضعت فوق رأسها ريشه متعددة الألوان، يخترقون البهو كله طولاً حتى يلفوا مقدمة المسرح فتجمعهم الهرة في مقصورة].

الهره : من هنا، إننى خبيرة بكل مسالك هذا القصر
الذى ورثته الجنية غرباوية عن صاحب اللحية
الزرقاء، لقد ذهبت هى والصبيان لزيارة ابنتها،
فلنغتنم في غيبتهم آخر دقيقة ننعم فيها بحريتنا،
جمعتم هنا من أجل أن نبحث معاً هذا الموقف
الذى وجدنا أنفسنا فيه، فهل ينقصنا أحد؟
فعع السكر : ها هو ذا الكلب يخرج من خزانة الملابس.

- النار : عجبى! أىّ نوب هذا الذى يرتديه!
- الهره : إنه اصطفى لنفسه رداء الخادم الذى يحرس
عربة ساندريلا، لعمري لقد اختار ما يليق به،
لأن له طبع الخدم، فلنختبئ في هذه الشرفة فإنى
لتأخذنى من الكلب ريبة أعجب لها. والأفضل
أن لا يسمع ما سأقوله لكم.
- قمع السكر : جهد ضائع فقد دلت حاسة السم علينا، انظروا
ها هى ذى سريرة الماء تخرج أيضاً من خزانة
الملابس، ما أبهى جماها.
[يلتحق بهم الكلب والماء]
- الكلب : [وهو يتواء] انظروا انظروا إلى جمالنا وبهائنا،
إلى هذه الدنتلا وهذه الزركشة، إن خيوطها من
ذهب خالص، لا ريب فيه.
- الهره : [إلى الماء] يخيل إلى أن نوبك ليس بغريب علىّ،
لقد سمعت وصفه في أحدىثة للأطفال.
- الماء : نعم نعم، إنى وجدته فوق ذلك أليق الأبواب لى.
وجهلت أن لابسة هذا التوب ينبغي أن تحمل
مظلة لا تفارقها.
- الماء : لا أفهم، ماذا تعنين؟
- النار : لا سىء، لا سىء.

الماء : [تهزأ بالنار وتعرض بأنفها] ظننتك تتحدثين عن أنف حمراء متورمة رأيتهما أخيراً..

الهرة : هيا هيا، كفوا عن النقار والسجار، فأمامنا سىء أفضل نفعله، أصبح لا ينقصنا إلا الرغبة. أين هو؟

الكلب : هو يقيم الدنيا ويفعدها من أجل أن يختار بوبه.
الهرة : حق لمن بدت بلاهته وبرز كرشه أن ينصب ويتخير..

الكلب : وأخيراً اصطفى له طيلساناً من لباس الأتراك محلى بالفصوص وله خنجر وعمامة.

الهرة : ها هو ذا قادم إلينا، إنه اختار أجمل رداء لصاحب اللحية الزرقاء.

[يدخل الرعيف مرتدياً الثوب الذى وصفناه هو طيلسان من الحرير قد ضاق بكرشه البارز فلم تنعمد أزراره فوق بطنه إلا عسقة، للرغيف يد على مقبص الخنجر المثب على حزامه، واليد الأخرى ممسكة بالقفص المعد للطائر الأزرق].

الرغيف : [وهو يرقص أمامهم فى خلاء وغرور] والآن، كيف تروننى فى هذا الطيلسان؟

الكلب : [وهو يتواثب حوله] ما أجمله! ما أسخفه.
ما أجمله.. ما أسخفه.

الهرة : [للرغيف] وهل ظفر الصبيان بنوبين لهما؟

الرهف : كان من نصيب السيد تيلتيل ثوب «عملة
الأصبع» ستره زرقاء وسروال أحمر، ومن
نصيب الأنسة ميتيل ثوب ست الحسن والجمال
وحذاء ساندريلا. ولكن المشكلة كانت في
اختيار ثوب يليق ببسمة النور.

الهرة : ولماذا؟

الرهف : لأن الجنية أبت من فرط جمال بسمة النور أن
تسترها بغطاء، فاحتججت أنا باسم كرامتنا
نحن سرائر العناصر الأولى وباسم شرفنا
الرفيع وأعلنت في النهاية أنني أرفض في هذه
الأحوال أن أخرج في صحبه بسمة النور وهي
عارية.

النار : كان ينبغي أن نستري لبسمة النور ظليلة
(أباجور).

الهرة : وبماذا أجابت الجنية؟

الرهف : كانت إجابتها ضربات من عصاها على رأسي
وبطني.

الهرة : ثم ماذا حدث؟

الرهف : آمنت بحكمها صاغراً على الفور ولكن بسمة
النور قررت في آخر لحظة أن تختار ثوباً لونه
من ضياء القمر.

الهرة

: كفى ترنرة، الوقت يتعجلنا، إن المسألة تتعلق
بمستقبلنا. قد سمعتم ما قالت الجنّة من أن نهاية
الرحلة هي في الوقت ذاته نهاية عمرنا، فينبغي
إذن أن نطيل ما أمكن من أمد هذه الرحلة،
بكل حيلة نملكها، ثم هناك مسألة أخرى، ينبغي
أن نعى بمصير أجناسنا ومستقبل ذريتنا.

الرجيف

الهرة

: كلام جميل، الهرة على حق.
: انصتوا لي: نحن جميع الحاضرين هنا من حيوان
وجاد وعنصر لنا سريرة لم يتبينها الإنسان بعد،
ولذلك بقينا نتمتع بفضلة من الاستغلال ولكن
لو عر الإنسان على الطائر الأزرق فإنه
سيعرف كل شيء ويرى كل شيء، ونصبح
جميعاً في قبضته، أسرى رحمته، هذا ما قالت لي
صديقة قديمة هي فحمة الليل، إنها أيضاً حارسة
أسرار الحياة. فمن مصلحتنا جميعاً أن تمنع -
مهما كان الثمن - عثور الإنسان على الطائر
الأزرق حتى لو اقتضانا الأمر أن نعرض حياة
الصبيين للأخطار.

الكلب

: [في حق] ماذا تقول هذه البنت؟ أعيدى قولك
لو تكرمت لأتبين جليته.

الرجيف : سكوب ! لم أعطك حق الكلام، وأنا رئيس هذا

الاجتماع.

النار : ومن الذى أسند إليك الرياسة.

الماء : [لنار] سكوت. ما دخلك فى هذا؟

النار : أنا أتدخل حين أشاء، وليس لملى أن يعترض

عليه ملك.

قمع السكر : [محاولاً المصالحة] من فضلكم، من فضلكم، ينبغى

أن نكفّ عن العراك، فالساعة عصيبة، أمامنا

قبل كل شىء أن نتفق على خطة نتبعها.

الرجيف : إن رأى مطابق كل المطابقة لرأى قمع السكر.

الكلب : هذا سخف، لا تنسوا وجود الإنسان، هذه هى

المسألة كلها، لا مفر لنا من طاعته والانصياع

لرغباته، هذه هى الحقيقة التى ليس غيرها

حقيقة أخرى، إننى لا اعترف إلا بالإنسان،

فليحيا الإنسان! حياتنا ومماتنا ملك يديه، وفى

خدمته، فالإنسان هو مولانا جميعاً.

الرجيف : إن رأى مطابق كل المطابقة لرأى الكلب.

الهرة : ولكن جُد علينا بذكر مبررات فورك هذا.

الكلب : ليس هناك مبررات إنى أحب الإنسان، وفى

حبى كفايه، فإذا تأمرتم عليه فإنى سأخنقكم

أولاً ثم أذهب إليه وأفضحكم عنده.

قمع السكر : [يتدخل بلمحه حلوة] من فضلكم، لا داعي لهذا

النقاش المرّ، هناك وجهه نظر تسوّغ الفول بأن
كلّا منكما على حق، ولكل رأيٍ ما له وما عليه.

الرجيف : إن رأيي مطابق كل المطابقة لرأي قمع السكر.

الهرة : ألسنا نحن الموجودين هنا جميعاً، الماء والنار،

حتى أنت أيها الرجيف وأنت أيها الكلب، ألسنا

ضحانا اسبداد غاشم؟ اذكروا العهد الذي كنا

قبل مجيء الطغاة تنعم فيه بالحرية ونروح ونغدو

كما يحلو لنا على سطح الأرض؟ لم يكن للدنيا

من سيد إلا النار والماء، فانظروا كيف كان

مصيرهما.. أما نحن فلم نصبح على يد الإنسان

إلا سلالة هزيلة ممسوخة لأجدادنا العظام:

وحوش الغابات. اسكنوا. انتبهوا. تصنعوا

البراءة كأنما لم نجتمع لأمر، فإني أرى الجنيّة

وبسمة النور فادمين نحونا، لقد انحازت بسمة

النور إلى صفّ الإنسان، إن بسمة النور الدّ

أعدائنا، ها هما قد أقبلا.

[تدخل الحية من اليمن ومعها سمه النور وفي أثرها تيلتل

وميتل].

الجنية : وى وى، ماذا أرى؟ فيم اجتماعكم في هذا

الركن المنعزل؟ حالكم ينبئ بأنكم تتأمرون، قد

آن أوان البدء فى الرحلة، وقد قررت أن تكون
بسمه النور فائدكم تطيعونها جميعاً طاعتكم لى
وسأستودعها عصاى السحريه، وسيزور
الصبيان هذا المساء أجدادهما الموتى ولا داعى
لمرافتكم لهما، حياءً من الفضول.. سيقضيان
هذه الليلة بين أحضان الراحلين من أسرتهما
فاغتنموا وقت غيابهما وأعدّوا العدة لرحله الغد
إنها ستكون مرحلة طويلة، هيا، انهضوا، وابدأوا
العمل، كل واحد منكم فى وظيفته.

الهره

: [ساق] هذا هو عين ما كنت أقوله لهم
يا سيّدتى، كنت أحهم على أداء واجبهم
بحرص وحماس ولكن الكلب كان مع الأسف
لا ينفك يفاطعنى.

الكلب

: ماذا تقول؟ مهلاً، مهلاً، (ويوسك أن يهجم على
الهره ولكن تيلتيل يحبس نيته فيصده بإسناره
مهّددة)

تيلتيل

: ارقد يا تيلو، إذا عدت لهذه الفعله مره أخرى
فإنى..

الكلب

: يا مولاي الصغير، أنت لا تدري، إنها هى التى..
: [وهو يرحره] اسكت.

هو

: كفى كفى، هيا نفرغ من ترتيباتنا، على الرغيف

الجنينه

أن يترك القفص هذه الليلة لتيلتيل فمن الجائز
أن يكون الطائر الأزرق مختبئاً في طيّات الماضي
عند الراحلين من أسرته، إنها فرصة على كل
حال لا بحسن إغفالها، وأنت يا رغيف، هات
القفص.

الرغيف : [لهجة مراسيمية] ديفة واحدة من فضلك،
يا سيّدتى، [يتحوّل إلى لهجة حطابية] إننى أأخذ منكم
جميعاً شهداء على أن القفص الفضى الذى كان
فى عهدنى..

الجنية : [مقاطعة] كفى، كفى نسقسه، سنخرج من هناك،
أما الصبيان فسبخرجان من هنا.

هو : [وهو شديد التوجس] سنخرج وحدنا؟

هى : إنى جائعة.

هو : وأنا أيضاً.

الجنية : [للرغيف] افتح طيلسانك التركىّ واقطع لهما
نسريخه من أطيب لحم فى بطنك.

[يفتح الرغيف طيلسانه ويستل حجره ويقطع به من بطنه
شريحتين كبيرتين يمنحها للصين]

فمع السكر : [يفترب من الصين] اسمحالى أن أقدم لكما أيضاً
سيئاً من حلوى نبوت الخفبر [يكسر من يده اليسرى
أصابعها الخمس واحداً بعد آخر ويمنحها للصين].

هو : ماذا يفعل؟ إنه يكسّر أصابعه كلها.
فمع السكر : [وهو يحبها كرم] هيا، ذوقاها، إنها حلوى بديعه،
نبوب خفير بحق وحقيق...

الجنينه : حذار يا ولدتي من الإفراط في أكل السكر ثم
لا تنسبا أنكما ستتناولان العشاء بعد قليل عند
أجدادكما.

هو : أهم هنا؟
الجنينه : ستربانها وسكاً.

هو : وكف نراهم وهم موني؟
الجنينه : كف تقول عنهم موني وهم يعيسون في
ذاكرتكما، إن الناس لا يدركون هذا السرّ لأنهم
لم يبلغوا من العلم إلا قليلاً، أما أنت فستري
بفضل الماسة أن الموتي الباقين في الذاكره
يعيسون في هناء كما لو كانوا غير موني.

هو : وهل سأتى بسمه التور معنا؟
بسمه النور : من الألبق أن لا نفسد على الأسره خلوتها إذا
اجتمعت، وسأبقى قريباً فلا أظهر لهم حتى
لا أتهم بالفضول وقله الحياء، ثم لا تنس أنني لم
أتلو منهم دعوة.

هو : من أى طريق ينبغي أن نذهب؟
الجنينه : من هناك، أنتما الآن على عتبه أرض الذكريات،

وحالما تدير الماسة ستري سجرة سامقة عليها
لافته فتفهم منها أنك قد وصلت ولكن إياكما أن
تنسيا العوده في الساعه التاسعة إلا ربعا، هذا
سوء في غاية الأهمية، فاحرصا قبل كل سوء
على العوده في الموعد المحدد، وسضيع كل شيء
هباء إذا تأخرتما، فإلى اللقاء إذن، [تنادى الهره
والكلب وسمه النور إلخ إلخ] أنتم من هنا، والصبيان
من هناك.

[يخرج من اليمين مع سمه النور ورمزه الحيوان إلخ إلخ
ويخرج الصبيان من اليسار]

[ستار]

المنظر الثالث - أرض الذكريات

[صباح كيف، على اليمن في مقدمه المسرح حدع شجره بلوط صحمة، معلق عليها لافته، الضوء كاللبن المسكوب، عامض عمر شفاف تيلتيل وميتيل عند حدع الشجره]

هو : هذه هي الشجره.
هي : وعليها اللافتة.
هو : عيني لا تستطيع فراءها، اننظري، سأصعد فوق هذه الجذور، نعم، هي المصودة حقا، فمكتوب عليها «أرض الذكريات».
هي : وهل تبدأ هذه الأرض من هنا.
هو : نعم، هناك رسم سهم ينير إليها.
هي : ولكن أين جدّي وحدّتي؟
هو : من خلف الضباب، فلنصبر حتى نرى.
هي : إني لا أرى نسيئا، بل لم أعد أرى يديّ وقدميّ [بلهجة متأكد ساكده] أحس بالبرد يقرصني، ولا أريد متابعة الرحلة، أريد أن أعود لليب.

هو : سدّي حيلك، أهكذا دأبك، البكاء، كما تفعل
صاحبتنا الماء، ألا نخجلن؟ فتاة شابة منك؟
انظري، ها هو ذا الضباب ينفسع، وسنرى ماذا
كان يخفيه عنا.

[يبدأ الضباب فعلا في التموج، فيرق ويشف، ويتدد ويتحر،
ويحل محله ضوء يزداد سطوعه شيئا فشيئا، يتكشف تحت سقيفه
من الأغصان بيت ريمى صغير ينطق بالبشر، تغطيه نباتات
متسلقه، النوافذ مفتوحة، وكذلك الباب، يرى تحت عريشه
حلايا نحل، وأصص زهر على حافه النوافذ، وفصا به شحورور
أسود قد أعفى، ويحاسب الباب دكه يجلس عليها شيخ ووجهه
العحون، كلاهما مستغرق في نوم عميق هما الجد والجده.]

تيلنيل : [يعرفها فجأه] هذا جدّي، وهذه جدنى.
ميتبل : [تصفق طرنا] نعم، هو جدّي، وهذه جدتى.
هو : [ربعض الشك لا يزال يساوره] احذرى، فلسنا ندرى
هل هما قادران على الحركة فلنختبئ وراء
السجرة.

[تفتح الجدة تيل عينيها وترفع رأسها وتمطى وتشهد، وترمى
الجد تيل وهو ينفلت من قبضه النوم قليلا قليلا]..

الجدة : فلبى يحدثنى أن حفيدنا سيزوراننا اليوم من
عالم الأحياء، لاسك.
الجد : لاسك أننا خطرنا على بالهما بدليل خففان فلبى
وخدر سافى.

- الحده : أظن أن وصولهما فد اقترب لأن دموع الفرح
تترافص أمام عيني.
- الجد : كلا كلا، هما لا يزالان على بُعد وإلاّ لدبت
الهمه في بدني.
- الجدّة :ؤكد لك أنهما أصبحا بالقرب منا، فها هي فواى
تعود إلى كليهما.
- سلتيل وميتيل : [وهما يدمعان نحوهما من رواء الشجرة]
ها نحن قد جئنا، ها نحن قد جئنا، يا جدّى،
يا جدتى. نحن حفيداكما، نحن حفيداكما.
- الجد : ها هما قد وصلا. ألم أقل لك؟ كنت واثقاّ أنهما
سيحضران اليوم.
- الحده : تيلتيل، ميتيل حفيداى [تحاول الهوض لتسقيهم في
اللحاء] لا استطيع الجرى فلم يفارفتي الروماتزم.
- الجد : [يحاول الجرى وهو يعرج] وأنا أيضا عاجز عن
الجرى على سافى الخسبية، أين هي من سافى
التي انكسرت يوم سقطت من على سجرة
البلوط.
- [يشترك الحفيدان والجدان في عناق حار].
- الجدّة : شدّ ما قوى عودك ونما ياتيلتيل.
- الجد : [وهو يربّت على شعر ميتيل] ومينيل، انظري إليها!

بربك ما أجمل سعرها، وما أجمل عنهاها، سم
سذى عرفها، ما أطيبه !

الجدّة : هيا نتعانق مرة أخرى، تعالا اجلسا فى حجرى.
وأنا؟ ألم يبق لى نصيب؟

الجد : كلاً كلاً، أنا أولاً، كيف حال بابا وماما.
هو : على أحسن حال يا جدنى، كانا نائمن حين
خرجنا.

الجدّة : [وهى ترممها ولا تكفّ تربّ عليها] تالله ما أبهى
جمالكما، وظرفكما ونظافتكما، وجواربكما غير
ممزقة، قد كنت أنا من قبل أقوم برفوها، لماذا
لا نواليان زيارتنا؟ فإن هذا سرّنا كسرًا امد
نسيانكما لنا شهورًا طويلة، ولم نعد نرى أحدًا
منكما.

هو : لم نكن نقدر ما جدّتى، وإذا كنا قد جئنا اليوم
فذلك بفضل الجنبّة.

الجدّة : نحن هنا دائماً نترقب من الأحياء زيّاره ولو
قصيرة، إنهم لا يحضرون إلا نادرا، فأخر مرة
جئتما فبها.. دعونى أتذكر، متى كانت؟ نعم
كانت فى عيد جميع القديسين حين كانت
أجراس الكنائس تدق أنغامها.

هو : عبد جميع الفديسين؟ إننا لم نخرج ذلك اليوم
بسبب الزكام.

الجدة : نعم ولكن زارنا فكريهما.

هو : نعم، كنا نفكر فيكما.

الجدة : في كل مره تفكران فبنا سستيقظ وبراكما من
جديد.

هو : كيف؟ أيكفى أن..

الجدة : بلا رب، أنت تعلم هذا..

هو : كلا، لا أعلم.

الجدة : [للجد] ما أعجب حال أهل الدنيا! إنهم

لا يعرفون هذا! هل عجزوا عن الإدراك..

الجد : كنا ملهم في عهدنا، ما أغبى حديق الأحياء
عن الراحلين.

هو : أكنننا نائمين طول الوقت؟

الجد : نعم، نحن نبقي نائمين ننتظر أن يمر ذكرنا ببال

أحد الأحياء فنستيقظ، ما أحلى النوم حين تولى

الحياه ولكن ما أحلى اليفظه أيضا بين الحين

والحين.

هو : فأنت لست بميت حقا، وكذلك جدتي.

الجد : [وهو يفز] ماذا تقول؟ ماذا يقول؟ ها هو ذا

ينطق بكلمات لم نعد نفهمها، أهى كلمة
مستحدثة أم اختراع جديد.

هو : تعنى كلمة «مت» ؟
الجد : نعم هذه الكلمة ما معناها ؟
هو : معناها ننطبق على كل من انتهت حياته.
الجد : ما أغياهم أهل الأرض.
هو : أأنتم فى راحة هنا ؟
الجد : لا بأس، لا بأس، وحبذا أيضًا لو أتيح لنا
التدخين.

هو : أغر مسموح لك به ؟
الجد : نعم، التدخين مباح ولكنى كسرت غلوفى^(١).
الجد : سنكون بخير إذا أكرتما من زيارتنا، أتذكر
يا تيلتيل آخر مرة أعددت لك فيها فطيره
تفاح جميلة وكف أفرطت فى الأكل منها حتى
مرضت.

هو : لم آكل فطيرة تفاح منذ العام الماضى وليس
لدينا تفاح هذا العام.

الحد : كفى هراء، النفاح موفور هنا.

(١) بعلب هذه المقره من اسرحه الانجليريه لأنها فى الأصل الفرنسى وارده على
صوره لاتسقى مع بنية الحوار.

- هو : الأمر يختلف.
- الجد : كيف يختلف؟ لا يختلف ما دمنا نتعاقب.
- هو : [وهو ينقل نظره بين الحد والحدة] سكلك يا جدّى لم يتغير، وكذلك جدّى، بل قد زدتما وسامه وجمالا.
- الجد : لا بأس بحالنا، لم نعد نتقدم فى العمر فنكبر، أما أنتما فما كان أسرع نموّكما، إنه نموّ مليح. التفت إلى الباب، عليه علامه فياس طولك آخر مرة، يوم عيد جميع الفديسن، فلتنظر الفرقى، سد فامتك [تيلتيل يستد إلى الباب ويشد قامته] الفرقه أربعة أصابع، يالها من طفرة هائله، [ميتيل تشدّ قامتها هى الأخرى] وميتيل؟ أربعة أصابع ونصف أصبع، ما أسرع نموّ النباتات الشيطانية، عجبى لطولكما، عجبى لطولكما.
- هو : [يتأمل فيما حوله متعة واسهار] كل شىء هنا باقى كما كان، كل سىء فى موضعه، وإن ازداد جمالا، هذه هى الساعة وعقربها الكبير الذى كنت كسرت رأسه.
- الجد : وهذا هو قدر الحساء الذى كنت كسرت طرفه.
- هو : وهذا هو الخرم الذى أحدثته بالباب يوم وقع المنقاب فى يدى.
- الجد : نعم، ما كان أكر اتلافك، وهذه هى سجره

البرفوق الى كنت تحب تسلّقها حين أغيب..
إنها لا تزال تجود بنمر أحمر سهي.
: ولكنه ازداد جمالا.

هو

: وهذا هو السحرور الهرم.. ألا يزال يغنى.

هى

[يستيقظ السحرور ويطلق فى الغناء]

: أرايت؟ أنه يغنى على الفور حين يمر ذكره ببال.

الجدة

: [يلحظ بدهشة أن السحرور لونه أروى] ان لونه أزرق،

هو

اذن هو الطائر الأزرق الذى ينبغى أن آتى

الجنية به، كلف سكتها عن اخبارى أنه عندكما.

نعم. نعم. أنه أزرق اللون، يسبه الزرقاء من

الحبّات الزجاجية التى نلعب بها، [يستعطف الجدّ

والجدة] يا جدى، يا جدتى، هل لكما أن تسمحا

باعطائه لى.

: نعم، ربما، ربما، ما رأيك يا ستى؟

الجد

: نعطيه ولا ريب، فما نفعه هنا. لا صنعة له

الجدة

إلا النوم، فلا نسمع له شذوّا.

: سأضعه فى ففصى، وى، أين هو قفصى؟ نعم،

هو

لقد نسيته خلف الشجرة. [يجرى إليها ويعود بالمقص

ومحبس فيه السحرور] أحقا سمحتا به هدية

لا تسترد؟ ستسر به الجنية. أما عن بسمّة النور

فلا تسألنى عن فرحتها حين تراه.

الجد : ليكون في علمك أنني لا أضمنه، وأخسى أن
لا يألف من أهل الأرض اضطراب حياتهم
فيركب أول ريح يهب إلينا ويعود، على كل حال
سنرى ماذا يكون من أمره، أما الآن فدعه إلى
حين، وتعال نلقى نظره على خلايا النحل^(١).

هو : [وهو يلحظ خلايا الحل]: وكيف حال النحل.

الجد : لا بأس بحالها، لعل أهل الأرض يفولون عنها
ماتت أيضًا ولكنها لا تزال هنا تعمل بنشاط.

هو : [يفترس من الخلايا] نعم، أنى أسم رائحة العسل،
لا ريب أن الخلايا عامرة، فكل الأزهار هنا
جميلة، وشقيقاني اللآى متن، أهن هنا أيضًا.

هى : وأسفائي الثلاثة الذين واريناهم التراب. أين
هم؟

[ما تكاد تنطق بهذه العبارة حتى يعلب من باب الكوخ واحدًا
إثر آخر سبعة من الأولاد يحتلمون طولًا، يحمل كل منهم مرمار
(بان) رمز الطبيعه بين أرباب الأغريق وهو لا يرسم
إلا بمزماره].

الجدة : ها هم أمامكم، حالما مرّ ذكرهم ببالكم أو ينطق

(١) تلمى نظرة على البفرة، هكذا في الأصل والترجمة الانجليزية، وأطنها غلطه
مطبعيه للتشابه في الفرنسية بين كلمة «بفرة» وكلمة «خلايا» إذ لم يرد للبفرة ذكر فيها
بعد.

باسمهم لسانكما فإنهم يظهر ون، ما أعز أولادى
جميعاً.

[تيلتيل وميتيل يحريان للقاء أحوتهم ويشيع التراحم والتعاق
والرقص والدوران وهتافات المرح]

هو : تعال يا بيرو، [يشدّ كل منها شعر أحيه] سنتعارك كما
كنا نفعل فى الايام الخوالى، وأنت يا روبير، أنعم
صباحاً يا جان، أين نحلّتك التى تلعب بها؟
مادلين، بيريت، بولين، هاهى ريكيت.

هى : ريكيت، ريكيت، إنها لا تزال تحبو على اليدين
والقدمين.

الجدّة : نعم، لم تكبر.

هو : [يلحظ الكلب الصغير وهو يسح حولهم] ها هو كيكى،
كنت فطعت ذيله بمفص بولين. أنه لم يتغر أيضاً.

الجدّة : [فى لهجة الحكيم] لا سىء يتغر هنا.

هو : ولا يزال على أنف بولين دملها.

الجدّة : إنه ضيف نفيل، لا يرحل ولا نستطيع طرده..

هو : ما أبدع صحتهم وامتلاء أبدانهم وصفاء بشرتهم
وتورد خدودهم لا ريب أنهم ينعمون بطعام
وفير.

الجدّة : صحتهم محسن مذ فارقتهم الحياة فقد نجوا من
معاناه الخوف والمرض والقلق.

[تدق الساعة في الكوخ ثمانى دقائق]

- الجدّة : [فى دهسة] ما هذا؟
- الجد : لعمري لست أدري، لا بد أنها الساعة.
- الجدّة : هذا مستحيل، إنها لم تدق قط من قبل.
- الجد : نحن لم نفكر في الساعة، فهل فكر فيها أحد منكم.
- هو : نعم، أنا، كم الساعة الآن.
- الجد : لست أدري وربى، لم نعد نبالي بالوقت، وقياسه، لقد دفت ثمانى مرات، لا بد أنها الساعة الثامنة فى حساب أهل الأرض.
- هو : إن بسمه النور تنتظرني فى الساعة التاسعة إلا ربعاً، هذا هو أمر الجنية، إنه موعد هام فلا بد لي من أن أنصرف.
- الجدّه : أيرضبك أن تتركنا وقد حان موعد العشاء، فلنعدّ المائدة فوراً أمام الباب، من حسن الحظ أنتى كنت أعددت من الكرنب حساءً بديعاً وكذلك فطيره برقوق.
- هو : ولم لا ما دممت قد ظفرت بالطائر الأزرق، تم إن حساء الكرنب لم أذقه منذ عهد طويل فهذا هو حال المسافر ملى، أنه طعام لا يقدم فى الفنادق.

الجدة : ها هو الحساء، قد تمّ إعداده، هيا إلى المائدة
يا أولادى، إن كنتم تستعجلون الذهاب
فلا تضيعوا الوقت.

[أسعلوا المصباح وفد حل المساء وحلّس الأحفاد مع الحدين
حول مائدة العشاء وهم يتراحمون ويلكر بعضهم بعضاً ويعال
صحكم وصيحات فرحهم]

هو : [ياكل سراقة] ما الذّه من حساء، ياله من حساء
لذيذ، مزيداً منه، مزيداً منه.
الجد : يا للعيب! اهدأ قليلاً، لا زلت كعهدي بك سبى
الأدب، إنك ستكسر طبقك.

هو : [يهض نصف هوص من على مقعده] أريد المزيد.
[يمسك بالمدر ويسحبها نحوه فيقلبها ويدلق الحساء فوق
المائدة ويتساقط على ركب الأطفال ويجرفها فيصرخون من
الألم]

الحده : رأيب؟ ألم أحذرك؟
الجد : [وهو يهوى على حد تيلتيل بصمعة رناة] هذا جزاؤك..
هو : [يتحادل لحظة ثم يصع يده على خدّه متلدداً] هكذا كانت
صفعاتك حين كنت تضربنا وأنت حى بيننا،
ما أبركها، وما ألذّها، ينبغى أن أقبل اليد النى
صفعتنى..

الجد : طيّب طيّب، عندى منها المزيد إذا أحبيب.
[تدفى الساعه النصف بعد النامة]

هو : [وهو يقرّ] البامنة والنصف، [يعدى بالملعة] هيا، لم
يبقى أمامنا إلا الوقت الذى يلزمنا.

الجدّة : أبجمل بك هذا، اصبر بضع دقائق، فبيتكم لم

يندلع فيه حريق، نحن لا نراكما إلا نادراً.
هو : كلا، لا أستطيع فإن بسمة النور طيبة القلب،
وقد وعدتها، هيا يا ميتيل، هيا.

الجد : عجبى للأحياء، لا بخرج من يدهم إلا إزعاج
الغير، متعللين بأنسغالهم واصطراب أيامهم.

[يأخذ تيلتيل الفص ويدور على الجميع يعانفهم بعجله]

هو : الوداع ما جدّى، الوداع يا جدنى، الوداع
يا إخوتى وأخواتى، بيرو، روبير، بولبن، مادلبن،
ريكين وأنت أيضاً يا كيكى، إن مقامنا بينكم
قد آذن بالانتهاء، لا تبك يا جدنى، سأتى
لزيارتكم مراراً.

الجدّة : تعال كل يوم ومعك أختك.

هو : نعم، نعم، سنعود ما أمكننا.

الجدّة : هذا هو كل ما بفى لنا من أسباب الفرح، ويوم
بمر ذكرنا ببالكما هو عندنا يوم عيد.

الجد : هذه هي تسليتنا الوحيدة.
هو : البدار! البدار! أين القفص؟ أين الطائر؟
الجد : [يعطيه القفص] ها هو ذا، ليكن مفهوماً أنى لست
ضامنه ولا ضامن صدق لونه.

هو : الوداع، الوداع.
الإخوة والأخوات: الوداع يا تيلتيل، الوداع يا ميتيل، لا تنسيا
أن تحيئنا لنا بحلولى، عودا إلينا، عودا إلينا.
[يلوح الجميع لها بماديلهم على حين يتعد الصيَّان سطاء
ويحدث أثناء الفقرات الأخيرة من الحوار السابق أن الصاب
الذى شاهدناه فى مطلع المطر يعود فينعمد وتحمت الأصوات
وتختفى المرثيات كلها إلا تيلتيل وميتيل وهما واقمان والستاريهم
بالرول عند شجرة البلوط الصحمة]

هو : من هنا الطريق يا ميتيل.
هى : أين بسمّة النور؟
هو : لست أدري، [يضر إلى الطائر فى القفص] عجبى! لم
يبق له لونه الأزرق، أصبح أسود اللون.
هى : خذ بيدى فأنا فى سده الخوف والبرد.

[ستار]

الفصل الثالث

المنظر الرابع: قصر فحمة الليل

[هو فسيح رائع، له فخامة تنطق بالحد والصرامة ووفار الأضرحة، واشتركت مختلف المعادن في إقامته، تخيل لرائته إنه بإراء معبد إعرىمى أو فرعوى، أعمدته وعمودها وكذلك زيتته وكساء أرضه من المرمر الأسود، والذهب والأنسوس، النهو على هيئة مستطيل صلعا الأقفان متواريان والأمامى أطول من الخلفى، وصلعا الحابيان عر متوازين، درجات السلم الذى تتسلقه تكاد تشغل عرصه كله، وتقسمه إلى ثلاثة مسطحات تؤدي إلى عيانتة، الواحد منها يرتفع عن سائعه قليلاً، من الأعمدة على اليمين واليسار أبواب من البرونز الداكن، وفي وسط النهو من ناحية الخلف باب صخم من النحاس، لا يعم النهو إلا ضوء عامض كأنه مستمد في أغلله من بريق المرمر والأنسوس، ويرى عند رفع السار «فحمة الليل» على هيئة امرأة رائعة الجمال ترتدى بوباً أسود طويلاً، حالسه على درج المسطح الثانى، تحف بها طفلان، أحدهما يكاد يكون عارياً شأن كوبيد رسول الحب عند الإغريق أما ناييها فواقف حامداً، تعطيه علاله من رأسه إلى أخمصيه، تدخل الهره من على اليمين في مقدمه المسرح]

فحمة الليل : من القادم؟

الهره : [وهى تنهاوى من الإعياء على درج السلم المرمى] أنا
يا أمى، قد هدنى التعب.

فحمة الليل : ماذا بك يا بنيتى، لقد بدا عليك النحوب
والهزال وتلطنح بالطبن جسديك حتى سواربك

فهل عدت للعراك على الأسطح بين المزارب
تحت السليج والمطر؟

الهرة : ليس الشأن شأن أسطح ومزارب، بل شأن
جليل يهدد السرّ الذي بيننا. لقد نجحت في
الهرب لحظة لأطهر إلبك بالخبر، ولكن أخشى
أن يكون الأمر قد خرج من بدنا.

فحمة الليل : ماذا نقولين؟ ما الذي حدث؟
الهرة : سلف لي أن حدثتك عن تبلتيل ابن الخطاب
وعن الماسة السحرية، إنه سبحضّر إليك لطلب
منك الطائر الأزرق.

فحمة الليل : دعه يجرى وراءه.
الهرة : ولكنه سيظفر به عما قريب إن لم نصنع معجزة،
سأفص عليك ما جرى، إن بسمة النور التي
تقود خطى تبلتيل وتخوننا جميعاً قد انضمت قلباً
وقالباً إلى صف الإنسان، وقد علمت بسمة النور
أن الطائر الأزرق الصادق لا الزائف والوحيد
الذي يقوى على العيش في ضوء النهار مختبئاً هنا
بين أشباهه في اللون من طيور الأحلام التي
تستمدّ غذاءها من ضوء القمر ونموت حالما نرى
الشمس، وبسمة النور على علم بأن اجتياز عتبة
هذا القصر محرّم عليها ولكنها سترسل الصبيين

بدلاً منها، وإذا كنت أنت لا تستطيعين صدّ الإنسان عن فتح أبواب أسرارك فلا أدري ما الحال. لأنه إذا حلّب النكبة وفاز الصبيان بالطائر الأزرق فلا سبيل لنا إلا أن نختفى.

يا إلهي، يا إلهي، ماذا جرى للعالم؟ في أي زمن أصبحنا نعس؟ لم أعد أنعم بالراحة لحظة واحدة وعجزت في السنوات الأخيرة عن فهم الإنسان. ما غرضه؟ أحتم له أن يعرف كل شيء؟ لقد نجح إلى اليوم في أن يهلك من أسرارى ثلثها، فالمخاوف التي أطفئها أصبحت بدورها خائفة، ولا نجرؤ على الخروج للناس، والأسباح التي استخدمها قد هربت وأغلب الأمراض التي أنسرها قد أفعدنها العليل.

أعلم هذا يا أمي فحمة الليل. وأعلم أن الزمن عصيب، إننا نكاد ننفرد وحدنا في خوض غمار المعركة ضد الإنسان، ولكن ها أنذا أسمع خطو الصبيين يقترب، فلا أجد أمامنا إلا حلاً واحداً ينبغي - لأنهما في مرحلة الطفولة - أن نقذف في قلوبهما من الرعب ما يسليهما السجاعة على المضى في سبيلهما أو على فتح الباب الكبير في نهاية البهو للوصول إلى طيور القمر التي نختفى

الهرة

وراءه. أما أسرار بمية الكهوف فهي كفيّلة بأن

تزيغ بصرهما أو تزلزل من الرهبة فلبيهما.

فحمه الليل : [وهي تستر السمع إلى صحنه في الخارج] ماذا أسمع؟ إن
الفادمين أكر من انين.

الهره : لا يخس سيئاً، إنهم أصدفاؤنا، الرغيف وفع

السكر، أما الماء فقد أفعدها المرض والنار

عاجزة عن المجيء لأنها نمت بنسب إلى بسمه

النور أما الكلب فهو وحده الذي ليس من

حلفائنا، وهيهاث لنا أن نهرب من ملاحفته.

[تيلتيل وميتيل والرغيف وفع السكر والكلب يدخلون تهيب

من اليمين عند مقدمه المسرح].

الهره : [تسارع إلى التقدم للماء تيلتيل] من هنا، من هنا،

يا سيدي الصغير، لقد أنبأت فحمه الليل

بمقدمكم وفد سرّها كل السرور أن تسنبلكم،

واعذروها إذا هي لم تسارع إلى باب المصّر

للحفاوة بكم فإن بها وعكة خفيفة.

هو : طاب صباحك سيدي فحمه الليل.

فحمه الليل : [نصوب نحو] طاب صباحي؟ هذا كلام

لا أستسيغه، وكان ينبغي أن نهول «طاب

ليلتك» أو على الأقل «طاب مساؤك».

هو : [وهو خل من دنه] عفواً سيدي، كنت أجهل هذا

[يسر نأصعه إلى الطفل الملامين لفحة الليل] أهما
ابناك الصغيران؟ ما ألطفهما.

فحمة الليل : نعم، الأول هو السبات.

هو : ولماذا هو جدّ سمين؟

فحمة الليل : لأنه يسبع من النوم.

هو : وهذا الآخر المتسر. لماذا يحجب وجهه؟
ما علنه؟ ما اسمه؟

فحمة الليل : إنها بنت، هي أخت السبات ومن الخير أن
لا أذكر لك اسمها.

هو : ولماذا؟

فحمة الليل : لأن اسمها تنفر منه الأدان، دعنا نتكلم في
مسألة أخرى، لقد انبأتني الهرّ أنك جئت
تبحث عن الطائر الأزرق.

هو : نعم سيّدتي، فهل لك إن أذنت أن تخبريني أين
هو؟

فحمة الليل : لا أعرف عنه شيئاً، يا صديقي العزيز، غاية
ما أستطيع أن أوكد لك أنه ليس موجوداً هنا
وأنني لم أره قط.

هو : لا. لا. لقد أخبرتني بسمّة النور أنه هنا. وهي
على ما تقول أمينة، فهل لك أن تعطيني
مفاتيحك.

فحمة الليل : ولكن يا صديقي الصغر أنت تدرك ولا ريب
أننى لا أستطيع أن أسلم مفاتيحي لأول فادم.
فإنى فبمه على كل أسرار الطبيعة وأنا مسئولة
عنها. ومحرم على كل التحريم أن أعهد بمفاتيحي
إلى أحد فما بالك إذا كان طفلاً.

هو : ليس لك الحق فى حجزها عن الإنسان إذا
طلبها، إنى على علم بهذا.

فحمة الليل : من الذى قال لك؟

هو : بسمة النور.

فحمة الليل : بسمة النور مرة أخرى، بسمة النور دائماً أبداً،
ما دخلها فى هذا؟

الكلب : أنحب يا مولاي الصغير أن أنزع منها المفاتيح
عنوة؟

هو : الزم الصمت والهدوء وحسن الأدب [إلى فحمة
الليل] لا داعى للجدل سيّدنى، اعطنى المفاتيح
من فضلك.

فحمة الليل : هل لديك العلامة على الأقل، أين هى؟

هو : [يلمس فمه فلتسوته] أترين الماسة؟

فحمة الليل : [وفد أسقط فى يدها] أمرك، ها هو ذا مفتاح كل
أبواب البهو، ذنبك على جنبك، إذا أصابك سرّ.
فإنى بريئة مما يحدث لك.

الرجيف : [فى فلى شديداً] أئمه أخطار؟
فحمة اللبل : أخطار؟ غاية القول أنى أنا نفسى لا أدرى
كبف أسلم حين نبقى بعض هذه الأبواب
البرونزية عن الهوة، وراءها، فهناك حول البهو
فى كل كهف من كهوف البازالت مجمع كل عله
وكل بلاء وكل مرض وكل أنواع الرعب وكل
المحن والأرزاء، وكل تدبير خفى يعانى منه
الحياة. منذ الخليفة وليس إلا ببذل غاية الجهد
إن استطعت حبسها فى مخائها بعون من
«القدر»، وأؤكد لك أنى أجد أكبر المسفة فى أن
أفرض شيئاً من النظام على هذه الكائنات
الهوج المتمرده، فانت سترى رأى العبن ماذا
يحدث حين يهرب أحدها وينفلت إلى سطح
الأرض.

الرجيف : إن بطاول عمرى وتجربتى وإخلاصى تؤهلنى
بطبيعة الحال لأن تسند إلى حمايه هذين الصبيين،
من أجل هذا، سيّدى فحمة اللبل، اسمحى لى
أن أوجه إليك سؤالاً.

فحمة اللبل : هاته.

الرجيف : إذا حاق بنا خطر فمن أى ناحية نهرب؟
فحمة اللبل : لا وسيله للهرب.

هو : [يأخذ المفتاح ويصعد أول الدرج] لنبدأ من هنا، هذا

الباب البرونزي ما وراءه؟

فحمه الليل : وراءه الأسباح فما أعتقد لقد مضى زمن طويل منذ أن خرجوا حين فتحت لهم الباب آخر مرة.

هو : [بضع المفتاح في القفل] سأرى [إلى الرغبة] قفص

الطائر الأزرق، أين هو؟

الرغبة : [أسنانه تصطك] لا أقول هذا لأنني خائف ولكن

ألست ترى من الأفضل أن لا نفتح الباب وأن

نكتفي باختلاس نظره من نصب القفل؟

هو : لم أطلب مشورتك.

ميتبل : [تنمجر بالبكاء فجأة] أنا خائفة. أين قمع السكر؟

أريد أن أعود للبيت.

قمع السكر : [يمترب منها وهو مهموم لها ومحتف بها] إنني هنا بجانبك

يا آنسى، كفكفى دمعك، سأقطع أحد أصابعي

وأهبك حلوى نبوت الخفير.

هو : فُضَّوْها وخلصونا،

[يدير المفتاح في القفل ويجذب الباب محذر وحالما يفعل تنفك

حمسه أوسته أشباح لكل منها هيئه عجيبه مختلف عن هيئه

الآخر، وتنتشر في كل جاسب، يُلْفى الرغبة من الرعب

بالقفص ويختبئ في غيابة البهو وتفوم فحمه الليل بمطارده

الأسباح وهي تصرح في وجه تيلتيل].

فحمة الليل : اسرعوا اسرعوا، اغلقوا الباب وإلا خرجوا جميعاً ولم نستطيع أن نقبض عليهم. إنهم في محبسهم يعانون الملل منذ ألف الإنسان أن يهزأ بهم [تطارد الأشباح وتحاول أن تسوقهم إلى باب محبسهم مستعينة بسوط على شكل أفعى] أعينوني، أعينوني، من هنا، من هنا.

هو : [إلى الكلب] أعنيها يا تيلو، هيا.

الكلب : [وهو يقفر وينح] نعم. نعم. نعم.

هو : الرغيف، أين هو؟

الرغيف : [من مخبئه في غيابة البهو] إنني هنا، بجانب الباب

حتى أمنع بقيتهم من الخروج.

[وحيث يتقدم أحد الأشباح إلى ناحيته يراه يهرب منه جرياً وهو يطلق صيحات مرتعة].

فحمة الليل : [إلى ثلاثة أشباح قبضت على أعناقهم] أما أنتم فمن

هنا، [إلى تيلتل] وارب الباب قليلاً، [تدفع بالأشباح

إلى الكهف] لا خسر من بقائهم هناك، [الكلب يسوق

شبحين آخرين إلى المحبس] هيا ادخلا أنتما أيضاً، أنتم

تعلمون أن لا خروج لكم إلا يوم عيد جميع

القديسين [تقفل الباب].

هو : [يذهب إلى باب آخر] وماذا وراء هذا الباب!

فحمة الليل : وما جدوى بحبك ؟ لقد فلت لك إن الطائر الأزرق لم يأت هنا قط، ولكن الأمر أمرك، افتحه إن كان هذا يروقك. ستجد من ورائه الأمراض.

هو : [والفتاح في القفل] أينبغي الاحتراس منها حين أفتحه ؟

فحمة الليل : لا تتعب نفسك، إنها يا ولداه صغيرة مسكينة هادئة مستخذية لا تعرف طعم السعادة فإن الإنسان يسنّ عليها منذ زمن غاراته العنيفة وبالأخص منذ أن اكتشف الميكروب، فافتح إذن لترى بنفسك.
[تيلتل يفتح الباب على مصراعيه فلا يرى شيئاً].

هو : أهم لا يخرجون !
فحمة الليل : لقد سلف لي أن أخبرتك، فأغلبها قد أقعدته العلة وقلة الهمة، لأنها لم نجد في فلوب الأطباء أقلّ ذرة من الرحمة، فادخل لحظة فستري بعينك.

هو : [ما يكاد يدخل حتى يخرج] لم أجد الطائر الأزرق، إن الأمراض بادية العلة لم تقو حتى على رفع رؤوسها.

[مرض صغير في مبادله من نيات المرل حف وعباءه وطافيه من
المطن مخرج ويذرع اليهو حينه ودهاناً].

هو : انظروا، هذا مرض صغير فد هرب، مَنْ هو؟
فحمه الليل : انه أصغرهم ولا خطر له، هو الزكام. إنه أفلهم
لقاءً للاضطهاد، وأوفرهم عاقبه. [تنادى الركام]
تعال هنا يا ولدى، قد بكرت في الخروج قبل
أوانك، ينبغي لك أن تنتظر حلول الربيع.
الزكام : يعطس ويسعل ويمسح أنفه ويعود إلى الكهف
فيغلق تبلتيل بابه.

هو : [يتجه إلى الباب المجاور] لنرَ حكايته، وما وراء هذا
الباب؟

فحمه الليل : احترس. وراءه الحروب، إنها بلغت اليوم ما لم
تبلغه من قبل من الضراوة والعنفوان، الله وحده
يعلم ماذا عسى أن يحدث لو هربت واحدة منها
ولكنها لحسن الحظ مفرطة البدانة من أثر
التخمه، بقله الحركة، فلنتساند جميعاً ونستعد
لصدّ الباب وأنت تواربه لتلقى نظرة عجلي إلى
ما وراءه.

[تبلتيل يأخذ كل حذره وهو يوارب الباب بحيث لا ينفرح
إلا بأهل قدر يبيح له أن يصوب من خلاله نظره، فما يكاد يفعل
حتى يقوس ظهره من شدة الجهد وهو يصد الباب ويصرخ].

هو : أسرعوا أسرعوا أسرعوا، صدّوا الباب في وجوههم، قد رأيتى فأقبلت هاجمة على الباب تريد أن تقتحمه.

فحمة الليل : هيا بنا جميعا نصّد عليها الباب بقوة، وأنت يا رغيف، ماذا دهاك؟ ماذا تفعل؟ تعال معنا نصّد الباب جميعاً فما أسدّ فوّنها، ها قد نجحنا، إنها قد استسلمت، جاء نجاحنا في آخر فرصة، [إلى تيلتيل] رأييت؟

هو : نعم، ما أشدّ ضخامتها وما أبتسع منظرها، لا أظن أن الطائر الأزرق عندها.

فحمة الليل : لا ريب أنه ليس عندها، وإلاّ لكانت التهمته على الفور، هل قنعت الآن؟ ألس ترى أن لا جدوى من بحنك؟

هو : ينبغي أن أرى كل شيء، هذه هي وصية بسمة النور إلى.

فحمة الليل : وصية بسمة النور! ما أسهل الكلام على مَنْ يخاف ويقبع في داره.

هو : فلنمض إلى الباب المجاور. ما خبره؟

فحمة الليل : اننى أحبس وراءه أصناف الدياجير والرعب.

هو : هل أستطيع أن أفتح الباب؟

فحمة الليل : كل الاستطاعة، فإنها على شئء من الهدوء، شأن الأمراض.

[تيلتيل يفتح الباب تتوجس ويحارف نظرة إلى ما وراءه].

هو : لا أرى شيئاً. إنها ليست وراء الباب.

فحمة الليل : [تنظر مدورها إلى الكهف] يا بنات الدياجير، ماذا تفعلن فلتخرجن إذن قليلاً، ففي الخروج متعة لكنّ تفكّ عنكن تجمّد أوصالكن، ويا بنات الرعب، لا تخشين شيئاً.

[تخرج بنات الدياجير وسات الرعب، الجماعة الأولى في ثياب سود، والجماعة الثانية في ثياب يميل لونها إلى الاخضرار، ويتلمس عدلة خطوة لهن قصيرة خارج الباب فإذا صدرت من تيلتيل حركة غير متعمدة يسرعن إلى دخول الكهف]

فحمة الليل : ماذا أصابكن، تجلّدن قليلاً، فليس هو إلا صبيّ لا يخرج من يده إيذاؤكن، [إلى تيلتيل] قد بلغ التهيب عندهن ذروته، اللهم إلا كبرياتهن اللاّقى تبصرهن في غيابة الكهف.

[تيلتيل يصوب بصره إلى غيابة الكهف]

هو : ما أبشع منظرهن.

فحمة الليل : إنهن مقيدات بالسلاسل، هن وحدهن اللاّتى لا يخفن من الإنسان، أقفل الباب وإلاّ نار غضبهن.

هو : [يتمل إلى الباب المحاور] هذا باب يخبم عليه الظلام،
ما خبره؟

فحمة الليل : وراءه أصناف من الأسرار، فإذا لم تعدل عن
إصرارك فلك أن تفتح الباب ولكن إياك أن
تدخل، وكن أسد حذرا، ولنستعد نحن جميعاً
لصد الباب عليها كما فعلنا مع الحروب.
[تلتيل يوارب الباب بحذر شديد ويمد بحوف رأسه من خلال
المرجه]

هو : وئ، ما أسد البروده، إنها تلسع عيني، أسرعوا
إلى الباب فاغلقوه، صدوه لإحباط جهد من
يدفعه، [فحمة الليل والكلب والهره ونافى الزمره يصدون
الباب] آه، قد رأيت..

فحمة الليل : ماذا رأيت؟
هو : [وهو مضطرب] لا أدري، إنه سيء مرعب، كن
جميعاً جالسات كالأصنام النى لا عيون لها. مَنْ
كان هذا العملاق الذى أراد إمساكى؟
فحمة الليل : أظنه هو الصمت لأنه حارس هذا الباب،
لا ريب أنك رأيت شيئاً مرعباً فلا زلت
لا يفاركك شحوبك وارتعاشك.
هو : نعم، رأيت شيئاً لم أكن أتصوره، شيئاً لم

يصادفني فط من قبل، إن يدِّي فد جمدتا من
الصقيع.

فحمه الليل : سيحيف بك عما قريب بلاء أسدّ إذا مضيت في
بحبك.

هو : [يتمل إلى الباب المحاور] وهذا الباب.. أمن ورائه
أيضاً سىء مخيف؟

فحمه الليل : كلا، ورائه خليط من أسياء كبيرة، إنى أحتفظ
وراءه بالنجوم الخامدة، وعطوري المفضلة،
وبعض أصناف من الوميض الذى أختص به
وحدى كومض السعالى ووميض الدود المنير
واليراعة المضيئة وأضم إليها أيضاً قطر الندى
وأغنيه الليل وما إلى ذلك.

هو : نعم قصدى أن أرى النجوم الخابة وأغنيه
الليل كما تزعمين، لا ريب أن هذا هو بابها.
فحمة الليل : افتحه إن شئت فليس لكن وراءه سرّ يصيب
أحداً.

[تلتيل يفتح الباب على مصراعيه وما يكاد يفعل حتى تنفل
النجوم من المحبس على هيئه فتيات رائعات الحمال، بجللهن
وميض منوع الألوان، وتنتشر في السهو وتؤلف على الدرج
وحول الأعمدة حلقات دات ظرف وحسن، يغمرهن صوء مثل
صوء الغسق، ثم تبدأ في رقصة دائرية، وتعمل أيضاً عطور
فحمه الليل على هيئه أطياف رقت حتى تكاد العين لا تراها،

وبفلت كذلك وميض السعالى واليراعة المصينة وقطر الندى
الشفاف وتنضم إلى ساقاتها، على حين تبعث من الكهف أغنية
البلبل وتحب أرحاء قصر فحمة الليل

: [وهى تصفق نابهار] ما أجملهن من فتيات.

ميتيل

: ما أبرع رقصهن!

هو

: وما أطيب عرفهن!

هى

: وما أحلى غناءهن.

هو

: ومن هى هذه الأطياف التى تكاد لا تراها.

هى

: هى عطور ظلالى.

فحمة الليل

: وهاتيك اللاتي يشبهن سبائك النور الصافي، مَنْ

هو

هُنَّ؟

فحمة الليل : إنهن جماعة قطر الندى الذى تألفه الغابات

والسهول ولكن آن للهوهن أن ينقضى،

سيتمادين فيه فلا يفرغن منه أبداً، إنهن إذا

أخذن فى الرقص فلن أفلح إلا بعد مشقة بالغة

فى سوقهن إلى المحبس من جديد [تدعوهم إلى

الانصراف بدق كفّ على كفّ] هيا هيا أسرعن

يا نجوم ليس هذا أوان الرقص فالسواء قد

حجبتها سحب كثيفة، هيا هيا أسرعن ارجعن

جميعاً، وإلا ذهبت أتصيد شعاعاً من الشمس.

[النجوم والعطور تهرب فى رعب وتهرع إلى الكهف فيقفل

عليها الباب وتنقطع أغنية البلبل].

هو : [يتحه إلى الباب الكبر في عيانة البهو] هذا هو الباب

الكبر، باب وسط البهو.

فحمة الليل : [بجدّ] لا تفتح هذا الباب.

هو : لماذا؟

فحمة الليل : لأن فتحه مُحَرَّم.

هو : إذن فالطائر الأزرق مخبئ وراءه، هذا ما قالته

لى بسمة النور..

فحمة الليل : [تكلمه بحان الأمّ] أنصت إلىّ يا بنى، لقد عاملتك

بطيبه ومجاملة، وفعلت لك ما لم أفعله هنا لأحد

من قبلك، كسفت لك عن أسرارى، لأننى أحبك

وأسقى على صباك وبراءتك، وها أنذا أكلمك

كلام أمّ لوليدها، انصت إلىّ، صدقنى يا بنى، كف

عن بحنك ولا تمض فيه، وإياك أن تتحدى

الفدر فتفتح هذا الباب.

هو : [وقد تزعزع كثيراً] ولكن لماذا؟

فحمة الليل : لأننى لا أحب لك أن نهلك، لا أحد، اسمع

كلامى، لا أحد ممن فتحوا هذا الباب ولو بمقدار

شعرة رجع حياً لضوء النهار، فإن كل

ما يتصوره العقل من أصناف المخاوف وكل

أنواع الهلع، وكل ما يتحدث عنه أهل الأرض

من الأهوال البسعة المنكرة لا تعدّ شيئاً مذكوراً

إذا فست حنى بأهون ما يهاجم الإنسان مها
إذا ما لمحت أول نظره له حافه الهاوية الى
لا يجرؤ أحد على تسميتها، ينبغي اتقاء هذا
الباب، حنى أنا، إن بقبت أنت على إصرارك
رغم كل تحذير لن أجسر على التصدى لهذا
الباب ولو بلمسة من طرف أصبعي، فأرجوك أن
تصبر حتى ألوذ ببرج لي منيع ليس به نوافذ،
الأمر الآن بين يديك، وفق عقلك وتفكيرك.

ميتيل : [تنفجر باكية وتتوالى من الرعب صرخات لها لا يبس في طيها
كلامها وبجاهد في حرّ تيلتيل].

الرغبف : [أسنانه تصطك] لا تقدم ياسيدي الصغير [يركع
أمامه] رحمه بنا، إنني أتوسلّ اليك وأنا راكم
أمامك، أنت ترى أن فحمة الليل على حقّ.
الهرة : إن حياتنا جميعاً هي التي تضحّى بها.

هو : لا مفرّ من أن أفتح الباب.
ميتيل : [ندها] ينتفض من النسبج لا أريد، لا أريد.
هو : ليأخذ كل من الرغبف وقمع السكر أختي ميتيل
من يد للهرب معها فإني عامدٌ إلى فتح الباب.
فحمة الليل : ليهرب من فدر، سارعوا إلى الخروج، فقد آن
الأوان.

[هرب فحمة الليل].

الرجف : [هرب في دعر] انتظر حتى نبليغ على الأفل باب البهو.

الهرة : [هرب أيضاً] انتظر، انتظر.
[يحتبون وراء الأعمدة في الطرف الأدنى من البهو ويهيئ
تلتيل وحده مع الكلب بحاب الباب الكبير].

الكلب : [يلهث ويلحفه الفواق وهو يحاهد في كتم هلهله] أما أنا
فسأبقى، سأبقى، لست بخائف، سأبقى، سأبقى
إلى جانب مولاي الصغير سأبقى، سأبقى.

هو : [يرت عليه] أحسن، أحسن، تعال يا تيلو
قبلني، ها نحن قد أصبحنا لا نأب لنا فلنتجلد،
وإلا فالويل لنا.

[يضع المفتاح في القفل فتعثر صرجه رعب من الطرف الأدنى
للبهو حيث لاد الهاربون، وما يكاد المفتاح يلمس القفل حتى
يشق الباب الكبير من وسطه وينزل مصراع إلى اليمين
ومصراع إلى اليسار ويختفيان داخل حدار الباب فتتسبب حياه
حديثه مذهسه كما أبدهتها أروع الأحلام وجللتها بضياء
الغسق، جاوزت في حاملها حد كل تصديق وكل فيد وكل وصف
بالكلام، تحلق بها خلال الكواكب والمحوم سروب من طيور
ررى كأنها الحور تضيء كل شيء تلمسه وهي لا تنفك في
طراها تلم بجوهرة إنر جوهرة وتتفل من شعاع إثر شعاع من
أشعة العمر، وهي يحوم دواماً وفي اسجام حتى تبلغ حد الأفق،
أصبحت من كثرتها يطن أنها أنفاس هذه الحديقه المدهشه

وسماؤها الزرقاء، بل يطى أنها هى الحديقة ذاتها، تيلتيل وافء
يغمره ضوء الحديقة وهو منبهر فى دهول].

هو

: ما أبدعها من سماء [يلتت ناحية الهارين] أسرعوا،
تعالوا، الطيور الزرق هنا، بعينها وذاتها، لمد فزنا
بها أخيراً، آلاف من الطيور الزرق، بل ألف
ألف منها، عندنا منها هنا أكر من مطلبنا بكير،
تعالى يا ميتل، تعال يا تيلو، تعالوا جميعاً،
أعينوني [يندمع نحو الطيور] إنها فى متناول اليد.
طبعة لا ترهبنا، تعالوا من هنا اتسرع إليه ميتل
يرافقها الآخرون ويدخلون إلى الحديقة المدهشه ولا تتخلف
عهم إلا فحه الليل والهرة] انظروا، انظروا، ما أوفر
عددها، إنها تتهاوى على أكتافنا، انظروا، إنها
تأكل ضوء القمر، ميتل، أين أنت اذن، من
كثرة الأجنحة الزرق وريسها المتساقط
أصبحت لا أتبين شيئاً سواها، إياك أن تعضها
يا تيلو، لا تؤذها تناولها برفق.

ميتل

: [تحف بها الطيور الزرق] اقتنصت سبعة منها. كم
تصفق أجنحتها، إن يدى لا تفلح فى القبض
عليها.

هو

: وأنا كذلك، فقد أمسكتُ منها بعدد أكر من ملء
يدى، ها هى قد هربت، ها هى قد عادت، ونيلو

كذلك فد أمسك ببعضها، إنها تجرفنا معها وتكاد
نحملنا إلى السماء، تعالوا نخرج من هنا، إن
بسمه النور تنتظرنا، ما أسد سرورها حين ترى
غنيمتنا، من هنا، من هنا.

[يعادرون الحديقة في لهفه وأيديهم ملأى بطيور ررق تصفق
أحسحتها ويحترقون السهو وسط موحة من أحسحه مضطربة
ويخرجون من ناحية اليمين من حيث دخلوا من قبل، وراءهم
الرغيف وجمع السكر ولم يسك أحدهما بطائر وتبقى فحمة
الليل والهره وحدهما فتصعدان إلى غيابة السهو تتأملان الحديقة
بعلق].

فحمة الليل : أتراهم قد فازوا بالطائر الأزرق؟
الهرة : كلا، فيأني أراه فوق شعاع من أسعه القمر لم
تطله أيديهم لأنه جاوزها بارتفاعه.

[وهبط الستار فلا تلت أن تدخل سسمه النور من اليسار
أمامها في عين الوقت الذي يدحل فيه من اليمين أمام الستار
كل من تيلتيل وميتيل والكلب وهم يندفعون وأيديهم منقلة
بالطيور الزرق ولكنها أصبحت حناً هامده، رؤوسها متدلية
وأجسحتها. محطمه]

بسمه النور : هل ظفرتم بطائر أزرق؟
هو : نعم، نعم، بفدر ما نوّد، بل بألف منه إن سئنا،
ترحل هي ذى أمامك، هل ترينها؟ [يظرون إلى
الطيور وهم يمدّون بها إلى سمة النور فيتنبون أنها فارق

الحياه [ماذا جرى، إنها ماتت، ماذا فعلوا بها؟
طيورك أنب يا ميتيل، أميَّته هي أيضاً طيور تيلو
مبتته كذلك [يُلفى وهو محنق بجث الطيور] مستحيل
أن أصدق، يا للبشاعه! من الذى قتلها، إننى
جدّ عيس. [محمى رأسه فى إبطه وينتفض بده بالنسيح].

بسمة النور : [محضنه بحنان' الأم] لا تبكى يا بنى، إنك لم تمسك
بالطائر الأزرق الذى يفوى على العيس فى
ضوء النهار. لهد أفلب منا، ولكننا سنجدده
ولا ريب.

الكلب : [يتأمل جث الطيور] أتصلح للأكل ؟ [مخرحون جميعاً من
اليسار].

[ستار]

المنظر الخامس

الغابة

[العابه، والوقت ليل، والقمر مصىء، وأسحار هرمة من أصناف مختلفه، من أررها
سجرة سديان، وزان، ودردار، وخور، وصوبر، وسرو، وريرفون، وفسطل إلح
إلح..].

[تدخل الهره].

أهرة : [وهى بحنى رأسها بالتحية والتوفير أمام كل شجره] إلى كل
سجرة هنا، نحيه وسلامًا.

الأنسجار : [وأورافها تهمس] تحية لك وسلامًا.
أهرة : يومنا هذا يوم أغرّ، فإن عدونا سيأتى ليفكّ
عفالكن ويسلم إليكن رقبته، إنه تلتيل ابن
الخطاب الذى طالما نالكن بالأذى، إنه ييحب
عن الطائر الأزرق الذى يخفيه عن الإنسان
منذ بدء الخليقة، والذى يعلم وحده سرّنا، [همس
أوراق الشجر] ماذا تقلن؟ آه! إنها سجرة الحور
التي تتكلم، نعم إنه يملك الماسة السحرة التي
تكسف عن سريرتنا، إنه قد يرغمنا على أن

ندفع له بالعصفور الأزرق، ونصبح جميعاً بعدئذ
أسرى فى فبضه الإنسان وتحت رحمته، [هس
أوراق الشجر] من تتكلم؟ أنت يا سجره
السنديان؟ كف حالك؟ [هس أوراق شجره
السديان] لا يفارئك الزكام أبداً؟ هل كف
الليمون عن علاجك؟ تسكين دائماً من
الرومانزم؟ سبيه - صدّيقى - هو هذه
الأعشاب الكبيره التى تفرطين فى لفّ فديمك
بها، هل الطائر الأزرق ما يزال عندكن؟ [هس
أوراق شجره السندان] ماذا تقولين؟ نعم، لا مجال
للتردد، هذه فرصة متاحه لنا نبغى أن نفتنصها
لأبد من القضاء على الصبى [هس أوراق الشجر]
ماذا تقلن؟ نعم، إنه مع أخيه، نبغى أن نموت
هى أيضاً، [هس أوراق الشجر] نعم، الكلب
يرافقهما أيضاً، هبهات أن نبعده عنهما، [هس
أوراق الشجر] ماذا تقلن؟ نقدم إليه رسوة؟ هذا
مستحيل، لقد جرّبنا كل حبله فلم نفلح، [هس
أوراق الشجر] ها أنت با سجره الصنوبر
تكلمين. اعددن أربعة ألواح من الخشب
لأربعة نعوس، فتلتيل ترافقه أيضاً النار وفع
السكر والماء والرغيف، إنهم جميعاً فى صفنا

اللهم إلا الرغيف فهو غير مضمون، بسمه
النور وحدها لها ولاء للإنسان ولكنها لن تأتى
فقد فمتُ بإقناع تيلتيل وأخته بالتسلل خفية
حين نامت، هذه فرصة فريدة [هس أوراق الشجر]
هأنذا أسمع صوت سجرة الزان، نعم، الحق
معك، نعم، ينبغي إبلاغ الخبر إلى الحيوانات،
هل الأرنب ما يزال يملك طبلته؟ إنه عندكن؟
فليدق على الطبله لينادى جميع الحيوانات،
ها هم أصحابنا قد أتوا.

[يتعد صوت دق الطبله، يدخل تيلتيل وميتيل والكلب]

تيلتيل

: أهذا هو المكان؟

[الهرة تسرع فى اهتمام إلى لقائهما وتفترط فى مظاهر الاحترام
لها والحفاوة بها].

الهرة

: ها أنت ذا قد أتيت يا سيّدى الصغير، ما أجمل
طلعتك وأبهى عافيتك هذا المساء، لقد سبقتك
لأعلن عن مقدمك، كل سىء على ما يُرام،
سنظفر بالطائر الأزرق هذه المرّة، إنى واثقة من
ذلك، لقد بعثت بالأرنب يدق طبلته مناديا أكابر
حيوان هذه المنطقة، إنها متهيبة لا تجسر على
الاقتراب [ضجة أنواع مختلفة من الحيوان من بينها نقر

وحاموس وحنازير وجياد وحمير إلخ. الهرة تتحى تيلتيل
جانئاً وتهمس له [ولكن لماذا جئت بالكلب ؟ لقد
سلف أن قلت لك إنه على خصام مع الجميع
حتى مع الأسجار، وأخشى أن يفسد كل شئء
برفقته الكثيبة.

هو : لم أستطع التخلص منه [إلى الكلب مهتداً] هل لك

أن تغرب عني أيها اللعين !

الكلب : مَنْ ؟ أنا ؟ لم ؟ ماذا فعلت ؟

هو : قلت لك اغرب عن وجهي، أصعب عليك أن

تفهم ؟ المسألة بسيطة، لسنا في حاجة إليك،

أنت تضايقنا بإصرارك وقد نفذ صبرنا.

الكلب : سألجم لساني، سأتبعكم من بعيد فلا يراني أحد،

هل أقف لك على ساقَيّ وقفة المستجدي ؟

الهرة : [تهمس لتيلتيل] هل تصبر على هذا العصيان ؟

اضربه بعصاك مراراً على أنفه، إنه حقاً

لا يُطاق.

هو : [يصرب الكلب] هذا درس يعلّمك المسارعة إلى

الطاعة.

الكلب : [يصرح من الألم] أئى، أئى، أئى.

هو : ماذا تقول ؟

الكلب : ينبغي أن أقبل اليد التي ضربتني، ضرب

الحبيب كأكل الزبيب، [الكلب يغالى فى التمسح

بتيلتيل ويرشقه بقبلاات حارة].

: رسادك، أحسنت أحسنت، وهذا يكفى،

فاغرب الآن عن وجهى.

: كلا كلا، أريده أن يبقى، إني أخاف من كل

شئ فى غيبته.

[ينب الكلب إلى ميتل حى يكاد يوقعها ويفيص حماسه ولهفه

وهو يرب عليها]

هو

ميتل

: نعم الفتاة الطيبة القلب، ما أجملها ! ما أطيبها،

ما أجملها وأرقها، ينبغى أن أقبلك مرة وأخرى.

: يا له من غرّ مافون، لنضع هذا لما بعد،

ولا نضع الوقت، [إلى تيلتيل] أدر الماسة.

: أين ينبغى لى أن أقف؟

: تحت هذا الشعاع من القمر، إذ تحته نحسن

الرؤية، نعم هكذا، أدر الماسة برفق.

الكلب

الهرة

هو

الهرة

[تيلتيل يدير الماسة فما يكاد يفعل حتى تدب رعشه فى الفصوص

والأوراق وتنشق جذوع الأشجار التى هى أكثر هراً وصخامة

لتلمظ سرائرها المكونه وكل سريره تطابق سحرها فى الطبع

والهيئة، فسريه شجرة الدردار مثلاً على هيئة فزم ممسوح

أكرش لا ينفك يلهث من فرط بدائته، وسريه شجرة

الريزفون مطمئنة ذات إلف وشاشة، وسريه شجرة الزان

أنيمه خفيفه الحركه، وسريه شجرة التناول بيضاء البشره

متحفظة قلقة، وسريرة شجرة الصفصاف مدكوكة مشعنة الشعر
نواحة، وسريرة شجرة الصنوبر هيفاء ممشوقة القامة ذات تكتم
وصمت، وسريرة شجرة السرو دات شحن يوحى بجو مأساة،
وسريرة شجر القسطل دات عرور وحدلقة، وسريرة شجرة
الخور دات مرح وبروات وثرثرة، بعض السرائر تخرج من
جذوع الأشجار متناقلة محمدة الأوصال فتتمطى كأنما تتفلت
من قيد أو كرى طال دهورًا، وبعضها يحرج قفزًا في شاطئ
ويقطة وعجلة، وتلزم كل سريرة ما أمكها جوار الشجرة التي
ولدتها]

شجرة الخور : [وهي أول من ينطلق وتصرخ بصوت عال] جاءنا أناس،
جاءنا أناس في سنّ الصبا، سيتاح لنا أخيرًا أن
نتكلم، قد انتهى عهد الصمت، انتهى، من أين
أتيا؟ ما شأنهما؟ من هما [تتقدم شجرة الريزفون على
مهل وهي تدخن عليها هدهد] أتعرفينها أنت
يا شجرة الريزفون؟

شجرة الريزفون: لا أذكر أنني رأيتها من قبل.
شجرة الخور : كيف؟ رأيتها من قبل ولا ريب فأنت تعرفين
الناس جميعاً فمقامك دائماً بجوار بيوتهم.
شجرة الريزفون: [تتمحص الصيبن] أؤكد لك أنني لا أعرفها، فهما
لا يزالان صبيين، إنني لا أعرف إلا العشاق
الذين يأتون لزيارتي في ضوء القمر، السكارى
الذين يشربون الجعة تحت غصوني.

شجرة القسطل : [في أنفة وهي تُحكم في كريات مصطبة وضع نظارتها الفرد فوق
عين لها] ما الذي أرى؟ إنها من الفقراء، من
الفلاحين.

شجرة الحور : بعض هذا التعاضم يا ذات الصون والعفاف،
هذا دأبك مذ ترفعت إلا عن سكنى الشوارع
الفسيحة في العواصم.

الصفصاف : [تتقدم وهي نواحة، في قدميها حقان من خشب] يا إلهي،
يا إلهي، لقد عاد الإنسان مرة أخرى ليقطع
رأسى وأوصالى ويحملها حطباً له.

شجرة الحور : اصمتي، ها هي شجرة السنديان تخرج من
قصرها، إنها عليلة هذه الليلة، ألا ترونها قد
ساخت؟ كم يبلغ عمرها في ظنكن؟ تقول
شجرة الصنوبر عنها إن عمرها أربعة آلاف
سنة، ولكنى واثقة أنها تغالى، انتبهن، إن شجرة
السنديان ستفضى لنا بخبرها.

[تتقدم شجرة السنديان مهدوء، لا مثيل لهرمها إلا في تهاويل
الأساطير والحرافات، على رأسها تاج النباتات، وعلى يديها
ثوب طويل أحصر مراكش بالأعشاب، هي عمياء، شعرها
الأشعث متهدل حول وجهها، تعتمد يد لها على عصا معقدة،
ويد أخرى على شجرة سنديان صغيرة تقود حطاها، الطائر
الأررق حاطط على كتفها، وحين تقترب تصطف بقية الأشجار
وتنحى لها تبجيلاً واحتراماً].

تيلتيل : الطائر الأزرق عندها [إلى شجرة السديان]

اسرعى، اسرعى، تعالى من هنا، اعطنى الطائر.

الأسجار : اصمت، إنها شجرة السنديان.

شجرة السنديان: [تيلتيل] من أنت؟

هو : أنا تيلتيل يا سيّدى، متى أستطيع أخذ الطائر

الأزرق؟

شجرة السنديان: تيلتيل ابن الخطاب؟

هو : نعم سيّدى.

شجرة السنديان: فد أصابنا على بد أبيك سرّ كبير، فقد صرع

من أسرنى ستمائة من أبنائى، وأربعمائة وخمسة

وسبعين من أعمامى وعمّائى، وألفاً ومائتين من

أولادهم، وبلانمائه وبمانين من زوجات أبنائى

واننى عشر ألفاً من أحفادى.

هو : لا أعرف هذا يا سيّدى، غير أنه لم يصرعهم

عمداً.

شجرة السنديان: ماذا جئت تفعل هنا؟ ولماذا أطلق سرائر

الأسجار من مكانها؟

هو : عفوا سيّدى إذا كنت قد أزعجتكن، هى الهرة

التي قالت لى أننى سأعرف منكن ابن هو

الطائر الأزرق.

شجرة السنديان: نعم، أعلم هذا، أنت تطلب الطائر الأزرق وهو

السرّ الأعظم للأشياء كافة، وهو سرّ السعادة
أيضاً، وبذلك يتاح للإنسان حين ملكه أن يستد
في تطويقنا بأغلال الأسر والعبودية.

هو : كلاً يا سيدنى، وإنما أطلبه لبن الساحره
غرباويه فإنها جدّ مريضة.

سجرة السنديان: [تومئ إليه أمره بالصمت] كفى، مالى لا أسمع
الحيوانات؟ أين همّ فإن حكايتك نهمهم كما
تهمنا، وينبغى إذن أن لا يفع على عاتق
الأشجار وحدها اتخاذ القرارات الخطيرة الى
يتطلبها الموقف، فلو علم الناس ما نحن
مقدمات على فعله لانتقموا منا بفسوة، فينبغى
إذن أن تكون خطتنا مرسومة باتفاق الجميع
ليصحّ تعهد الجميع بكتمان السرّ والتزام
الصمت.

سجرة الصنوبر: [بعد نظرها وهى تعلو بقية الأشجار] الحيوانات قادمه
وراء الأرنب، هذه هى سريره الجواد والنور
والجاموسة والبقرة والذئب والحمل والديك
والعنز والحمار والدبّ، وكلما ذكرت سجرة
الصنوبر اسما لحيوان دخلت سريره نم نجمعت
السرائر وجلست بين الأشجار، اللهم
إلا سريره العنز فإنها أخذت تتوانب هنا

وهناك وإلا سريرة الخنزير فإنها عمدت إلى
نبش جذور الأشجار.

شجرة السنديان: هل حضر الجميع؟

الأرنب : الدجاجة اعتذرت بأنها رافدة على بيضها،
والأرنب البري بأن وراءه مشواراً، والغزالة بألم
في قرنيها، والثعلب بأنه مريض، وأرسل شهادة
بذلك من طبيبه، أما الأوز فلم تفهم، والديك
الرومي انفجر غاضباً.

شجرة السنديان: تخلف هؤلاء يوسف له لكل الأسف، ولكن عدد
الحاضرين كاف لعقد الاجتماع. يا أخواتي
أنتم تعلمون المسألة. هذا الصبي الذي أمامكم
يستطيع أن يضع يده على الطائر الأزرق بفضل
طلسم اختلسه من قدرة الأرض وبذلك ينتزع
منا السر الذي حوصنا على إخفائه منذ بدء
الخلق. ونحن على علم بالإنسان بحيث
لا يخامرنا أقل شك في المصير الذي ينتظرنا،
إذا تملك هذا السر. من أجل ذلك فإن كل تردد
من جانبنا هو في نظري جرم وحقارة، الساعة
خطيرة، وينبغي القضاء على الصبي قبل فوات
الوقت.

تيلتيل : ماذا تقول؟

- الكلب : [يدور حول سجرة السديان وهو مكثّر عن أيباه] هل
ترين أسناني أبتها العجوز الكسيحه؟
سجرة الزان : [فى حى] إنه يهين سجره السنديان.
سجرة السنديان: أهذا هو الكلب؟ اطرده، ينبغى لنا أن
لا نصبر على اندساس خائن بيننا.
- الهره : [تهمس إلى تيلتيل] أبعدہ ! هذا سوء تفاهم دعه لى
فإنى سأعالج الأمر، ولكن ينبغى أن تسرع فى
إقصاء الكلب.
- هو : [إلى الكلب] ألا تنصرف؟
الكلب : دعنى أمزّق خفىّ هذه الكسحانه وسنضحك
مما يجذب لها.
- هو : احترس وانصرف، انصرف نا وفح. نا نفيل
الدم.
- الكلب : طيّب طيّب، سأنصرف وسأعود حن نحتاج إلىّ.
الهره : [همس إلى تيلتيل] من الأحوط أن تقيّده وإلا عاد
لحماقاته، إن الأسجار بغضب وتكون العوافب
وخيمة.
- هو : ماذا أفعل؟ لقد أضعت سلسلته.
الكلب : [وهو يرمح يهدد شجره السديان] سأعود، سأعود
يا مقطوعة النفس يا فريسة الربو، تباً لكن
من أسجار كسيحات فى سن اليأس، إن الهره

هى رأس المؤامرة، سأصفي الحساب معها ذات
يوم، فيم همسك ووسوستك يا خائنة، يا لئمه،
[ينسحها].

الهرة : [تلتيل] أرايب كيف يهن الجميع؟
هو : هو حقا لا يطاق، إنه يسوس علينا فلا نسمع
ما يقال، سبدي اللبلاب، هل لك أن تفدّه؟
اللبلاب : [يتقدم بحدر إلى الكلب] هل بعض؟
الكلب : [وهو يرمح] على العكس، على العكس، إن
الكلب سيقبلك انتظر فسوف ترى ما يحدث
لك. اقترب. اقترب قليلاً أيها الوغد بأحابيلك
العتيفة.

هو : [بهده بالعصا] تيلو!
الكلب : [بحثم تحت قدمي تلتيل وهزّ ذيله] ماذا تريد مني أن
أفعل يا مولاي الصغير؟
هو : ارفد على بطنك وأطع اللبلاب ودعه يفيدك
والأ..

الكلب : [يرمح واللبلاب يقيده] أوصالك خيوط مزقه
يا حبل المستنقة، يا معودالنور، يا سلسلة
الخنزير، انظر يا مولاي الصغير، إنه سلوى
ساقى.

هو : حزاءً وفاقاً، فهذا ما كنت تطلب، اخساً واهداً،
فأنت لا تطاق.

الكلب . لا أبالي، ولكنك مخطيء، إنهم يضمرون لك
أسوأ النيات فاحترس يا مولاي الصغير،
ها هو يكمم فمى فلن أستطيع الكلام.

اللبلاب : [وقد كورّ الكلب بعد شدّ وناقه] أين أمضى به ؟ لقد
أحكمت وناقه ولن يفتح فمه.

سجرة السنديان: اربطه باحكام وراء جذعى وسده إلى أضخم
جذورى، وسندبر مصيره فيما بعد.

[يستعن اللبلاب شجره الحور ويحملان الكلب ويصعانه وراء
حذع شجره السديان]

سجرة السنديان: هل فرغتما؟ حسنٌ، الآن وقد تخلصنا من هذا
الساهد المعلق، هذا الخائن، فلتساور
فيما يفضى به الحق والعدل فى نظرنا، لا أخفى
عليكم ما أحسّ به فى أعماقى من احتياج
مُضن، فهذه أول فرصة يتاح لنا فيها أن نحاكم
الإنسان، وأن نسعره بسطوتنا، أظن أن
الإنسان بعد كل الذى ذفناه على يديه من
الشرور ومن المظالم الفادحة لا يخامرهُ أدنى
شكّة فى الجزاء الذى يستحقه.

كل الأسجار : نعم، نعم، هو يعلم الآن علم اليقين، إلى المسنفة،

وكل الحيوانات إلى الموت، لطالما ظلمنا، وطالما سدر في غلوائه،
لقد نفذ صبرنا، فلنسحبه ونلتهمه، فوراً، فوراً..

هو : [اللهه] ماذا جرى لهم؟ إنهم غاضبون.
الهرة : لا ننزعج، إنهم غضاب لأن الربيع قد تأخر
قدومه دع الأمور لي، وسأعالجها جميعاً.

شجرة السنديان: كان حتماً أن يصدر حكمنا باجماع الآراء، وبقي
علينا أن نعرف إذا شئنا تجنب نأر الإنسان
كيف يختار من بين طرائق القتل أحكمها
وأسهلها وأسرعها وأضمنها وأقلها دلالة على
التهمة إذا ما عر الناس على جنى الصبيين في
الغابة.

هو : ما هذا كله؟ ما هدفهم؟ لقد بدأت أضيف ذرعاً
بهم، ما دامت شجرة السنديان عندها الطائر
الأزرق فلتسلمه إلى.

الور : [يتقدم إليه] أيسر طرائق الموت وأحكمها أن
أطعنه بقرني في بطنه، فهل تريدون أن أنطحه؟
شجرة السنديان: من الذي يتكلم؟

الهرة : إنه الور.

البهرة : الأفضل لي أن أنأى عن المتاعب فلا دخل لي
في هذا الموضوع، وإني منصرفه إلى أكل هذا
العشب كله في المراعى التي ترونها في زرقة

الجموسة : وكذلك أنا، وإني على كل حال أقرّ مقدّمًا كل
الجموسة : سىء تفعلونه.

نسجّره الزان : إني أأدم أعلى فروعى ليستق عليها.
اللبلاب : وأكون أنا حبل المسنفة.
نسجّره الزان : وأمدّكم أنا بألواح للنعوس الأربعة الصغيرة.
شجرة السرو : وأهيئ أنا لهم قبرهم الأبدى.
شجرة الصفصاف : أسهل الطرائق أن نعرفهم فى أحد الأنهار
التي أطلّ عليها، دعوهم لى.

شجرة اليزفون : [وهى عهد للصالح] رسادكم رسادكم، أحتم أن نلجأ
للغنف، إنها لا يزالان فى نضارة الصبا، ونحن
نفدر بسهولة أن نغلّ أيديهما عن السرّ بأن
نبقّيهن أسرى داخل سياج أتولى أنا بنفسى
إقامته من ضلوعى.
شجرة السنديان : منّ التي تتكلم هكذا ؟ [يدلنى صوبها المعسول أنها
شجرة اليزفون].

شجرة الصنوبر : صدق.
شجرة السنديان : إذن نكبنا كالحيوان باندساس خائن بيننا، لقد
ظفرنا إلى اليوم بولاء جميع الأسجار اللهم
إلا أشجار الفاكهة وهى على كل حال لا تعدّ
فى الحقيقة أسجاراً بمعنى الكلمة.

الخنزير : [يدير مفلتين صغيرتين همتين] أما أنا فأظن أنه ينبغي
أولاً أن نلتهم البنت الصغيرة فلا بد أن لحمها
طريّ.

تيلتيل : ماذا بفول هذا الأحق؟ انتظر قليلاً يا...
الهرة : لا أدري ماذا دهاهم، إن مسلكهم لا يبشر
بخير.

شجرة السنديان: سكوت! المسألة الآن هي أن نعرف من ينال
شرف توجهه أول طعنة ومن يزبح عن هامتنا
أكبر خطر يتهددنا منذ ولد الإنسان.
شجرة الصنوبر: هذا الشرف حق لك فأنت أمنا وسببتنا.
شجرة السنديان: أهذه شجرة الصنوبر التي تنكلم؟ إنني مع
الأسف عجوز طاعنة في السنّ، عمباء عليلة،
وأصبحت أوصالي من الخدر تأبى أن تطعني،
كلّا، بل أنتِ يا أختي يا شجرة الصنوبر دائماً
مخضرة، مسنقيمة لا تعرف الانحراف، شهدت
عيناك مولد أغلب هذه الأسجار، أنت أحقّ
بدلي بمجد نخربرنا جميعاً.

شجرة الصنوبر: شكراً لك يا أمي المبجلة، ولكن ما دمت قد
نلت أنا شرف إعداد قبر لهذين الصغيرين فإنني
أخسى إذا وقع اخبارك على أن أنير غبره
زملائي، وأظن إذا منحينا نحن الاتنتين عن هذا

السرف فإن الجديرة بعدنا هي سجره الزان،
لأنها تفوفنا عرافه، نم إن ضربتها أسدّ لأنها
أصلبنا عودًا.

سجرة الزان : لا يغيب عنكم أن السوس قد نخر أوصالى وأن
ضربتي لم تعد مُحكمة، أما سجره الدردار
وسجرة السرو فلهما سلاح ماضٍ.

سجرة الدردار : ليس أسهى علىّ من نوال هذا السرف ولكنى
أكاد لا أحسن صلب عودى، وقد فرض فأر
هذه الليلة إبهام قدمى.

شجرة السرو : أما أنا فعلى استعداد، ولكنى على غرار أحنى
سجرة الصنوبر إذا فاتني سرف إعداد القبر
فإنى سأحظى على الأقلّ بميزة الانفراد بذرف
الدموع على هذا القبر وليس من العدل أن
أجمع بين وسامين. واسألا سجره الحور.

سجرة الحور : أنا؟ هل اتجه ذهنكما إلىّ؟ ولكن خسبى طرىّ
سأن لحم الأطفال، ثم إنى لا أدري ماذا دهافى،
إنى أرتجف من الحمى، انظروا إلى أوراقى، لا بُد
أن البرداء أصابتنى اليوم عند الفجر.

سجرة السنديان : [تنفخ عاصه] أنت ترهبين الإنسان حتى هذين
الصبيين الغريرين، وكلاهما مضيعّ أعزل من
السلاح، إنها ينفخان فى قلبك بهذا الرعب

الخفيّ الذي طالما طوّفنا بما نحن فيه من دُلّ
ورق، إني أرفض هذا الكلام، كفى، ما دام
الأمر كذلك وما دامت الفرصة المتاحة هي
فرصة العمر فسأَمْضِي أنا وحدي، أنا العجوز
الكسيحة المربّعة العمياء للاقتصاص من
عدوّنا الأزلي. أين هو؟

[تتهادى بحذر على عصاها وتتقدم نحو تيلتيل].

هو : [يستلّ السكين من حيبه] مني وحدي تريد أن تمص
هذه العجوز أمّ النبوت الضخم.

[تند من بفيه الأشجار صرجه فزع لرؤيه السكين، هي في يد
الإنسان سلاح محارون في سره، بتار لا يفاوم، فيتوسط بين
الاثنتين ويمسكن سحره السنديان].

الأسجار : السكين! احترسي، السكين.
سجرة السنديان: [وهي تدافعهن] اتركنني، فما الجدوى، إن نجوتُ
من السكين فلن أنجو من البلطة، مَنْ التي
نمّسك بي؟ أأنتن جميعاً هنا؟ ماذا؟ أهذا اتحاد
منكن على نية واحدة. [تذف عصاها] إذن لتكن
منسيئتكُن، والعارُ لنا جميعاً، لن ينقذنا بعد
إلا الحيوان.

النور : نعم هو هذا، أنا لها، فبنطحة واحدة من فرني
[تعمد الفرة والحاموسة إلى شدّه من ديله].

البقرة والجاموسة: لماذا تحسّر نفسك، إياك والحماقة، هذه مسألة وخيمة العواقب سندفع نحن غُرمها، دعها إذن للحيوانات الضارية فهذا هو شأنها.

النور : كلا كلا بل سأنى أنا، اصبرا فتريا، ولكن إذا لم تمسكا بي فقد تقع نكبة.

تيلتيل : [إلى ميتيل وقد اسعثت منها صرخة حادة] اختبئى ورائى، لا خوف وهذه السكين فى يدى.

الديك : سجاعة هذا الصبى يا لها من شجاعة..

هو : هل قرّر قراركم؟ الاقتصاص منى أنا؟

الحمار : أكيد يا بنى، كيف تطلب فهمك للحقيقة مثل هذا الوقت الطويل.

الخنزير : لك أن تصلّى، فافعل، فقد حانت منيتك، ولكن

لا تحجب عنا صبيتنا الصغيرة، أريد أن أمتع

عينى بالنظر إليها فإنها هى أول من سألتهم.

: وهل أنا أجرمت فى حقكم؟

تيلتيل

: لا سمح الله.. ما الاجرام فى أنك أكلت وليدى

الشاة

وأخى وأختى وأعمامى الثلاثة، وعمتى، وأبى

وأمى، صبرا صبرا، حين يُطرح بك أرضا

سترى أن لى أنا أيضا أنيابا وأضراسا.

: وأن لى ظلّفا حادّا قوى الشكيمة.

الحمار

: [يمحص الأرض بقوائمه مرهوا] سترى ما سترى،

الحصان

فل لى، أيهما أحبّ إليك ؟ أن أنهشك بأسنانى أم
أبططك بحوافرى [يقدم بخيلاء نحو تيليل فيتصدى له
ويشهر السكين فى وجهه فصاب الحصان فحاه بالذعر وولى
الأدبار وينطلق كالسهم] يا للداهية، لس هذا بعدل،
لبس هذا من أصول اللعب، أن بدافع عن
نفسه..

الديك : [وقد عجز عن كتمان إعجابه] لا سكّ أنه صبىّ
جسور.

الخنزير : [للذب والذب] فلنهمج عليهما جميعاً وسأسندكما
من خلفٍ سنطرحهما أرضاً، ونفتسم الصبيّة حين
تقع.

الذب : سناغلّهما من أمام، على حين أفوم أنا بحركة
التفاف [ويدور حتى يحثى خلف تيليل ويهمج على طهره
ويكاد يطرحه أرضاً].

هو : يا خائن ! [ينهض معتمداً على ركبته واحده ملوّحاً بالسكين،
حامياً أخته قدر طاقته وهى تولول من الفزع وحين يتّين
للأشجار والحيوان أنه يوشك أن يقع على الأرض تقترب
جميعها منه تحاول كل منها أن تصيبه بصره، يخيم الظلام فجأة،
تيليل يستنجد باضطراب] النجدة النجدة تيلو، تيلو،
تيلو، أين الهرة ؟ تيلو، تيلو، تيلو. أسرع إلى
أنت والهرة.

الهرة

: لا أستطيع فقد التوت فدمى.

هو

: [يتحاشى الضربات ويدافع عن نفسه قدر جهده] النجده
النجده، لقد خارت فواى، إنهم أكثر منى عددًا،
الدبّ والخنزير والذئب والحمار وسجره
الصنوبر وسجرة الزان.

[بحر تيلو حاله المتقطع بعد أن وثب من وراء حدع شجرة
السديان ويشق طريقه مراحًا الشجر والحيوان حتى يلمى
بمسه أمام تيلتيل ويدافع عنه بصراوه]

الكلب

: [وهو يهش بفوه ممينًا ويسارًا] لبيك لبيك يا مولاي
الصغير لا تخف، إن فكى جبّار، خذ، هذه لك
أما الدب، فى عجيزتك الضخمة، أين من يريد
منكم ملها؟ وهذه للخنزير وهذه للحصان،
وهذه لذيل النور، تمام تمام، هأنذا قد مزفت
سروال نسجرة الحور وإزار نسجرة السنديان
أما شجرة القسطل فقد هربت، أف أف، الدنيا
حرّ..

هو

: [متصعصعًا] خارت قوى منذ ناولتنى سجره
السرو ضربة شديدة على نافوخي.

الكلب

: إنها ضربة من سجرة السرو وقد كسرت أيضًا
قدمى.

هو : ها هم يعودون للهجوم، كلهم معاً، فد جاء دور الذئب هذه المرة.

الكلب : انتظر، سترى كيف أعالجه بهجومى عليه.

الذئب : أيها الغبى، بيننا أخوة فأنف من سلاتنا، أنسيت أن أهله أبوا تربية صفارك فأغرقوها.

الكلب : وحسناً فعلوا فقد كانت تشبهك.

كل الأشجار : أيها العاقّ لجنسك، أيها الخائن والغرّ الأبله، وكل الحيوانات انفض يدك منه، ألا ترى أن الموت محقق به، انضم إلينا.

الكلب : [فى نشوة من الحث والإحلاص] كلا كلا، سأقف

وحيداً ضدكم جميعاً كلا كلا، سأظل وفياً لمن

ينتمى لهم مولاي، إنهم أفضل منكم وأجلّ

قدراً، [لتليل] احترس، هذا هو الدبّ، خذ بالك

من الثور، سأثب إلى خلفه، أى أى، هذه رفسة

من حافر، لقد هشّم الحمار سنين من فكى.

هو : هدّنى الإعياء، تيلو، أى أى، هذه ضربة من

شجرة الدردار، أنظر إلى يدي يسيل منها الدم،

إنه الذئب أو الخنزير.

الكلب : سلامتك يا مولاي الصغير، دعنى أقبلك، هذه

هى لعقة طيبة من لسانى ستريحك، قف ورائى

ولا تتحول، فلن بجراً أحد منهم على مهاجتك..

بل. نعم. نعم سبجراون، فها هم قد عادوا.

الخطر كبير هذه المرة فليصمد لهم..

: [يتهاوى إلى الأرض] لم تبى لى قدره على المفاومه.

: أصدقائونا فادمون، تنبئنى بهم أذنى وأنفى.

هو

الكلب

: من أين؟ ومن يكون القادم؟

هو

: من هناك، إنها بسمه النور، لقد اهددت إلى

الكلب

مكاننا، فد نجونا يا مولاي، يا مليكى الصغر،

قبلنى، نجونا، نجونا، أنظر إلى أعدائنا، إنهم

يتوجسون سرا ويتفرقون مرتعبين.

: يا بسمه النور، يا بسمه النور، أهدمى

هو

وأسرعى، لقد بارت ضدنا الأسجار والحيوانات

وتألبت علينا.

[تدخل بسمه النور، وكلها تقدمت يتوالى إسرائى المحر على

الغابه حتى يعمها الصياء].

بسمه النور : ما الخبر وماذا جرى، كيف غلبك الضلال

يا مسكن. أدر الماسة فإنها ستعبدكم إلى عالم

الصمت والظلام ولن تتجلى لك بعد سريرتها.

[يدير تيلتيل الماسه فتهرع كل سريره إلى جذع شجرها

وتدحله فينطبق عليها ويحفى أيضا سرائر الحيوان ويرى من

بعيد نمره وشاه ترعيان العشب فى سلام إلخ إلخ وتستعيد

الغابه براءتها].

هو : [يتلفت حوله من فرط دهشته] أين هم، ماذا كان قد جرى لهم؟ ف هل كانوا جميعاً قد أصيبوا بالجنون؟

بسمّة النور : كلا، هذه هى حقيقتهم دائماً، ولكننا لا نعلمها لأننا لا نراها، وقد حذرتك من قبل من خطر إيقاظها فى غيبى.

هو : على كل حال لولا الكلب، ولولا أن كان عندى سكّين.. لم أكن أتصور من قبل أنهم على مل هذه السّراسة.

بسمّة النور : ها أنت ذا ترى أن الإنسان يفف وحيّداً ضد الجميع فى هذه الدنيا.

الكلب : [لتلتل] عسى أن لا يكون قد نالك أذى كبير يا مولاي.

تيلتل : مسألة بسيطة، أما عن ميتيل فقد عجزوا عن لمسها ولكن أنت يا عزيزى تيلو، حدثنى عن نفسك، فد سال الدم على فكك وانكسرت قدمك.

الكلب : إصابة هيّنة لا تستحق الذكر، من غد سلتثم الجرح وينجبر الكسر ولكن كم كانت حاميه هذه المعركة!

الهره : [خارحه من غيل وهى تعرج] معركة حاميه ولا ريب،

فقد طعننى العجل بفرنه فى بطنى، لا ترى العين
أمر الطعنة ولكنها تؤلمنى، أسد الألم، وسجرة
السنديان كسرت قدمى..

الكلب : أحب أن أعرف أن قدمى هى ؟
ميتيل : [ترس على الهرة] تيليت يا مسكينة، أحفًا

ما تقولين؟ إذن أين كنت فإنى لم ألمحك.
الهره : [مافقه] أميمنى، قد جرحت من فورى حين

هاجمنى الخنزير القذر الذى أراد التهامك
فناولتنى حينئذ شجرة السنديان ضربة دوختنى.

الكلب : [وهو يهمس بالكلام من بين أسنانه المطبقة] أنت! فليكن
فى علمك أنه سيكون بينى وبينك حساب، ولن

يفيدك الانتظار سيئًا، فجزأوك لن يتغير.
ميتيل : [للكلب] دعها فى حالها يا لعين.

[ويخرج الجميع].

[ستار]

الفصل الرابع

المنظر السادس: أمام الستار

[يدخل تيلتل وسمه النور والكلب والهره والرعف والبار وفع السكر والماء واللبى].

بسمه النور : تلفيف رسالة عاجلة من الجنية غرباويه نخبرني فيها أن الطائر الأزرق موجود هنا في أغلب الاحتمال.

تيلتل : في أى مكان هنا؟
بسمه النور : هنا، في المقبرة التى وراء هذا الجدار، يبدو أن أحد الموتى فى هذه المقبرة يخفيه فى قبره، يبقى علينا أن نعرف أبهم هو، لذلك ينبغي المرور بالموتى واحدًا واحدًا.

هو : واحدًا واحدًا؟ وكيف نفعل؟
سمه النور : المسألة بسيطة، ننتظر منتصف الليل، لثلا نفرط فى إزعاجهم، ثم تدير أنت الماسة فإذا بهم

مخرجون من الأرض، وأما الذين لا يخرجون
فسنظلّ عليهم في قبورهم.

: ألن يجنفهم عملنا هذا؟

هو

بسمّة النور : لن يجنفهم، بل لن يبينوا أن خروجهم بإرادتنا،
حفا إنهم لا يحبون أن يفلفهم أحد، ولكن من
عادتهم على كل حال أن يخرجوا في منتصف
الليل فلا إزعاج لهم.

: لماذا سحب لون الرغبة وفتح السكر واللبن
ولماذا خرس لسانهم؟

هو

: [وهو يترج] أحس أنني سأصاب بالخنورة.

اللبن

بسمّة النور : [همس لتيلتل] لا تسغل بالك بهمومهم، فما بهم
إلا الخوف من المولى.

: [تطوف بحطى لاهيه] أما أنا فليست خائفه، فقد

النار

ألفْتُ أن أخرقهم، كنت أحرفهم جمبعًا في
الماضى فكانت لى متعة لا أجدها فى أيامنا هذه.

: ولماذا يرتجف تيلو؟ هل هو خائف أيضًا؟

هو

: [وأسانه تصطك] أنا؟ إننى لا أرتعس، أنا

الكلب

لا أخاف أبدًا، ولكن إن بركتم هذا المكان
فسأتركه معكم.

: وما للهرة لا تنبس بكلمه.

هو

: [فى غموض] ليس علمى علمكم.

الكلب

هو : [لسمة النور] هل ستأتين معنا؟
سمة النور : كلا، فمن الأفضل أن أبقى عند باب المقبرة مع
الأسياء والحيوان، لم يأت وقنى بعد، فربة النور
غبر فادرة للآن أن تنفذ إلى دور المولى،
سأتركك وحدك مع ميتيل.

هو : هل يمكن إذن لتيلو أن يبقى معنا؟
الكلب : نعم، نعم. سأبقى هنا، أحب أن أبقى مع مولاي
الصغير.

سمة النور : هذا مستحيل، إن أوامر الجنية صريحة، ومع ذلك
فليس هناك شيء يخشى منه عليكما.

الكلب : طيب طيب، ما باليد حيلة، إذا وجدتهم أشرار
يا مولاي الصغير فما عليك إلا أن تفعل هكذا
[يصفر] وسترى، سأسعفك كما أسعفك في الغابة
[يسح وا وا وا].

سمة النور : هيّا بنا، وداعا يا صغرى العزيزين، لن أكون
بعيده عنكما، [تعاق الصبيان] أن الذين يحبوننى
والذين أحبهم سيجدوننى دائماً [للأسياء والحيوان]
أما أنتم فمن هنا.

[مخرج مع الأسياء والحيوان ويبقى الصبيان وحدهما وسط
المسرح فتنتفتح الستار على المنظر السابع]

المنظر السابع

المقبرة

[بالليل في نور القمر، مصره ريفيه، فنور عديدة، ربي محضره، صلبان من الخشب،
كسوه مفار من الرحام إلح إلح].
[يلتل وميتيل وافمان بالغرب من نصت على هيئه عمود مستقيم].

- هى : إني خائفه.
هو : [ناطمشان مرعرع] أما أنا فلا أخاف أبداً.
هى : هل الموني أسرار؟ فل لى؟
هو : كلا، كيف يكونون أسراراً وهم غير أحياء؟
هى : هل رأيت من قبل واحداً منهم؟
هو : نعم، مرة واحدة، منذ زمن بعيد، أيام أن كنت صغيراً جداً.
هى : كيف هو؟ فل لى..
هو : شخص كله بياض، هادئ جداً، بارد جداً، ولا يتكلم.
هى : هل سنراهم؟ قل لى..
هو : ولا ريب، فهذا هو ما وعدتنا به بسمه النور.

: أين مكانهم هؤلاء الموتي؟	هى
: هنا تحت العشب أو تحت هذه الأحجار البسة	هو
: أهذا هو مكانهم على مدار العام؟	هى
: نعم.	هو
: [مسيره إلى الأحجار فوق الممار] أهذه أبواب بيوتهم؟	هى
: نعم.	هو
: أيمكن خروجهم حين برقّ الهواء؟	هى
: أنهم غير قادرين على الخروج إلا بالليل..	هو
: ولماذا؟	هى
: لأنهم لا يريدون إلا الفمصار..	هو
: وهل يخرجون أيضًا في المطر؟	هى
: إذا أمطرت السماء لزموا بيوتهم.	هو
: هل بيوتهم جميلة؟ قل لى..	هى
: يقولون إنها ضيقة جدًا.	هو
: هل معهم أولاد صغار؟	هى
: طبعًا، معهم كل من يموت.	هو
: ما هو غذاؤهم؟	هى
: إنهم يأكلون جذوع الأشجار.	هو
: وهل سنراهم؟	هى
: لا ربب، فإن إدارة الماسة سنجعل كل سىء	هو
بنكشف لعوننا.	

- هى : وماذا سيفولون؟
- هو : لن يقولوا شيئاً لأنهم لا يتكلمون.
- هى : ولماذا لا يتكلمون؟
- هو : لأنه ليس لديهم سىء يقال؟
- هى : ولماذا لبس لديهم سىء يقال؟
- هو : وجعب لى دماغى [متره صمب].
- هى : منى بدير الماسه؟
- هو : بسمه النور أوصنا بانتظار منتصف الليل. هذه
ساعه لا يزعجهم الخروج فيها إلا قليلاً.
- هى : ولماذا يقل انزعاجهم عند الخروج فى هذه
الساعه؟
- هو : لأنها ساعه الخروج لتنسم الهواء.
- هى : هل حلّ نصف الليل؟
- هو : ألا ترين ساعه الكنيسه؟
- هى : نعم، بل أرى العقرب الصغير.
- هو : إذن برين أنها على وسك أن ندق انتى عسرة
مرة، ها هى تدق، أسمع؟
- [تسمع الدفاب الانتا عشره]
- هى : أريد أن أعود.
- هو : لم نحن العوده بعد، سأدير الماسه.

- هى : كلا كلا، لا تفعل، أريد أن أعود، إننى خائفه
يا أخى. أنى متعبه جداً.
- هو : ولكن ما من خطر علينا.
- هى : لا أريد أن أرى المونى، لا أريد أن أراهم.
- هو : لك ما تريدن، أفعلى عنيك فلا ترينهم.
- هى : [تشب شيا به] تلتل، لا أستطيع، مستحيل، إنهم
سيخرجون من تحت الأرض.
- هو : لا ترنجفى هكذا، إنهم لن يخرجوا إلا لبرهنة
وجيزة.
- هى : ولكنك أنت أيضاً رتجف. هل سيكون منظرهم
مرعباً؟
- هو : أرف الوقت، فقد أصبحنا فى منتصف الليل.
- [يدير تيلتيل الماسة، لحظة مرعبه من الصب والهمود نم يحدث
سطء ترنج الصلطان واشماف الأرض فى الربوه المخضره
وارتفاع الحاره عن العبور].
- هى : [وهى يحتمى سحن أحيها] إنهم يخرجون، ها هم
أماننا.
- [حينئذ يشعث شيئاً فشيئاً من العبور المفتوحه لفيف زهور نابتة،
هى أول الأمر رفيقه متهية، إنها كسحانه من البحار، ثم تتحول
إلى بياض كوساح البكر، ويرداد درجه بعد درجه التماقها
وعلوها وفيضها وبهاؤها ومحلل شيئاً فشيئاً وسلطان لا يقاوم
كل الأشياء فتحيل المصره إلى حديقه ملائكية توحى بالطهاره،

ثم لا يلبث الفجر أن يرف إليها أول صيائه فيتلأأ الندى،
تتفتح الأسحار والأرهار، ويوسوس السيم بن أوراى العصور
يطن الحبل، تستيمط الطيور فتملأ بواكير سنوتها أرحاء
الكون بأناشيد فرحها بالشمس والحياه، تيلتيل وميتيل تتملكهما
الدهشه والإعجاب، يده بمسك يدها، ويملان الخطى بن الزهور
بحثاً عن آثار المور]

: [هى تبح فى العش] أين هم هؤلاء المونى؟
: [يبحث ملها] ليس هناك مونى.

هى

هو

[ستار]

المنظر الثامن

أمام ستار يمثل سحبا جميلة

[يدخل يليل وميتيل وسمه النور والكلب والهرة والرغيف والبار وفع السكر والماء واللس]

سمه النور : في اعنفادى أن يدنا سنقع هذه المرة على الطائر الأزرق وكان ينبغي أن أدرك هذا مند أول مرحلة في رحلتنا ولكن لم يحدث إلا في هذا الصباح حين جدد الفجر فواى أن أسرق هذا الإدراك على ذهني إسراف سماع من السماء، نحن الآن عند مدخل الفردوس المسحور حيث يجتمع في حراسه القدر كل ما يعرفه الإنسان من سخوص البهجه والهناء.

ييلتيل : وهل هناك كبر منهم، أ يكون لنا منهم نصب أبينهم صغار مثلنا أيضاً؟

بسمه النور : فهم الكبير والصغير، والجلف والرفيق، فهم من له أكبر حظ من الجمال وفيهم من هو أقل

لطفاً، أما أسوأهم طبعاً ففد سبق طردهم من
هذا الفردوس فوحدوا ملجأ لهم في ديار
سخوص البؤس إذ ينبغي أن لا يغيب عنكم
أن سخوص البؤس يفيمون في مسكن مجاور
نافذ على فردوس الهناء، لا يفصل بينهما
إلا حاجز كأنه البخار أو كأنه ستار خفيف
نزاح كلما هبت عليه رياح من علماء العدالة أو
من قاع الأبد، يحسن بنا أن نعمل بنظام وأن
نتخذ بعض تدابير الحبطة، فسخوص الهناء هم
في العادة خرون إلا أن منهم من هو أسدّ من
سخوص البؤس خطراً وحداعاً.

الرعيف : عندي فكرة، ما دام سخوص الهناء لهم مل
هذا الخطر والخداع أفليس من الأفضل أن
نبقى جميعاً عند الباب حتى نحمل الصبين
بسواعدنا إذا اضطرا للفرار بعد دخولهما؟

الكلب : كلا كلا، أريد أن أكون مع مولاي ومولاي أينما
بذهبان فليبقى بالباب كل من برنجف قلبه من
الرعيب، فليس لنا حاجة إليه [نظر إلى الرعيف]
ولا إلى الجبناء [نظر إلى الهره] ولا إلى الخائنين.
النار : أما أنا فذاهبة معهما، يقال إن في غيبان هذا

الفردوس متعه كبيره وأن أهله لا ينمطعون عن
الرفص.

الرجيف : وعن الأكل أيضا؟
الماء : [تنهد] لم يدخل حياتي قط هناء ولو صغير وأود
أن أعرفه اليوم.
بسمه النور : اعفدوا ألسنتكم، لم يسألکم أحد رأيکم، إليکم
قرارى، الكلب، والرجيف وفتح السكر
يصحبون الصبيين، والماء لا تدخل لأنها سديده
البرودة، ولا النار لأنها مفرطه فى الاضطراب،
وأناسد، اللبن أن يلزم الباب لأنه سريع التأثر،
أما الهرة فهي حرّة.
الكلب : إنها خائفة.

الهره : إذن سأصرف فأسلم فى طريقى على بعض
سخوص البؤس فيبنى وبينهم صداقة فديمه، فهم
يسكنون بجوار سخوص الهناء.
هو : وأنت يا بسمه النور، ألا تأتبى معنا؟
بسمه النور : لا أستطيع أن أدخل كما أنا على سخوص
الهناء فإن أكرهم لا يحتملوننى، ولكن لددى
الوساح الغليظ الذى أغطي به إذا زرت
السعداء، [تفرد وشاحاً كبيراً تلقه حولها بإحكام] ينبغى

أن لا يزعجهم سماع من نوري، إذ أن من
شخص الهناء من يعبس في وجل محروماً من
السعادة أما إذا دخل هكذا فلن بخشاني أحد
حني أقلهم جمالا وأقلهم لطفاً.

[يفتح الستار على المطر التاسع]

المنظر التاسع

فردوس الحياة الدنيا

[يفتح الستار عن ردهه مقامه في مدخل الفردوس رسمها أعمده عالاه من المرمر، تتدلى بينها أستار من المحمل النميل الأرحاوى، تعفدها حبال ذهبيه، بحب يحب عياه المنظر، طرار الساء يوحى نذروه ما بلعه يوما عصر الهضه فى السندفه والأراضى الواطئه من استعراى فى الملداب الحسيه والترف كما تسهد به لوحات الرسام فيروبيرى وروبار، أكاليل ومائم وحدائل وزهرات وماسل ورسه ذهبيه مسوره سخاء، فى وسط الردهه مائده بفيله فحمه من حجر السب المرخرف بالسيفساء، تردحم عليها سمعدانات وأكواب من الللور وآيه من الذهب والمضه، بقص بأطعمه فاحره، مجلس حول المائدة سخوص الترف فى الأرض وهم نأكلون وسربون وسدفعون فى الهتاف والعناء، فيهم المريح وهو وسان، وفيهم المسعرون فى النوم، وبس أكداس من لحم الوعل وفاكهه مهوله انقلب الأبارى والأكواب على المائده، كل واحد مهم مهرط فى البدانه، محتق الوجه، فى ملاس من القطفه، على الرأس تاح محلى بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكرمه، فان فاتبات لا تنفك عن السعى بأطباى مزينه وسرات مسعسع، وموسيقى تنم عن دوى فح ماجن بح الصنخ بعلب فيها عرف الآلاب السحاسيه. المسرح عارى فى صوء أحمر بميل

تلتل ومييل والرعيى وفع السكر بعلهم سىء من الدهسه والانهار أول الأمر بم سحلفون على النمن فى مقدمه المسرح حول بسمه النور، ويمضى الهره دون أن بسس بكلمه إلى عناه المسرح، من الناحيه اليمى أنصاً - وترفع سباره قائم اللون وبخفى]

هو : من هم هؤلاء الساده الضخام الذين يلهون
وبلهمون كل هذه الأطعمه السهبه؟

بسمة النور : إنهم سخوص الريف في الأرض، ممن تراههم
العيون، ومن الجائز - وإن كان الاحتمال
ضئيلاً - أن يكون الطائر الأزرق قد سرد
فنريهم عندهم قليلاً، لذلك لا تتعجل إداره
الماسه، وعلينا الآن دفعاً لوهم النفسر أن
نستكشف هذا الجانب من الردهه.

هو : وهل نستطيع الاقتراب منهم؟
بسمه النور : نعم ولا ريب، فهم غير أسرار وإن كان فيهم
من هو جلف، ومن هو سئ الأدب.
هى : عندهم فطائر لذيده.

الكلب : ولحم صد طري ومفدّد، وأزناد خراف وأكباد
عجول، هذا أطيب طعام في الدنيا، لا يفضلّه
طعام آخر، فلا سئ يفضل أو يمال كبد
العجل.

الرجف : إلّا الخبز المصنوع من خالص دفيق القمح،
عندهم أفخر صنف منه ما أجمل أرغفهم!
ما أجمل أرغفهم، انها أضخم منى.

قمع السكر : عفواً عفواً ومائه مرة عفواً! اسمحوا لى،
اسمحوا.. لا أريد أن أجرح شعور أحد ولكن
أنسيتم أن الحلوى هى مجد هذه المائدة فلها من
الرواء البديع ما يفوق - إن جاز لى هذا

التعبير- كل شيء لا في هذه الردهة وحدها
بل ربما في أى مكان آخر.

هو : يا لسمه الرضى والسعادة البادية عليكم،
لا يكفّ لهم هتاف وصحك وغناء، أظن أنهم قد
رأونا.

[ويفوم فعلاً من المائدة भर من سخوص الترف ويحطون
بصعوبه مسدين أكراسهم بالأكف، ويتقدمون نحو تيلتيل
وصحته].

بسمه النور : [لتيلتيل] لا نخس سئاً، انهم أهل حفاوة وكرم
ضيافة وأظن أنهم سبدعونك للعشاء معهم فلا
تقبل دعوه ولا طعاماً، لئلا تنسى مهمّتك.
هو : ماذا؟ حتى ولا فطيرة واحدة صغيرة؟ إن
فطائرهم نبدو نهية طازجة مُسكره، محسوة
بالفاكهة، عامره بالقسدة.

بسمه النور : إن عواقبها وخيمة فهي ستحطم إرادتك
وينبغى أن تعرف كيف تضحى ببعض الأشياء
في سبيل أداء الواجب. فرفض بأدب، ولكن
بحزم، ها هم فادمون.

[زعيم الترف مد يديه إلى تيلتيل]

زعيم الترف : مرحباً بك يا تيلتيل، أهلاً وسهلاً.
هو : [بدهسه] أتعرفنى إذن؟ مَنْ أنت؟

زعيم الترف : أنا زعيم الترف، أنا التراء، إننى فادم نيا به عن
أخوتى، أدعوك أنت وصحيك لتسرف مآدبتنا
التي لا انقضاء لها، وستجد نفسك بين من هم
أفضل وأصدق شخوص الترف فى هذه
الأرض، واسمح لى أن أقدم لك أهمهم، هذا هو
صهرى ترف الحيازة والتملك، وبطنه على هيئة
الكمثرى، وهذا هو ترف الغرور والاكتفاء
بالنفس، إنه يزهو بأوداجه المنتفخه، وهذا هو
ترف الشرب حين لا عطس، وهذا هو ترف
الأكل حين لا جوع وهما توأمان وأقدامهما من
عيدان المكرونة، [يمومان متحبة تيلتيل وهما يتربحان]
وهذا هو ترف الاستغناء عن كل علم، وهو
أصم كالصخر، وهذا هو ترف الاستغناء عن
كل فهم، وهو أعمى كجرذ الجحور، وهذا هو
ترف الترفع عن كل عمل، وهذا هو ترف
الاسترسال فى النوم بعد الشبع منه، ولهما أيد
من لباب الخبز وعمون من مربى الخوخ، وهذا
ترف الضحك الغليظ، إن فمه مسموق حتى
الأذنين، ولا أحد يفاوم عدواه.

[يموم يتحبه تيلتيل وبدنه يرتج ويتلوى من الضحك]
: [يشير إلى ترف آخر منتح حاساً] وَمَنْ هذا الذى

هو

لا يجراً على النقدم ويدبر لنا ظهره ؟
زعيم الترف : لا بلح في السؤال، انه في خجل، إذ لا يليق
تقدمه للصغار [عسك يد تيلتل] ولكن تعال إذن،
سنبدأ المأدبة من جديد، لقد تكررت عشرين
مرة منذ الفجر، ولسنا في انتظار أحد غيرك،
هل تسمع كل الضيوف يهتفون بدعوتك،
لا أستطيع أن أقدمهم لك جميعاً فهم عدبدون،
[سمح دراعه للسن] اسمحاً لى أن أفودكما إلى
مقعدى السرف.

هو : سكرأ سدى زعم الترف، يؤسفنى أسدّ
الأسف أننى غير قادر فى هذه اللحظة أن ألبى
دعوتكم، إننا فى عجلة، فنحن نبحث عن
الطائر الأزرق. فلعلك تعرف صدفة أين هو ؟
زعيم الترف : الطائر الأزرق ؟ انتظر إذن، نعم. نعم. أذكّر
الآن، لقد سمعتُ عنه من قبل، إنه فيما أظن
طائر لا يؤكل، على كل حال إنه لم يمل فوق
مائدتنا، ولكن لا نحهد نفسك، فلدينا أساء
أخرى أفضل منه، فنعال لتساركنا حياتنا
وتسهل كل ما نفعل.

هو : وماذا يفعلون ؟
زعيم الترف : كل فعالنا أن لا نفعل سيئاً، فنحن لا نرتاح

ولو دقيقة، إذ ينبغي أن نأكل وأن نسرب وأن
ننام، وكل هذا يستنفد وقتنا كله.

هو : وهل في ذلك متعه؟

زعيم الترف : من كل بُدٍّ، فلس في الأرض متعه سواها.

بسمة النور : أهذا هو اعتمادك؟

زعيم الترف : [همس إلى تيلتيل مشيراً إلى سمة النور] مَنْ يكون هذه
السابة السيئة الأدب؟

[وأثناء الحوار السابق يحتفى سحوص نابويه من الترف
بالكلب وشمع السكر والرغيف ويهودوهم إلى المائدة الصاحبه
وفحاه بلحط تلتيل صحبه وفد جلسوا على المائدة في إحاء مع
بفيه الصوف، يأكلون ويشربون ويترجون]

هو : [لسمة النور] أنظري! إنهم على المائدة.

سمة النور : نادهم وإلا كانت العاقبة وخيمة

هو : تيلو! تيلو! تعال هنا، تعال هنا حالاً، سامع؟

وأنت يا قمع السكر، وأنت يا رغيف من سمح

لكما بالابنعاد عني، ماذا تفعلان هناك بغر إذن

مني.

الرغيف : [وفمه محشو] ألا سسطع منادانا بلهجه أكر
أدباً.

هو : يا للعجب! منذ مني تعلّمت هذه الجرأة على؟

ماذا دهاك! وأنت يا نيلو. أهذه هي الطاعة

عندك؟ هيّا، تعال هنا، اركع اركع وبأسرع
مما تفعل.

الكلب : [بصوت واطى ومن طرف المائدة] أنا حين آكل
لا أجيب أحداً ولا أسمع شيئاً.

قمع السكر : [بلهجه معسولة] اعذرنا، إننا لا نستطيع أن نخذل
أصحاب بيت لهم مل هذا الظرف.

زعيم النرف : حلمك حلمك، إنهم بضربون لك المل،
فالضيوف ينتظرونك ونحن لا نقبل الاعتذار،
سنرغمك بلطف على الجلوس، هبا يا سخوص
الترف، ساعدوني، ادفعوه دفعاً إلى المائدة حتى
ينعم بالسعادة رغم أنفه.

[تتقدم سخوص الترف وهى تترجح وتماسك قدر جهدها
وهلّل في فرح ومحبذ الصيين وهما يفاومان، بينما يلف ترف
الصحك الغليظ ذراعه على حصر اسمه النور]

بسمه النور : [إلى تيلتيل] أدر الماسة ففد آن الأوان.

[تيلتيل يستحيب لها، ما يكاد يدير الماسة حتى يعمر المنظر
ضياء لا وصف ولا حد لنفائه، كأنما تعكس عليه الملائكة لون
أجنحتها الوردية، صاف رفراو، تنفك وتحتفى عن مقدمه المنظر
رحارفه الثقيله وأستاره الصفيفة الأرحوانية، فتكشف عن
حديفه باعمه كأنها من عالم الجرافه، سودها دعه وسكينه، هى
أشبه شىء بصرح أقامته مملكة الباب، ترتاح العين لانسجام
حطوطه وأبعاده، إنها حديفه ثرية بأغصان فتيه تفرق عليها
الصياء، ملتفه ومتشاكه بلا فوضى، الزهور سكرى بطهارها،

ومياه صافيه تنطق بالحدل وهي تصب وتسيل وتصطفي في
حداول حاريه، كأنما عند رحاب الهباء إلى حدود الأفق، تهدد
مائده العرمده ولا يبقى لها أثر، ستائر المحمل والحريز وتيحان
سحوص الترف ما تكاد تتلفى أوائل أنفاس هذا الصياء
المشعشع الذي يعمر المطر حتى ترتفع وتمرق وتنهوى،
وكذلك الأفنعة الصاحكة الملفاة تحت أهدام الصيوف وقد
عرتهم الدهشة، ويسقط انتفاح سحوص الترف تناعاً على
مرأى العين انسقاط منانه انفجرت، يتبادلون البطراب
وأجفانهم تطرف من أثر هذا الصياء المجهول الذي تعسى له
أبصارهم، وحيثما تتحلى لهم حميقتهم ويرون أنفسهم سحوصاً
دميمه، رحوه، ررية تبعث منهم صيحات المحمل والوحل، تنين
الأذن بوصوح من بينها صيحه ترف الصحك العليط سبب
علوها على صيحات الآخرين، وترف الاستعناء عن كل فهم
بظل ساكناً كل السكون، على حين يصطرب رملاؤه وقد
أحسوا بالضياح، يتلمسون وسائل الهرب بالاحتفاء في الأركان
للتسر بعتمتها فيما يأملون، ولكن ساء الحديقة الراجعة لم يترك
بها أثراً لطل، فيعمد بعضهم في يأسهم من النجاه إلى افتتاح
مذير الستاره المائلة في ركن على اليمين، المنعقدة فوقها سفيقه
باب كهف سخوص النؤس، وكلما هم كل واحد منهم في رعبه
بإزاحة الستاره فليلا اسعت من أغوار الكهل سيل من الساب
واللعبات والشتائم، أما الكلب والرعيث وقمع السكر فقد
مخاذلوا وتدلج آدانهم وانضموا إلى صحة الصييين واختشوا في
خجل وراءهما].

تلتيل

: [وهو يرقب فرار سخوص الترف] ما أبسع دمامتهم.

إلى أين فرارهم؟

بسمه النور : جُن جنونهم ولا ريب، أنهم يلجئون إلى

سَخُوص البؤس وأخسى أن يحتجزوهم عندهم
إلى الأبد.

هو : [يلتف حوله مسحورًا بما يرى] ما أجملها من حديقه،

ما أجملها من حديقه، ولكن أين نحن؟

بسمه النور : لم يتبدل مكاننا، إنما التبديل في نظرة العيون،
نحن الآن نسهد حقيقه الأسباء، سرى
سَخُوص الهناء الى تتحمل سناء الماسه.

هو : ما أبهى هذا المنظر وما ألطف هذا الهواء، بجبل
إلى أننا في اعتدال الربيع، ما الذى أرى؟ من
الفادمون علينا من هناك، لعلهم سيعنون
بأمرنا.

[وتبدأ الحديقة فعلا بالالاء سَخُوص ملائكيه كأنما انقلب
من سبات طويل وبحر باسحام خلال الأسجار، عليها
ملاس يشع منها صرله أطياف تراح العين لتناسفها
وبهائها، تتمتع الرهر فى الحديقه، ويمر نغر الحداول، ويسرق
سواء مخر وليد، وتلألاً الندى].

بسمه النور : ها هي ذى فئه من سَخُوص الهناء فادمة إلبناء،
بدفعهم حـ، الطلع، ولكنهم أهل ظرف
وسماحه، سنعلم منهم الخبر.

هو : وهل تعرفبنهم؟

بسمه النور . نعم، أعرفهم جميعًا فإني ألم بهم مرارًا دون أن
بدركوا من أنا.

هو : ما أكرهم، ما أكرهم، إنهم فادمون من كل صوب.

بسمه النور : كانوا أكر عدداً من قبل، فقد أضر بهم سخوص الترف.

هو : لا ضير عليهم فقد بقى منهم عدد لس بالليل.

بسمه النور : وسترى كسراً غيرهم كلما طاف صياء الماسه

بالحديقة، فإن سخوص الهناء في الأرض أكر

مما بظن، ولكن أغلب الناس لا ينتبه إليهم.

هو : ها هم صغارهم يتقدمون إلنا، فلنجر للفائهم.

بسمه النور : لا تتعب نفسك، فكل من بعينا أمره سبمر من

هنا ولا ينسع وقتنا لمعرفة الآخرين.

[صغار سخوص الهناء تونب وتتضاحك بلاء الأفواه، تقدم من

مؤخره الحديقه وترقص متحلقة حول الصيين].

هو : ما أوسمهم، ما أوسمهم، من أين أتوا؟ ومن هم؟

بسمه النور : إنهم سخوص هناء الأطفال.

هو : هل لى أن أكلهم؟

بسمه النور : لا داعى للكلام فهم لا يعرفون إلا الغناء

والرقص والضحك، أما الكلام فلم يتعلموه

بعد.

هو : أهلاً أهلاً [إلى سمد النور] انظري إلى هذا الطفل

السمن الضاحك ما أجمل خدودهم وما أبهى
ملابسهم. أكلهم أرياء؟

بسمه النور : كلاً، هنا كما في كل مكان يزيد الففراء على
الأغنياء.

: وأين الففراء بهم؟

بسمه النور : لا تتبينهم العين لأن هناء الأطفال ملفوف في
أجمل كساء في الأرض أو في السماء.

هو : [وهو لا يستقر في مكانه] أريد أن أرفص معهم.

بسمه النور : هذا مسنحيل، فليس لدينا وقب، أنى أرى أن

الطائر الأزرق ليس عندهم، وهم فوق ذلك في
عجلة، فأنت تراهم قد أخذوا في الانصراف.
وهم أيضاً وقتهم قليل فلا يُضبعونه هدرًا، فأمد
الطفولة قصبر.

[مهرع إلى الحديقه فته من شخوص الهناء أطول من السامين،
يتعالى غناؤهم وهم يهتفون: ها هم قد أتوا، ها هم قد أتوا، اهم
يروننا، ثم يرفضون مرح حول الصبيين وعند نهاية الرفصه
يتقدم من هو في الظن زعيم هذه الفئة الصغيره نحو تيلتيل ومد
له يده]

: أهلاً بك يا تيلتيل.

الهناء

: مرة أخرى أجد من يعرفنى، [إلى بسمه النور] قد

هو

بدأت أن أكون معروفًا لدى الجميع هنا، [إلى

الهناء] مَنْ أنت؟

الهناء : أنت لا تعرفني ؟ أراهنك أنك لا تعرف أحداً منا هنا.

هو : [بلا حرج] فعلاً، لا أعرف أحداً، فلا أذكر أنني رأيتك من قبل.

الهناء : [لزملائه] أتسمعون ؟ كنت وانفاً أنه سيقول أنه لم يرنا، [تنفجر بغيّة شحوص الهناء بالضحك] ولكن يا عزيزي تيلتيل، أنت لا تعرف أحداً غرنا، نحن دائماً من حولك، في صحبتك، نأكل ونشرب ونصحو ونتنفس ونعيس.

هو : نعم. نعم أنت على حق، أدرك الآن صدق ما تفعله، فإنني تذكرت ولكني أود أن تنبئوني بأسمائكم.

الهناء : رأيت أنك لا تدرك شيئاً، أنا هناء بيت الأسرة، بيتك، وزعيم كل هناء آخر يسكنه.

هو : أفي البيت أشكال أخرى من الهناء ؟

[يفتح شحوص الهناء بالضحك]

الهناء : هل سمعتم ؟ يسأل أفي البيت هناء آخر، البيت

يا بنيّ مكتظ بأشكال من الهناء حتى تكاد

تفيض من سدود أبوابه ونوافذه، ونحن نزحمه

بالضحك والطرب والفرح حتى لتكاد الجدران

تتراجع أمامنا وحتى يكاد السقف يطير، ولكن

مهما بذلنا من أنفسنا لك فأنت لا يرانا. أرجو
أن ترجع عقلك لرأسك قليلاً من فادم، وإلى أن
يحدث لك هذا تعال صافح أعاننا حتى إذا
رجعت لبيتك سهل عليك تبينهم ثم نعرف في
نهاية يوم سعيد كيف تسجعهم بابتسامه منك
وتسكرهم بكلمه طيبة، لأنهم يبذلون كل
جهدهم من أجل أن تنعم بحياة حلوة خضفه
الحمل، دعني أقدم لك نفسى أولاً، خادمك
المطبع: هناء المتمتع بالصحه والعافيه، ولعل
جمالى لا يفوف جماهم بريقاً، ولكنى أهمهم،
أتعرفنى الآن؟ وها هو هناء المتمتع بالهواء
الطلق، إنه مكاد يكون سفافاً، وها هو هناء تتمتع
الولد بمحبته لأبويه، ينمّ لون نوبه الرمادى عن
حسنمته ولا يسلم من حزن طفيف لأن العيون
فلما تأبه به، وهذا هو هناء المتمتع بالسما
الزرفاء، نوب أزرق بطبيعته الحال، وهذا هو
هناء التمتع بالغابه، ونوبه أخضر بطبيعته الحال
أيضاً، ستراهم جميعاً إذا جلسن إلى النافذة،
وهذا هو هناء التمتع بإسراق الشمس، له لون
الماس، وهذا هو هناء التمتع بالربيع، إنه في
لون الزمرد وبه طيس.

هو
الهناء

: هل لكم هذا الجمال كل يوم؟
: أئى نعم، فكل الأيام يوم عيد فى كل البيوت،
إذا عرف أهلها كيف يفحون عيونهم، ثم إذا
حل المساء وأتاك أصحابى هؤلاء، دعنى أقدمهم
لك، هذا هو هناء التمتع بالغروب، وهو أبهى
من كل ملوك الأرض، ثم يتبعه هناء التمتع
بطلوع النجوم وببابة من ذهب كآلهة الأفدمين،
ثم إذا تكاثرت السحب وأتاك صاحبى هذا، إنه
هناء التمتع بالمطر وبوبه مطرز باللؤلؤ، ومعه
هناء التمتع بمدفأة الشتاء الذى يسدل على
الأيدى المنسلجة وساحه الفرمزى، ولكنى لم
أحدثك عن أفضلنا جميعاً لأنه يكاد يكون أخاً
سقيقاً للنعم الكبرى الصافية التى سراها
قريباً، وأعنى به هناء التمتع بفكر طاهر برىء،
وهو أكثرنا نقاءً، وها هو هناء آخر، ولكن
ما أكر من احتاج إلى تقديمه إليك، ولو فعلت
لما انتهيت، فينبغى لى أن أنبئ بمقدمكم النعم
الكبرى المسرفة علينا هناك، فى آخر الحديفه،
بالقرب من باب السماء، فإنها لا تعلم بعد أنكم
قد أتيتم، سأبعث إليهم بهناء التمتع بالجرى
على قطرات الندى بأقدام حافية، فهو أخفنا

حركة [محاطب الهباء الذى وقع عليه اختياره، فيتقدم مسرعاً
فى الترحيب بالحركة والتونب - ويستطرد الهباء قائلاً له]
هيا، طرُ إلى حيث أرسلتك.

[يتقدم فى هذه اللحظة هباء آخر، عارٍ إلا من سر أسود على
خاصرته، يراحم بهفه سخوص الهباء وهو يهمهم بكلمات غير
مفهومة، ويفترب من تيلتيل وهو يتونب، فيعانه بوضع كفه
على الأنف وتلعيب أصابعه، محاولاً صفعه أو ضربه بالقدم، وإذا
هم تيلتيل بصدده تقلص منه].

هو : [وقد علتة الدهشة والحنو] من هذا المتوحس ؟
الهباء : أمرى لله، لا مفر من أن أقدمه لك، إنه هباء
العفرتة، وقد هرب من كهف سخوص البؤس،
لا ندرى أين نحتجزه، فإنه يهرب من كل
محبس، بل إن سخوص البؤس ترفض إيواؤه.
[بتمادى هباء العفرتة فى معاكسة تيلتيل الذى يحاول عشا صده
عنه، ثم إذا به ينفجر فحاًه بضحكة عالية ويصرف بلا دافع
كما أقي].

هو : ماذا به ؟ هل أصابه مس من الجنون ؟
بسمه النور : لست أدرى، والظاهر أن حالك يكون كحاله
حين تتحامق وتركب رأسك، ولكن بقى علينا
أن نسأل عن الطائر الأزرق فلعل زعيم هباء
البيت لا يجهل مكانه.

هو : [يسأل الزعيم] أين الطائر الأزرق ؟

الهناء	: صاحبنا لا يعرف الطائر الأزرق.
	[يضح كل سخوص هناء اليب بالصحك]
هو	: [فى غضب] نعم، لا أعرف أين هو، وليس فى هذا مدعاة للضحك.
	[ضحكات أخرى]
الهناء	: حلمك، لا تغضب، [ثم إلى بقية سخوص الهناء]
	دعونا الآن نتكلم بجذّ، إنه صادق فى قوله إنه لا يعرف ابن الطائر الأزرق. وما العجب فى ذلك؟ إنه ليس بأقلّ غفلة عن بهية الناس، ولكن ها هو هناء التمتع بالجرى على فطرات الندى بأقدام حافية قد نقل النبأ إلى النعم الكبرى وها هى ذى تتقدم إلينا.
هو	: ما أجملهن، لماذا لا يضحكن. أهنّ غير سعيدات؟
بسمة النور	: لا يكون الضحك دائماً دليلاً على فرط السعادة.
تلنيل	: مَنْ هُنّ؟
الهناء	: هى النعم الكبرى.
هو	: أتعرف أسماءهن؟
الهناء	: أعرفها بطبيعة الحال، فلطالما لعبت معهن، ها هى ذى أولاً وفى مقدمة الباقيات، نعمة الفدره

على العدل، وهي تبتسم كلما رأب انتصاراً على
ظلم، وأنا لصغر سنى لم أرها ببسم بعد، ومن
ورائها نعمة طيبه القلب، هي أكرهن سعادته
وإن كانت أكرهن أسى، ونحن لا نحتجزها
إلا بمسقة عن مضنها لسخوص البؤس الذين
تود أن تواسبهم، وعن اليمين نعمة الراحه في
إنجار العمل، بجانبها نعمة الفكر، ثم نعمة
الفهم، وهي تبحث دائماً عن سفيقها: برف
الاسغناء عن الفهم.

: ولكنى رأب سفيقها، إنه ذهب إلى سخوص
البؤس مع سخوص النرف.

: كنت واناً من ذلك فإنه أصبح ضالاً أحمى من
فرط معاسرته لقرناء السوء، فأصيب طباعه
بالسدوذ، ولكن حذار من أن نجى سيرته على
لساننا أمام شقيقته وإلا مضت تبحث عنه
وفقدنا بذلك وجود نعمة كبرى بيننا، وها هي
ذى أيضاً واحده من النعم الكبرى إنها نعمة
رؤيه الجمال أينما كان، إنها بضى كل يوم
مزيداً من بهاء أسعتها على الضوء الذى بغمر
هذا المكان.

: ومن هي المائلة هناك، بعداً، بين السحب

هو

الهناء

هو

الوردية، لا أراها إلا إذا سبب غابه جهدي
على أصابع قدمي.

الهناء : هذه هي نعمة قدره على الحب، ولكن هبها

لك أن تتبينها كل البين فأب ما زلت صغيراً.

هو : ومن هنّ الوافقات إلى الخلف، بمنعهن الهيب

عن التقدم إلينا، ولماذا وجوههن محببه؟

الهناء : هي النعم التي لم يعرفها الإنسان بعد

هو : وماذا يدّرهُ الأخريات لنا، وما لهن قد انفسن

صفين؟

الهناء . لاسقبال نعمة أخرى فادمه، لعلها أكر النعم

طهارة وصفاء.

هو : ومن نكون؟

الهناء : ألم تتبين بعد؟ فأمعن النظر إليها، وافتح عينك

لنطل منها قلبك أيضاً. هذه النعمة قد رأيتك، قد

رأيتك، إنها تجري نحوك فأنحة لك ذراعها، إنها

نعمة الأمومة متمثلة في أمك، وإن نعمة الأمومة

لبس كمنلها نعمة أخرى.

[تراحم النعم حول نعمة الأمومة وترحب بها ثم تصطف من

يديها وتلزم الصمت توفيراً لها]

نعمة الأمومة : تبلس وأب يا مبيل، كيف أجدكما هنا؟ لم

أكن أبوقع لقاءكما، إذ كنت أعاني من الوحده

في البب، فإذا بكما تعرجان إلى السماء حب
سألف بالسرور أرواح كل الأمهاب، ولكن
لنبدل العناف والفبلان، قبال كسره، قدر
ما نسنطع، ارنما في حضنى فلبس في العالم
سعادة أكبر من هذه السعاده، لماذا لا ببسم
من البسر با تسلل، وأنت كذلك يا متبل،
ألا تببنان حب أمكما، انظرا إلى يامعان،
ألا ترمان عبنى وسفى وذراعى.

هو : نعم، نعم، إننى أبببها ولكنى لم أكن أدرى، لك
صوره أمنا ولكنك أجمل منها.

نعمة الأمومه : هذا حق لأننى أصبح لا أنفدم فى
السبخوخة، وكل يوم بمضى بمنحنى فبضا من
القوة والسباب والسعاده، وكل بسمه منكما
ترفع مما مضى لى من عمر بقل كاهلى سنة
بأكملها، لا بببن لكما هذا فى البب ولكن كل
نسى هنا منببن على حميمه.

هو : - بأخذه الدهسة وبتأمل أمه وبحضنها ويعانفها
بدوره - ما هذا النوب الجميل، من أى نسبج
هو؟ أهو من حربر أو من فضه أو من لؤلؤ..

نعمة الأمومة : كلا، إنه من حنوّ النظرات والقبلا
واللمسات، فكل قبله نهبه شعاعاً من القمر أو

من الشمس.

: هذا عجيب، فلم أكن أحسب قط أنك على
مثل هذا النراء، فأين إذن كنت تخفين هذا
البوب الجميل، أفي الصوان الذي مفتاحه مع
أبي؟

هو

نعمة الأمومة : كلا، كنت ألبسه كل يوم، ولكن العين لا تراه
لأنها لا ترى شيئاً إذا كانت بلا بصيرة فكأنها
مغمضة؛ هذا الرء لكل أم تحب أولادها،
فقيره هي أم دميمة أم عجوز، فإن حبّ الأم
لأولادها هو من بين النعم الكبرى أكثرها
جمالاً وبهاء وكل سحابة من الحزن على وجه أم
يكفيها لكي تنقسع وتتبدد قبلة واحدة تهبها
أوتناها وتصبح الدموع نجوماً تتلأأ في
محجريها.

: [يطر إليها في دهسه] نعم، هذا حق، فأني أرى
نجوماً تتلأأ في محجريك، إنها عيناك كما
عرفتهما ولكنها الآن أكثر بهاء، وها هي ذي
يدك أيضاً، وها هو ذا خاتمك، بل ها أنذا أرى
أنر المحرق الذي أصابها ذات يوم وأنت تشعلين
المصباح، ولكن زاد بياض هذه اليد وزاد صفاء
بشرتها؛ كأنما يفتج منها النور. أهى تعينك الآن

هو

في العمل كما كانت تفعل سابقنها في البيت؟
نعمه الأمومه : نعم، فهي يد واحدة لم تتبدل، أفلم تكن تراها
في البيت تتألق بالبياض ويفج منها النور كلما
ربتت عليك بحنان؟

تيلتل : هذا عجيب يا أمي، هذا هو صوتك بعينه،
ولكن كلامك هنا أجمل من كلامك في البيت.
نعمة الأمومه : أنسبت كرهه مشاغلي في البيت وزحمة العمل،
ولكن إحساس القلب يغني عن شهادة الأذن
والآن وقد أبصرتني فهل ياترى ستتبين صورتي
هذه إذا عدت للكوخ غداً ورأستني في بياي
الممزقة؟

هو : لا أريد أن أعود مادمت أنت هنا، فإني أحب أن
أكون معك طوال بقائك في هذا المكان.

نعمه الأمومه : الأمر سيان، لا فرق بين بقائنا معاً هنا وبين
بقائنا معاً في البيت، أنت وأنا، أنت لم تأت
هنا إلا لتدرك وتعرف في أية صورة ينبغي لك
أن تراني حين تراني في البيت. أفاهم أنت
يا تيلتل؟ أنت تحسب أنك الآن في عالم
علويّ، ولكن هذا العالم العلويّ لم يكن
ينقصنا من قبل كلما تبادلنا العناق والمبالات،
ومعنى الأم لا يفبل الننية، فليس لك أم

سواى، لكل ولد أم واحدة لا تتبدل، هى
عنده دائماً أجمل الأمهات ولكن ينبغى له أن
يدرك حقيقتها ويعرف كيف يراها، ولكن فل
لى كيف فعلت حبي وصلت إلى هذا المكان
ووجدت طريقاً ظل الإنسان يبحث عنه منذ
أن سكن الأرض؟

هو : [مشيراً إلى سمة النور] هى التى قادتنى [تراجع سمة
النور متحشمة].

نعمة الأمومة : ومن تكون هى؟

هو : إنها بسمه النور.

نعمة الأمومة : إذن هى صاحبتك التى سمعتُ عنها، يقولون
إنها تحبك كثيراً، وإنها طيبة القلب. ولكن لماذا
تتجنب؟ ألا تسفر عن وجهها أبداً؟

هو : نعم نعم، ولكنها تخشى أن يتزلزل الهناء إذا
تجلت له الحقائق بفضلها.

نعمة الأمومة : ألا تدرى صاحبتك إذن أنها هى التى ننتظرها
دون أحد سواها، [تنادى على نقيه النعم] أقدمن
يا أخواتى، أقدمن جميعكن، هذه هى بسمه
النور جاءت أخيراً لتزورنا.

[تريظ النعم وهلل وهى تقترب].

النعم : بسمه النور هنا، بسمه النور هنا.

نعمة الفهم : [تزيح كل أحواتها لتنفرد بمعانمه سمة النور] لم نكن

ندرك أنك بسمه النور، فأنت أذن هي، لهد لبنا
ننتظرك زمنا طويلا، أتعرفننى؟ إننى نعمة
الفهم الى طالما بحب عنك، إننى فى غاية
السعادة وإن كنت لا أرى أبعد من أنفى..

نعمة العدل : [تعانفها بدورها] هل تعرفننى؟ إننى نعمة العدل

التي طالما ناسدتك البعون، إننى فى غاية السعادة
وإن كنت لا أرى أبعد من ظلى.

نعمة الجمال : [تعانفها كذلك] إننى نعمة القدرة على رؤية الجمال

التي طالما هامت بك، إننى فى غاية السعادة وإن
كنت لا أرى أبعد من مسرى أحلامى.

نعمة الفهم : كفى كفى يا أخوانى وإلا طال انتظارنا، نحن

لا ننقصنا ببات القوة، ولا تنقصنا سلامة
الطوية، [مخاطبة سمة النور] هيا، انزعى كل
الأحجية التى تخفى عنا بقية الحقائق، وبفيه
النعم، ها أنت ذى ترين كل أخوانى راكعات
عند قدميك، فأنت مليكتنا، وأنت نوابنا.

سمة النور : [وهى تفس فى حجب وجهها] أخوانى، أخوانى،

الجماليات، إن لى مولى أطعمه، لم يحن الوقت
بعد، لعله يجبن فما بعد، حينئذ سأقبل عليكى
بلا خسبة، منفلة من حجب الظلال، فوداعاً،

انهضن نتبادل العناق، مرة بعد أخرى، سأن
سفيحات اجتمعن بعد فراق، انتظاراً منا للوم
الموعود.

نعمة الأمومة : لن أنسى كرم رعايتك لولديّ الحبيبين.
بسمة النور : إنني سأرعى دائماً كل أناس يحب بعضهم بعضاً.
نعمة الفهم : لتكن آخر فبيلاتك فبله على جبينى.
[تتادلان العاى طويلاً ثم تفصلا فإدا العيون دموع
تترقرق].

هو : [دهشة] لماذا تبكيان ؟ [ينظر إلى بقية العم] وأنتن
أيضاً، لم البكاء، لماذا لم تبى واحدة لم تترقرق
فى عينيها الدموع ؟
بسمة النور : اسكت يا بنى...
[سستار]

الفصل الخامس

المنظر العاشر: عالم الغد

[بهو فسيح في قصر الأثير، حيث يقيم الأطفال الذين لم يولدوا بعد، على مد النظر أعمده من الياقوت تسند عقوداً من الزمرد، كل ماى البهو من صوء وعتبات لازورديه، وشعشعه سهايه البهو حيث تتراوح الأعمده، وتنبهم أواخرها. كل الأشياء كبيرها وضئيلها محللها علالة من زرقه لطيفه كأنها من عمل السحر أو من سح الخيال، سند عن ذلك فواعد الأعمده وتيجانها والأحجار واسطه العقود وبعض الكراسى والمقاعد الدائره فإنها من الرحام أو المرمر، إلى اليمين، بين الأعمده أبواب ضخمة من العقيق، هذه الأبواب الى سيفتحها الدهر قبل حتام المنظر فتتكشف الحياه على الأرض ومطالع الفجر، يتناثر تناسق في كل أرجاء البهو حشد من الأطفال، يلسون نياتاً في زرقه السماء، بعضهم يلعب، وبعضهم يتمشى، وبعضهم مستغرو في الحديث أو الأحلام، وكبر منهم في سباب، وكبير مهم أيضاً يشتعلون بن الأعمدة تتجارت تسمر عن محترعات الغد، ما يصنعونه من أدواب وعدد وأحجرة، وما يزرعونه أو يحنونه من نبات وزهور وفاكهه تلفها جميعا علالة من الزرقه السماوية التي محلل البهو كله، محوس بن الأطفال في صمت سخوص كأنها من ملائكة، لها قامة مديده، وبهاء رائع مطمئن.

يدحل من اليسار، وكأن الدخول حلسته، بالتسحب حلف الأعمده في مقدمه المسرح كل من تيلتيل وميتيل وبسمه النور فينور لدخولهم بين الأطفال هرح ومرج، ثم يهرعون إلهم من كل صوب، ويتحلمون حول هؤلاء الروار الأغراب وينطرون إليهم

[دهشة]

مسئل : أين قمع السكر والهرة والرغيف؟

بسمه النور : ليس من شأنهم الدخول هنا، فلو تركناهم
يدخلون لعرفوا المستقبل ورفضوا الطاعة.

ميتيل : والكلب؟

بسمه النور : بحسن أيضاً أن لا يعلم ما ينتظره على مرّ
القرون، لقد جمعهم كلهم في قبو الكنيسة.

هو : وأين نحن؟

بسمه النور : نحن في عالم الغد، بين الأطفال الذين لم يولدوا
بعد، وبما أن الماسه ستتيح لنا أن نبصر هنا
بوضوح كل ما يعجز الإنسان عن رؤيته فإننا
في أغلب الاحتمال سنعر هنا على الطائر
الأزرق.

هو : عسير أن لا يكون أزرق اللون، فهذا هو لون
كل شيء هنا (يتأمل فيما حوله) ما أجل هذا
المشهد.

بسمه النور : أنظر إلى الأطفال الذين يجرون إليك.

هو : هل أغضبهم حضورنا؟

بسمه النور : كلا، فأنت ترى أنهم يبتسمون ولكنهم في
دهشه.

الأطفال الزرق : [يجرون إليهم وقد تكاثر عددهم] أحياء صغار، تعالوا
وانظروا الأحياء الصغار.

هو : لماذا يسموننا بالأحياء الصغار؟

بسمه النور : لأنهم لم يصبحوا بعد من الأحياء.

هو : وماذا يفعلون إذن؟

بسمه النور : إنهم ينتظرون ساعه مولدهم.

هو : ساعه مولدهم.

بسمه النور : نعم، فهنا يتجمع كل الأطفال الذين يولدون في

الأرض، وكل واحد منهم ينتظر ساعه، وحين

يود الأباء والأمهات أن يرزقوا بأطفال فإن

هذا الباب الكبير الذى تراه هناك، على اليمين،

ينفتح ويخرج منه هبتهم من الأطفال.

هو : ما أكثر عددهم، ما أكثر عددهم؟

بسمه النور : وهناك كثير أيضا غيرهم، فنحن لا نراهم

كلهم، نخيل عدد الأطفال الذين سيعمرون

الأرض إلى آخر الدهر، لا أحد يفوى على

إحصائهم.

هو : ومن هى تلك الشخصوس الزرق؟

بسمه النور : لا يدرى أحد أمرها على وجه التحقبق، يقال

إنها الحارسات الحفظه، وعهدا بالأرض نأى

بعد عهد البشر، غير أنه لا يجوز لنا أن

نستجوبها.

هو . ولماذا؟

- بسمه النور : لأن ما عندها هو سر الأرض.
- هو : وما الفول في الصغار؟ هل نستطيع أن نكلمهم؟
- بسمه النور : نعم، وينبغي أن نتعارف، انظر، ها هو ذا واحد منهم أسد من الآخرين تطلُّعا إليك فاقترب منه وكلمه.
- هو : وماذا أفول له؟
- بسمه النور : ما شئت، كأنما تتحدث إلى رقيق.
- هو : وهل لي أن أصافحه؟
- بسمه النور : بطبيعته الحال. فهو لن يؤذيك، ولكن عجباً لك، لم هذا التهيب، سأترككما وحدكما لتجد راحتك معه، نم لأبد لي من أن أتحدث مع السخوص الزرق.
- هو : [يقترب من الطفل الأزرق ويد له يده] أهلاً وسهلاً، [يلمس بأصبعه نومه الأزرق] ما هذا؟
- الطفل الأزرق : [يلمس بجدّ قعته تيلتيل] وما هذه؟
- هو : هذه هي فبعتي، أليس لك فبعة؟
- الطفل الأزرق : لا، وفيّمْ لبس القبعات؟
- هو : خلعها يعني الإشارة بالتحبه، سم إنها تنفع في البرد.
- الطفل الأزرق : ما هو البرد؟
- هو : حين يرنجف جسدك هكذا [يملد تيلتيل حركه ارتحاف

المقرور] وحين تنفخ في كفيك وتطوح بذراعيك
هكذا [يطوح تيلتيل بذراعيه].

الطفل الأزرق : هل في الأرض برد؟
هو : نعم، في فصل الشتاء، حين لا حطب في المدفئة.
الطفل الأزرق : ولماذا لا يكون فيها حطب؟
هو : لأنه غالى الثمن ولا بد من نفود لشرائه.
الطفل الأزرق : ماهى النفود؟
هو : هى السوء الذى تدفع به.
الطفل الأزرق : فهمت.
هو : وبيننا من عنده نقود، وبيننا من ليس عنده
نقود.

الطفل الأزرق : ولماذا؟
هو : لا نقود إلا عند الأغنياء، هل أنت غنى؟ كم
عمرك؟
الطفل الأزرق : سأولد عما قريب، بعد عشر سنوات، كيف
وجدت أنت الولادة، هل طببت بها؟
هو : نعم وسررت أيضاً.
الطفل الأزرق : وماذا فعلت لتناولها؟
هو : لم أعد أذكر، ففد مضى عليها وقب طويل.
الطفل الأزرق : سمعنا كلاماً كثيراً عن جمال الأرض وجمال
الأحياء.

هو : صدقت، فأنا لا أشكو من شيء، فعندنا طيور
وكعك ولعب، بعض الأولاد عندهم كل هذا،
ومن ليس عنده يستطيع أن يتمتع برؤيتها في يد
الآخرين.

الطفل الأزرق : سمعنا أن الأمهات يففن بالأبواب لمراقبتنا،
يقال إنهن طيبات القلب، أحقُّ هذا؟

هو : نعم، الأمهات أبدع شيء في الأرض، والجدات
أيضاً، غير أن الموت بتخطف الجدات سريعاً.

الطفل الأزرق : تقول الموت؟ ما هو الموت؟

هو : رحيل ذات مساء بلا عودة.

الطفل الأزرق : لماذا؟

هو : لا أحد يدري، لعل الدافع على الرحيل هو
طلب النجاة من الأحران.

الطفل الأزرق : وهل رحلت عنكم من تسميها جدتك؟

هو : نعم، وكانت طيبة القلب جداً.

الطفل الأزرق : ماذا جرى لعينك، إنهما تذرفان لؤلؤاً.

هو : ليس لؤلؤاً.

الطفل الأزرق : ما هو إذن؟

هو : لا شيء سوى أتر انبهار بصري من انتشار

الزرفة حولي.

الطفل الأزرق : وما اسمه؟

هو : اسم ماذا؟
الطفل الأزرق : هذا الذى بنرفق فى عنك.
هو : ما هو إلا فطرات من الماء.
الطفل الأزرق : وهل ينبع من العينين؟
هو : نعم، أحياناً، عند البكاء.
الطفل الأزرق : تقول البكاء؟ ما هو البكاء؟
هو : إننى لم أبك، الذنب ذنب الزرقة من حولى، ولو
بكيك لكان حالى أيضاً كما نرى.
الطفل الأزرق : وهل يكون عندكم كبيراً؟
هو : الصبيان لا يبيكون، أما البنات... وهل عندكم
أنتم بكاء؟
الطفل الأزرق : كلا، ولا أعرف كيف أبكى.
هو : صبراً! سنعرف فيما بعد، بماذا تلعب، ما هذه
الأجنحة الكبيرة؟
الطفل الأزرق : هذه؟ إنها من أجل الاخراج الذى سأقوم به
فى الأرض.
هو : أى اختراع هو؟ هل اخترعت شيئاً؟
الطفل الأزرق : نعم، أفلا تدري؟ حين أحلّ بالأرض ينبغى لى
أن أخترع الشيء الذى يهب السعادة.
هو : أهو سىء لذيذ أكله، أم سىء له ضجيج؟
الطفل الأزرق : كلا، لا حسّ له.

- هو : يا للخسارة..
- الطفل الأول : إننى أسغل به كل يوم، وأكاد الآن أنجزه، هل تريد أن تراه؟
- هو : طبعاً، أين هو؟
- الطفل الأزرق : هناك، بين عمودين، يمكنك أن تراه من هنا.
[يقترّب طفل أزرق آخر من تيلتيل ويشده من كفه]
- الطفل الثانى : هل تريد أن ترى اختراعى أنا أيضاً؟
- هو : نعم، وما هو؟
- الطفل الثانى : الوصفات الأربع والأربعون لإطالة الحياة، إنها فى هذه الزجاجه الزرقاء.
- طفل ثالث : [مخرج من الحشد] أما أنا فسأسلط نوراً لا يعرفه أحد [يسطع جسمه بنور عجيب] أليس هذا بغريب؟
- طفل رابع : [يشد تيلتيل من ذراعها] تعالَ لكى ترى الآله الى اخترعها، إنها تخلق فى الهواء كأنها طائر بلا جناح.
- طفل خامس : صبراً صبراً، تعالوا أولاً لتروا اختراعى أنا، إنه يكسف الكنوز المخبوءة فى القمر.
- [يتزاحم الأطفال الزرق حول تيلتيل وميتيل ويناسدهما كل واحد منهم بالبدء برؤيه اختراعه أولاً، ويختلط الأصوات فيقول صوب «إنه أحمل اختراع» ويقول صوت «إنه أعجب اختراع» ويقول صوب «إنه متشكل من السكر» ويقول

صوب « إن سر احتراعى هو فى بساطته » ويقول صوب « لقد
سرفوا مى فكرى »

وفى هذا الضحيح يشدون تيلتيل وميتيل إلى ناحيه المعامل
الرزق حيث يدور كل طفل آله المدهشة فتدور فى حو أررق
عجالات واسطوانات وتروس وأشياء عحيه لم تحد لها اسماً إلى
اليوم، كأنها فى عالم من صنع الخيال، آلات كثيرة عريه مجهوله
السر تنطلق ويحوم أعلى البهو أو ترحف على الأرض حول
الأعمده على حين يشغل بعض الأطفال الرزق بسط لعائف
الخرائط والرسوم وتقلب صفحات الكتب وإراحة الستار عن
تماثيل زرق وبناول زهور ضحمة وفواكه هائله الحجم وكأنها من
ياقوت ورمرد].

الطفل الأزرق : [وهو رازح نح حمل زهره زرقاء ضحمة] انظروا إلى
أزهارى.

هو : ما هذه الأزهار؟ لا عهد لى بها.

الطفل الأزرق : إنها من زهور الربيع.

هو : مستحيل، إنها كبيرة كعجلة الفطار.

الطفل الأزرق : وما أزكى عطرها؟

هو : [يشمها] هائل جداً.

الطفل الأزرق : ستكون الأزهار هكذا حين أنزل إلى الأرض.

هو : متى إذن؟

الطفل الأزرق : بعد ثلاث وخمسين سنة، وأربعة سهور، وتسعة
أيام.

[ويأتى اثنان من الأطفال الزرق يحملان عنقوداً عجيباً من العنب، حياته في حجم الكمثرى وكأنه ثريا للوردة ضخمة]

أحد الطفلين : وما رأيك في فاكهتي؟
هو : أهو عنقود من الكمثرى؟
الطفل : كلا، إنه عنقود من العنب، وسيصبح كل عنب
هكذا حين أبلغ الثلاثين من عمرى، فقد
اكتسفت السرّ.

طفل آخر : [ينوء بحمل قفص به تفاح في حجم الطيخ] انظرني أنا.
هل ترى تفاحى؟
هو : إنه بطيخ لا تفاح.

الطفل : كلا، إنه تفاحى، وهو ليس أفضل ما عندى،
كل تفاح سيكون هكذا حين أصبح بين
الأحياء، فقد اهديت إلى السرّ، وسأكون
بستانى الملك صاحب الأفلاك التسعة.

هو : الملك صاحب الأفلاك التسعة؟ أين هو؟
الملك : [يتقدم بحياء، عمره أربع سنوات فيما يبدو] لا يكاد
يملك الوقوف على ساقيه الصغيرتين المعوّجتين،
هو أنا.

هو : ولكنك غير كبير السنّ.
الملك : [بلهجة ملؤها الجدّ والعتاب] غير أن كل الذى
سأفعله سيكون كبيراً!

- هو : أى سىء ستفعل ؟
- الملك : سأؤسس الاتحاد العام للأفلاك السماويه.
- هو : [ملحاً فى السؤال] حقاً ؟
- الملك : كلها ستصبح أعضاء فى الاتحاد ما عدا المسترى وأورانوس ونبتيون فهى على بعد مهول يجلب عن الفياس.
- هو : سىء بديع.
- طفل أزرق : هل ترى هذا الطفل هناك ؟
- هو : أيهم ؟
- الطفل : هناك، الطفل الصغير النائم عند قاعدة عمود.
- هو : وما خبره ؟
- الطفل : إنه سيهب الفرخ للأرض.
- هو : وكيف ؟
- الطفل : بأفكار لم تتولد بعد.
- هو : وهذا الطفل السمن الذى يدس أصبعه فى أنفه، ماذا سيفعل ؟
- الطفل : سيكسف النار التى تستمد منها الأرض دفئها إذا ما وهنت حرارة الشمس.
- هو : وهذان الطفلان اللذان لا يكفان عن تبادل العناق وقد شدّ كل منهما على يد الآخر. هل هما أخ وأخت ؟

الطفل : كلا، إنها طفلان نحن في حيره من أمرهما، إيهما هما العاسقان.

هو : وما معنى عاسق؟

الطفل : لست أدري، هكذا سميها الدهر، من قبل السحرية بهم، لا عمل لهما طول اليوم إلا ببادل النظرات والقبلات وتتهدا بالوداع.

هو : ولماذا؟

الطفل : لأنهما لن ساح لهما فيما يبدو أن ننزلا إلى الأرض معاً.

هو : وهذا الطفل أبو الخدين الموردين الذى مص إيهامه وقد بدت عليه إمارات الجد. من هو؟

الطفل : إنه - فيما يبدو - المكلف بمحو المظالم من على وجه الأرض.

هو : حقاً؟

الطفل : يقال إنه عمل ساق.

هو : وهذا الطفل الأسير الذى ممسى وكأنه لا يرى شيئاً، هل هو مصاب بالعمى؟

الطفل : لم يصبه للآن ولكن سببصيه فيما بعد، تأمله جيداً، إنه فيما يبدو المكلف بالانتصار على الموت.

هو : ماذا سيعمل؟

الطفل : لست أدري على وجه النقيص، ولكن يقال إن عمله سيكون هائلاً.

[يسر تيلتل إلى أطفال نائمى عند فواعد الأعمده، وفوق الدرج وعلى المقاعد]

هو : وكل هؤلاء النائمين، وما أكر النائمين هنا، ألن يكون لهم عمل؟

الطفل : إن ذههم هو الذى يعمل الآن.

هو : من أجل ماذا؟

الطفل : إنهم لا يدرون بعد، ولكن ينبغي لهم أن يمنحوا الأرض شيئاً فممنوع علينا هنا أن نخرج إلى الأرض وجعبتنا فارغة.

هو : ومن الذى يمنعكم؟

الطفل : إنه الدهر الذى بفف بالباب وسنرى حين يفتحه أنه لا نرفق بنا.

[طفل بحرى من مؤخره الهو يسوق الحسد].

الطفل : أهلاً يا تبليل.

هو : عجباً، كيف عرفت اسمى.

الطفل : [وهو يلهم ويرش تلتيل وميتل صلاب حارة] أهلاً

بكما، كيف حالكما، نعال يا تبليل عانفنى،

وأنت أيضاً يا مييل، ليس من العجيب

يا تبليل أن أعرف اسمك إذ أننى سأكون

أخاك، لم أسمع إلا الآن بمقدمك، كنت في نهاية
البهو منتغلاً بجمع أفكارى وحزمها، قل لأبى
إننى مستعد.

هو : كيف؟ أعازم أنت على المجئ عندنا؟
الطفل : طبعاً، السنة القادمة، في عيد الفصح، أرجوك أن
لا تعذبنى كثيراً أثناء طفولتى بينكم، ويسعدنى
أن استطعت عناقكما مقدماً، وقل لأبى أن يصلح
المهد، هل الأحوال عندكم طيبة؟
هو : لا بأس بها، وأمى طيبة القلب جداً.
الطفل : والطعام؟

هو : أنت وبختك، وقد تأكل في بعض الأيام فطائر
حلوة، أليس كذلك يا ميتيل.
هى : فى الأعياد وأمنا هى التى تصنعها بيدها.
هو : ما هذا الذى وضعته فى كيسك. ما الذى ستأتى
به إلينا؟

الطفل : سأتى ومعى ثلاثة أمراض : الحصبة، والسعال
الديكى والحمى القرمزية.
هو : كفاية كفاية، ثم ماذا أنت فاعل بنفسك بعد
ذلك؟

الطفل : بعد ذلك سأرجل.
هو : لم يكن هناك إذن داع للمجئ..

الطفل : وهل لنا خيار؟
[يعلو في هذه اللحظة ثم ينتشر صوب اللورى له دذبة متصله
قوية ينبعث فيها يبدو من الأعمدة والأبواب العميقة وقد غمرها
نور أشد سطوعاً].

هو : ما هذا؟
الطفل : هذا هو الدهر، إنه يوسك أن يفتح الأبواب.
[يشيع المهرج والمرج بن الأطفال، يترك أغلهم آلاهم
وأعمالهم، النائم منهم يستيقظ، وبحول الجميع أنصارهم نحو
الأبواب العميقة ثم يفتربون منها].

بسمه النور : [وقد عادب إلى تيلتيل] هيا نحاول الاختفاء وراء
الأعمدة، إذ ينبغي أن لا يكتشف الدهر
وجودنا هنا.

هو : من أين ينبعث هذا الصوت؟
الطفل : إنه الفجر وقد أوشك أن يطلع، إنها الساعة التي
ينزل فيها إلى الأرض كل طفل سبولد اليوم.
هو : وكيف ينزلون؟ هل هناك سلم؟

الطفل : ستري، انظر إلى الدهر، إنه يسدّ المزلاج.
هو : ومن هو هذا الدهر؟

الطفل : إنه رجل شيخ، ينادى الأطفال النازلين.
هو : وهل هو سرير؟

الطفل : كلا، لكنه لا يسمع لنا قولاً فإنه رغم التوسل

يصد كل راغب في النزول إذا لم يكن قد أتى دوره.

هو : وهل يسعدهم هذا النزول للأرض ؟
الطفل : على كل حال لا يسعدنا البقاء هنا إذا حرمانا من النزول للأرض. غبر أننا حين ننزل نسعر بمسحة من الحزن.. انظر انظر، هذا هو الدهر يفتح الأبواب.

[تنفتح الأبواب على مصاريعها ببطء، وتصل إلى الأسماك من بعيد ضحلة الأرض كأنها أنغام موسيقية].

الدهر : [في هيئة شبح له لحية طويلة يحمل مسجلاً وساعة رملية، يظهر عند الباب ثم تلوح أطراف أشعره بيض وذهبية لسفن راسية على أرصفة معمه من أنفاس الفجر الندي، يتكلم وهو على عتبة الباب] هل استعدّ كل من دف ساعده ؟
[يهرع إليه أطفال زرو وهم يشقون الحشد من كل جانب].

الأطفال : مستعدون، مستعدون، مستعدون.

الدهر : [في صوب أجس عضوب، يقول للأطفال وهم يرون أمامه استعداداً للنزول] واحداً واحداً، لقد تقدم منكم عدد أكبر مما ينبغي، الحال لا يتغير، ولكن هيهات أن يستغفني أحد، [يصد طملاً] ليس هذا دورك، عد، فموعدك غداً، وأنت كذلك مبله، إن موعدك بعد عشر سنوات، ماذا؟ أراع آخر

يريد النزول، إنه الثالث عشر ولا يلزمنا
إلا أنا عشر فقد انقضى عهد الرعاة، وهذا
حشد من الأطباء، سبق أن نزل منهم أكثر
مما يلزم أهل الأرض حتى جأروا بالسكوى.
وأين المهندسون؟ هناك حاجة لرجل أمين
بينهم، رجل واحد، يكون بمثابة المعجزة في
الأرض، فأين هو هذا الرجل الأمين؟ [يشير إلى
طفل قائلاً] أنت؟ [تعيد هزة من رأس الطفل إنه يقول
نعم] ولكنك نحيف، ولن تعيش طويلاً وأنتم
[مشيراً إلى أطفال يتزاحمون على النزول] أنتم هناك،
لا تسرعوا هكذا، [إلى طفل] وأنت ماذا ستحمل
للأرض؟ لا شيء؟ يدك خلو؟ إذن لا نزول
لك، عليك أن تعدّ لأهل الأرض شيئاً حتى ولو
جريمة كبيرة إذا سنّت، أو عدوى وباء، فالأمر
لا يعنيني، وسيان عندي هذا وذاك، ولكن لا بد
أن تحمل لهم شيئاً إن أردت النزول، [يقع بصره
على طفل يدفعه الآخرون للأمام وهو يغالهم بجهد] وأنت
ماذا بك؟ أنت تعلم حق العلم أن الساعة
ساعتك فهناك طلب لبطل يحارب الظلم، فأنت
من يجب عليه النزول.

: إنه لا يريد النزول يا سيّدنا.

الأطفال

الدهر : كيف ؟ لا يريد النزول ؟ أين بحسب نفسه هذا
المسخ ؟ ألا يعلم أن لا نفاعه ولا سفيح هنا ؟
[إلى الطفل] هيا هيا ، فليس لدينا وقت .
الطفل المتأبى : لا . لا . لا أريد ، أحب أن لا أولد ، أفضل البقاء
على النزول هنا .

الدهر : لا دخل هنا لحبك أو لكرهك ، إذا أزف
الساعة فليس منها مفر ، هيا ، إلى الأمام ،
أسرع ...

طفل آخر يتقدم : دعوني أمر ، سأخذ دوره ، فقد سمعت أن أبوى
عجوزان وأنها ينتظراننى منذ أمد طويل .
الدهر : دعنا من هذا ، فالساعة هى الساعة ، والدهر هو
الدهر ، لو أصغيت لكم لما فرغت ، هذا يريد
وذاك لا يريد ، هذا متعجل ، وذاك متباطئ [يريح
عن عتبه الباب كل الأطفال المتزاحمين عليها] لا تفتربوا
كثيراً يا أولاد ، إلى الورا كل فضولى ، من لم
يأت دوره لا شأن له بما وراء الباب ، أنتم الآن
تتلهفون على الخروج وحن يجىء دوركم إذا
بكم تنكصون فى خوف انظروا ، ها هم أربعة
أطفال يرتعشون كورقة فى مهبّ الريح [إلى طفل
لم يكدهم بالخروج حتى عاد أدراجه] ماذا بك ؟

الطفل : نسيت الصندوق الذى وضعت فيه الجربتين

اللتين سأرتكبهما فى الأرض.

طفل آخر : ونسيت أنا القمقم الذى وضعت فيه الفكرة

الى ستنبى للناس طريقهم.

الطفل البالى : ونسيت أنا البذرة الى ستطرح أجمل

الكمبرى.

الدهر : أسرعوا وأتوا بها، لم يبق أمامنا إلا اثنان

وسبعون نانية، إن سفينة الفجر هز سراعها

دلالة على أنها ستعجلنا، إذا تأخرتم أفلعت

دونكم ولم تولدوا، هيا هيا، انزلوا إلى السفينة

[عمسك بطفل بمحاول المروى من بين ساهيه ليركب السفينه]

ماذا أفعل بك؟ لقد عيل صبرى، هذه نالت

مرة بمحاول فيها أن تولد قبل دورك احذر أن

تفع يدي عليك مرة أخرى وإلا سيكون

اننظارك أبدىً، ويكون مقامك فى جوار أخى

الأزل، وأنت تعلم أنه مقام عصبى، دعونى

الآن لعملى، هل نحن جميعاً مستعدون؟ هل كل

واحد منا فى مكانه؟ [تستعرض نظراته الأطفال الذين

مجمعوا على الرصيف أو جلسوا فى السفينه] ينقصنا واحد،

يختبئ كما يساء فى لآبد واجده رغم الزحام،

فهيهات أن يستغفلنى أحداً فهياً، أنت هناك،

أنت الذى يسمونه بالعاشق، قل وداعًا
لعسيفتك وتعال [زوج العشاق وهما فى عناق طويل، لكل
مبها وجه محق يائس يتقدمان نحو الدهر ويركعان أمامه].

البنت : دعنى يا سيدى أرحل معه.
الولد : دعنى يا سيدى أمس معها.
الدهر : مستحيل، لم يبق أماننا إلا ثلاثماية وأربع
وتسعون بانية، وليس لأحد منكم خيار هنا.
البنت : سيدى، سيكون نزولى إلى الأرض بعد فوات
فرصة اللقاء.

الولد : لن أكون هناك حين تنزل هى.
البنت : لن تتاح لى رؤيته بعد اليوم.
الولد : سيعيش كل منا فى الأرض وحيدًا.
الدهر : كل هذا لا يعنينى، قدّما التماسكنا إلى الحياة
أما أنا فأجمع وأفرق تنفيذًا للأوامر، (بمسك
بالولد ويقول له: تعال.

الولد : لا. لا. خذها هى أيضًا.
البنت : [تشبث بشياى الولد] دعه لى، دعه لى.
الدهر : رسادكما! إننى لا أقوده للموت! بل للحياة [يجر
الولد فائلا له: تعال تعال].

البنت : [مد يدها بيأس نحوه] اجعل لى علامة، علامة، فل
لى كيف ألفاك؟

الولد : سأحبك إلى الأبد.
البنات : سأكون سقيمه من الحزن، وهذه هي علامى
التي ستعرفنى بها.
[تسقط وتظل منطرحة الأرض]

الدهر : تجملى، فهذا أفضل لك، والآن قد انتهينا [يطر
إلى ساعته الرملية] لم يبق أماننا إلا نلاب وستون
نانية.

[يشدد آحر هرج ومرج للأطفال الراحلين والنافين، تبادل
لعناى الوداع فى عجله «إلى اللماء يا بير» - «إلى اللماء
يا جان» «هل أخذت كل ما يلزمك؟» - «نشر بأفكارى» -
«ألم تنس شيئاً» - «لا تنس أن تلمانى هناك» - «سأهتدى
إليك» - «إياك أن تعتمد فكرتك» - «احذر أن تميل كثيراً
وأنت تطل من حافه السفينة على الفضاء» - «أبعث لنا
بأخبارك» - «أحبرنا هل الحال طيب هناك» - ستجدى فى
لوائك - «سأولد على عرش الخ الخ»].

الدهر : [وهو يهز منجله ومماتيحه] كفى كفى، رفعت السفينة
أنجرها وأوشكت على الإقلاع.

[بهر شراع السفينة نم يختفى، ونسمع نهليل راكيها وهى
متاعدة. «الأرض» الأرض، إنى أراها إنها جميله» إنها مضيقه،
إنها كبيرة، ثم تبعث وكأنما من فرار سحق أعنية تأنى من بعد
كلها مرج وترقب]

هو : [إلى سمة النور] ما هذه الأغنية؟ إنها لبسب

فما يبدو من غناء الأطفال الراحلين، فالصوت
مختلف.

بسمه النور : نعم، فهذه هى أغنية الأمهات المتطلعات للقاء
الأطفال.

[يعلو الدهر الأبواب العقيمة ثم يلتف ليلقى آخر بطره على
النهو فإذا به يفاحاً تلتيل وميتيل وسمه النور]

الدهر : [فى دهسه وغصب] ما هذا؟ ماذا تفعلون هنا؟ من
أنتم؟ لماذا لونكم غير أزرق؟ من أين دخلتم؟
[يتقدم إليهم مهدداً بمحله]

بسمه النور : [إلى تيلتيل] لا تردّ عليه، إن الطائر الأزرق
معى، أخفيه تحت وساحى، فلنهرب من هنا، أدر
الماسه وسرى أنه سيعجز عن افتتاح أنرنا.
[يسلكون من الأعمدة إلى اليسار ويخرجون]

[ستار]

الفصل السادس

الملتظر الحادى عشر الوداع

[المسرح عند حدارًا يشمه باب صعر، الوقت . طلوع الفجر، يدحل تيلتيل وميتيل
وسمة النور والرغيف وفتح السكر والبار واللن].

بسمه النور : ما هذا المكان فى تخمينك ؟ سنعجز عن الإجابة
ولا ريب ؟

تيلتيل : طبعًا لا أستطيع أن أجيب وكيف أعرفه وأنا لم
أره من قبل ؟

بسمه النور : ألا يتبين لك هذا الجدار وهذا الباب الصغير ؟
هو : هذا جدار أحمر وباب صغير أخضر

بسمه النور : ألا يذكرك هذا الباب بسىء ؟
هو : يذكرنى بالباب الذى خرجنا منه هربًا من
الدهر.

بسمه النور : ما أغرب حال الناس حن بعينون فى
الأحلام، يدهم أمامهم يرونها ولكنهم
لا يعرفونها.

هو : من الذى يحلم؟ أهو أنا؟
بسمه النور : لعله أنا، من يدري، ومع ذلك فهذا الجدار يسور
بيتا أنت رأيته مراراً منذ مولدك.

هو : تفولين إننى رأيته مراراً؟
بسمه النور : صح النوم، هذا هو البيت الذى غادرناه ذاب
مساء منذ عام فى مل هذا اليوم، لا قبل
ولا بعد.

هو : عام كامل؟ ثم ماذا حدث؟
بسمه النور : لا تجحظ عيناك من الدهسه كأنهما بحيرتان من
الياهو، إنه هو البس، بب والديك.

هو : [يمتر من الباب] نعم، أظنه هو، نعم، بخيل إلى،
هذا الباب الصغير، عرفت الآن مزلاجه، هل
سأجد أهلى داخله؟ هل نحن الآن بالمرب من
أمى؟ أود أن أدخل فوراً، وأعلنها توا.
بسمه النور : انتظر لحظة، إنهما غاربان فى سباب عميق.
ينبغى أن لا نوظهها فجأه، ثم أن الباب
لا يفتح إلا إذا دقت الساعة.

هو : أية ساعة؟ وهل سطول انتظارى؟
بسمه النور : كلا مع الأسف، ما هى إلا دقائق فليله.
هو : ألا يسعدك الدخول معى؟ ماذا بك يا بسمه

النور، أنك ساحبه اللون حتى لبفال إيك
مريضة.

بسمه النور : أنا بخير با بنى، ولكنى أحس بمسحه من الحزن
لأننى سأفراقكم.

هو : تفارقيننا؟

بسمه النور : لا مفر من ذلك. لم يعد لى ما أعمله هنا. لمد
حال الحول، فإن الجنيه ستعود وتطالبك بالطائر
الأزرق.

هو : ولكن الطائر الأزرق لس معى، فإن طائر عالم

الذكريات قد اسودّ لونه، وطائر عالم الغد قد
احمر لونه، وطيور فحمة الليل قد ماتت ولم
أستطع افتناص طائر الغابة، هل الذنب ذنبى
إذا بدلت الطيور ألوانها أو ماتت أو طارت من
يدى وهل ستغضب الجنيه، وماذا عساها تقول؟
بسمه النور : فعلنا كل ما قدرنا عليه، لا مفر من الاعفاد
بأن الطائر الأزرق لا وجود له إذ أنه ببدل
لونه إذا دخل الففص.

هو : وأين الففص؟

الرجف : ها هو ذا يا سيدى، لقد كلفت بحمله والحرص
عليه خلال هذه الرحلة الطويلة المليئة
بالأخطار، والآن وقد انتهت مهمتى فإنى أعبد

إليك سليماً محكم الإغلاق كما تسلمته، [يتخذ لهجة
الخطيب] والآن، باسم جميع الحاضرين أستاذكم
في أن أضيف كلمتين.

النار : لم يأذن له أحد بالكلام.

الماء : سكوت. سكوت.

الרגيف : هذه المقاطعات الخبيثة من عدوٍ حقير أو من
منافس حقود (يرفع صوته) لا تمنعني من أداء
واجبي حتى النهاية، لذلك، نيابة عن الجميع
أقول..

النار : من أذنك أن تتكلم نيابة عني، أليس لي لسان؟

الרגيف : [مستمراً] نيابة عن الجميع أقول، تعبيراً عن
عاطفة لا يمنعها اضمارها من أن تكون صادقة
وعميقة، أننا نودع الآن الصبيين الصغيرين
اللذين اختارهما المهر، يعد أن تمّ اليوم
مهمتنا، فإذا قلنا لهما اليوم وداعاً فإنما نعبر عن
حزننا ومودتنا وتقديرنا المتبادل...

هو : ماذا؟ تقول وداعاً؟ أتركنا أنت أيضاً؟

الרגيف : لا مهر من ذلك مع الأسف، نعم، سأفارقكما
ولكنه فراق في الظاهر، فلا يجدر إلا أن آذانكم
لن تسمعن أتكلم.

النار : لحسن الحظ!

- الماء : سكوت. سكوت..
- الرجيف : [لا يبالي بالمقاطعة وفي لهجه حاده] إننى أنجاهل هذه المقاطعة، أعود فأقول ان آذانكم لن تسمعنى أتكلم، لن ترونى فيما بعد نابضاً بالحياة، ستعمى عيونكم عن رؤية سريره الأسياء، ولكنى سأكون هناك دائماً، فى صندوق الخبز، وعلى الألواح وعلى المائدة، بجانب قدر الحساء، فى بن أطعمة الانسان - أن جاز لى الفول - أنسدها اخلاصاً له وأقدمها صحبه.
- النار : مهلا. مهلا وأنا؟
- بسمه النور : رشادكم، الوقت يمر، والساعة توشك أن تدق، حينئذ تدخلون عالم الصمت فاسرعوا بمعانفة الصغيرين.
- النار : [تسرع إليهما] أنا أولاً، أولاً أنا [تعانفهما بحراره وعاطفة ملتهه] وداعا ياتيلتل، وداعاً يا ميتيل، وداعا يا عزيزى، اذكرانى إذا حدث ذات يوم أن احتجتما إلى من يشعل لكما ناراً..
- هو : أى أى، إنها تحرقنى.
- هى : وتلهب أنفى.
- بسمه النور : رشادك يا نار، بعض هذا الاندلاق! إنك لا تعانفين مدفئة..

الماء : يا لها من غيبه.
المرغف : وقليله الأدب.
الماء : [تقترب من الصيبي] عناقي لكما كله ود ولا أذى منه.

النار : احرسا فإنها ستبللكما.
الماء : إننى عطوف رفيقه، سائغة للساربن.
النار : وما قولك فى الغرفى؟
الماء : أوصيكما بحب النافور، وأصغيا إلى خير الجداول فإنى سأكون هناك.
النار : أهو كلام أو طوفان؟
الماء : فإذا جلستما مساءً على ضفاف الجداول، والغابة هنا مليئة بها - فأصيخا لها السمع لتفهما ماذا تريد أن تقوله لكما، إن الدموع مخنقة ومنعنى عن الكلام.

النار : لا يطابق حالها قولها.
الماء : واذكرانى إذا رأيتما الإبريق، وستجدانى أيضاً فى الكون، والبئر، والمرش، والصنبور.
قمع السكر : [وهو يبالغ بطبعه فى الرفه والتحمل] وإذا بقى ركن ولو صغير فى ذاكرتكما فلا تنسيا أن صحبتى كانت أحياناً حلوة، لكما، لا أستطيع أن أقول أكر

من ذلك، فإن الدموع غر موصوفة لطبعي،
وإذا سقطت على قدمي أذابتهما.

الرجيف

: يا منافق!

النار

: [مقلدة صوت الباعة] سكر نباب، ملابس، كراميلًا.

هو

: وأين اختفى تيلو وتيليت. ماذا يفعلان؟

[تسمع صرحات عالية تبعث من القهوة].

هي

: [في انزعاج] هذه تيليت تنهه، هي في سدة من

الألم.

[وتدخل الهرة حريًا، انتفش شعرها وتلد، تمزقت ثيابها، تصع
مديًا على حدها كأنما تتوحج من أصراسها، تتوالى لها تهديدات
لا تحلو من غصب، والكلب يزقها ويخطها برأسه ويده
وقدمه].

الكلب

: [وهو يصرب الهرة] خذى أيكفك هذا أم تريدان

المزيد خذى.. خذى.

[سمة النور تيليتل وميتيل يسارعون إلى فصلهما: تيلو،
أحننت؟ العجب لك أرقد ألا تنتهي؟ من يصدق؟ كفى
كفى] [يفصلون بين الاثنين همة].

يسمه النور : ما هذا؟ ما الذي حدث؟

الهره

: [تتباكى وتمسح الدموع] إنه هو الذي اعتدى غلى

يا سيدى بسمة النور، لقد أهاننى وشتمنى
ووضع المسامير فى حسائى وشدّ ذيلى وانهال

- على ضرباً وأنا لم أفعل له شيئاً.
- الكلب : [يقلدها ساخرًا] لم أفعل له شيئاً! [يعيظها بوضع كفه على أنفه وتلعيب أصابعه] لا يهمنى الآن سىء، فقد ضربتك، وضربتك ضرباً موجعاً، وسأضربك.
- هى : [تأخذ الهرة فى حصها] تيليت يا مسكينة. أريني موضع الألم، إننى سأبكي أنا أيضاً..
- بسمه النور : [تزحر الكلب] مما يزيد فى حماقتك أنك اخترت لحظة هى فى ذاتها مؤلة لتعرض علينا هذا المشهد المشين، ألا تعلم أنها لحظة الوداع؟
- الكلب : [وقد هداً فحاة] أهو وداع للصبيين؟
- بسمه النور : نعم، فالساعة التى تعرفها ستدق وسنرتد إلى عالم الصمت فلا نستطيع بعد ذلك أن نكلمهما.
- الكلب : [تندّعه ولولة صادقة ملؤها اليأس ويرتمى على الصبيين ويرشقها بقلات حارة هوحاء] كلا، كلا، أبداً أبداً، سأظل أكلمهما، أنت تفهمنى الآن يا مولاي، أليس كذلك؟ نعم. نعم. سأقول لك كل سىء، وستقول لى كل شىء، لن تشكو بعد من سوء أدبى، وسأتعلم القراءة والكتابة ولعب الدومينو، وسأكون دائماً نظيفاً، ولا أسرق شيئاً من المطبخ. أتريد أن أريك لعبه من ألعابي المدهشة؟ أتريد منى أن أعاق الهرة؟

هى : [اللهه] وأنت يا تيلس، ليس عندك ما تفولينه

لى ؟

اللهه : [بعد أخرج وهى تتكتم بياتها] سلفيان منى الحب

ما دمسا جديرين به.

بسمه النور : الآن جاء دورى يا عزيزى لأفيلكما للمره
الأخيرة.

[تيليل وميتيل يتشبان بيباب بسمه النور، كلا كلا، يا سسمه
النور، ابهى هبا معنا، أبوا لن يعترض وأما سنهول لها إنك
كنت فى غاية الطيه معنا

بسمه النور : لا أستطيع مع الأسف فإن هذا الباب موصل
دوننا وينبغى لى أن أفارقكما.

: وأين تذهبن وحدك؟

هو : غير بعيد با عزبى، سأكون هناك.. فى عالم
الصمت.

هو : لا. لا. لا أريد فراقك، سنذهب معك، وسنهول
هذا لأمى.

بسمه النور : لا تبكيا يا عزيزى، ليس لى مل ما للماء من
صوت، فليس عندى إلا ضيائى وهو سىء
لا بسمعه الإنسان. ولكنى سأظل ساهرة على
هذا الإنسان إلى الأبد، واذكرا دائما أننى هى
من تكلمكما فى كل شعاع من القمر، وفى كل

بسمة من نجم، في كل فجر يبتغ، في كل
مصباح نوفد، في كل خاطرة خيره بريئة في
فلبيكما، [تدو الساعة حلف الحدار بماى دقات] أنصا،
دفت الساعة، فوداعًا، الباب ينفتح، ادخلا،
ادخلا، مع السلامة، مع السلامة.

[تدمع الصيين عر الباب الصغير الذى ينفتح نم يعلق
عليهما مسح الرعيف دموغًا مفلتة، أما قمع السكر والماء
فينحرطان في البكاء نم يتفرق الجميع سراعًا كأنهم يهرون
ويحرحون إلى اليمين وإلى اليسار.

يسمع صاح الكلب من ناحية، ويطل المسرح حاليا برهة
قصيره نم يشق من الوسط منظر الحدار والباب الصغير
ليكشف عن المطر الأخير]

المنظر الثاني عشر اليقظة

[هو عين المنظر الأول، ولكن كأنما مست يد سحرية كل الأشياء، الحو والحدرا، فإذا بها تم عن الصفاء والبشر والسعادة، يبعد صوء النهار من خصاص النافذة ويشر البهجة، تيلتيل وميتيل غارقان في النوم في مهديهما على اليمين في آخر الحجرة، والكلب والهرة وناقى الأشياء تلم الوضع الذى كانت عليه في المنظر الأول قبل دخول الحية]

[تدخل الأم تيل]

الأم : [وهى ترحر الصيين في حوّ واشراح] هيا هيا، على أقدامكم يا كسالى، ألا تنجلمان؟ لقد دفت الساعة النائمة وعلت الشمس أشجار الغابة، يا له من نوم عميق [تنحى وتقلها] على وجناتها صبغة الورد، ويفوح منها عطر الزهور، [تقلها مرة أخرى] ما أسعدنى يا أولادى! ولكن ينبغى أن لا أطيل نومكما حتى الظهر وإلا شبيبتما على الكسل، ثم إني سمعت أن طول النوم مُضر بالصحة، ها هما يستيقظان. ماذا بك؟ [إلى تيلتيل] كأنما عشب عيناك.

هو : [وهو يترك عييه] أمى. أمى، أنت الى أرى..
 الأم : نعم بالطبع، أنا أمك، لم يتبدل وجهى هذه
 الليلة. ماذا بك حتى تنظر إلى بمل هذه
 الدهسة؟ هل انقلب أنفى فأصبح يحته فوفه.
 هو : ما أسعدنى برؤيتك، كأننى لم أرك منذ زمن
 طويل. ينبغى أن أعانفك فوراً، مره بعد مره،
 أحفا أن هذا هو فراسى؟ أحفا إننى فى البيب؟
 الأم : ماذا دهاك، ألم تستفظ بعد؟ هل أنت مريض؟
 دعنى أرى. احرص لسانك، هيّا، فم والبس
 بيابك.

هو : عجباً، أرى أننى لا ألبس إلا قمصى.
 الأم : طبعاً، أنت لا تلبس غيره عند النوم، هيّا،
 البس سنرتك وسروالك، إنها هناك فوق المفعد.

هو : هل كنت ألبسها أثناء الرحله؟
 الأم : عن أى رحله تتحدث؟
 هو : رحلى فى العام الماضى.
 الأم : العام الماضى؟
 هو : نعم، فى عبد الميلاد، حينما خرجت من البيت.
 الأم : خرجت من البيت؟ إنك لم تغادر هذه الحجره،
 لقد وضعتك فى الفراسل أمس وها أنذا أجذك

فيه هذا الصباح، هل رأيت في الحلم كل
ما تفوله لى؟

: أنت لا نفهمين، رحلة العام الماضى

هو

حينما خرجت مع ميتيل والجنية وبسمه النور -
على فكره، بسمة النور ست طيبة جداً - وكان
معنا الرغبة وفتح السكر والماء والنار ولم
ينقطع بينها السجار. هل أغضبك رحيلى، هل
أحزنك كثيراً، وماذا قال أبى؟ لم أستطع أن
أرفض الرحيل فتركت رسالة أسرح فيها...
: ما هذا الهراء، لا ريب أنك مريض أو أنك
لا تزال غارفاً فى النوم [ترب عليه سحار] هيا،
استيقظ، هل وعيت لنفسيك؟

: أؤكد لك يا أمى.. صدّقنى، لعلّ المستغرق فى
النوم هو أنت.

هو

: كيف أكون مستغرفة فى النوم، إننى مستيقظة
وأعمل منذ الساعة السادسة، فنظّفت البيت
وأسعلت النار فى المدفأة.

الأم

: اسألى ميتيل وسترين أننى لا أكذب، كم رأينا
من مغامرات؟

هو

: ميتيل أيضاً؟ هذه حكاية طويلة.

الأم

: إنها كانت معى، ورأينا جدّى وجدّتى.

هو

الأم	: جدك وجدتك؟
هو	: في عالم الذكريات، كان في طريقنا، هما بين الأموات ولكن صحتها حسنة، وقد صنعت لنا جدتي فطيرة تفاح بديعة ورأبنا أخوتنا روبير وجان ومعه نحلته، ومادلين وبيريت وبولين نم ريكيث.
هى	: ريكيث تحبو ولا تمشى.
هو	: أمّا بولين فدمّلها لا يزال على أنفها.
هى	: ورأيناك أنت أيضًا يا أمى مساء أمس.
الأم	: لا عجب في ذلك فقد أرقدتكما مساء أمس.
هو	: كلا كلا، إنما رأيناك في فردوس الأرض، وكنت أبهى جمالاً ولكن شبهك لم يتغير.
الأم	: فردوس الأرض؟ لست أعرفه!
هو	: [يتأملها ويعانفها] كنت أمس أبهى جمالاً ولكنى أحبك كما أنت الآن.
هى	: [تعانفها] وأنا أيضًا..
الأم	: [وقد رى لها قلبها ولكن الفلق لا يزال يساورها] يا إلهى!
	ماذا دهاهما، سافجع فبهما كما فجعن في أخوتهما، [تنزعج فجأة وتنادى] بابا تبل، بابا تيل، تعال سريعاً، أولادنا مرضى.
الأب	: ماذا جرى؟

هو وهي : [بحريان إليه ويعافاه في فرح] هذا هو بابا، هذا هو بابا، صباح الخير يا بابا، هل كانت السنة الماضية سنة رخاء؟

الأب : لم الانزعاج؟ ما السبب؟ لا أراها مريضين، بل هما في أحسن صحه.

الأم : [وعساها بدمعان] لا بخدعك الظواهر، فلعلّ حالهما هو حال أخوتها وقت أن فجعنا فيهم. كانوا في أتمّ صحه إلى آخر يوم. ثم توفاهم الله إلى رحمته، لا أدري ماذا جرى لهما، لقد أرقدنها أمس في الفراش وهما في أحسن حال، ما أيقظنهما هذا الصباح إذا هما في أسوأ حال، أصابهما الهذيان ولا كلام لهما إلا عن رحلة موهومة، رأيا خلالها بسمه النور وجدتهما وجدتهما، يفولان إنها بين الأموات ولكن صحتهما حسنة.

هو : جدى لا تزال له سافه الخسبة.

هى : وجدنى لا تزال تسكو من الروماتزم.

الأم : هل سمعت. اجر لتنادى الطبيب.

الأب : لا. لا. وهل هما يحتضران حتى أناديه؟ صبراً

لننظر ماذا سبحدت لهما. (يسمع دق على الباب) ادخل..

الجارة : صباح الخير، وكل عيد وأنتم جميعاً في صحة وسلامة.

هو : هذه هي الست غرباوية.

الجارة : جئت لآخذ قليلاً من الحطب، لأطبخ عليه حساء العيد، فالجو بارد هذا الصباح، صباح الخير يا أطفال. كيف الحال؟

هو : يا ست غرباوية، لم أجد لك الطائر الأزرق. ماذا يقول؟

الأم : مصيبة يا ست غريبة، انهما يهذيان، هذا هو حالهما منذ أن استيفظا، لا سك أنهما أكلا سيئاً أضرب بهما.

الجارة : طيب يا تيلتيل، ألا تعرف الست غريبة، جارتك الست غريبة؟

هو : نعم أعرفك، أنت الست غرباوية. أغاضبه أنت منى؟

الجارة : غرباوية؟

هو : غرباوية.

الجارة : تريد أن تقول غريبة؟

هو : غرباوية، غريبة، كما تسائبن، إن كنتم في سك فاسألوا متيل.

الأم : الداهية السوداء أن متيل مهدى أيضاً.

الأب : كلام فارغ، سينقطع الهذيان وسأناول كلا منها
صفعة على خذه لتنبيهه.

الجارة : لا تفعل، لا لزوم للصفع، فإني خبيرة بهذه
الحالة هي أضغات أحلام تلم بكل من يرفد في
ضوء القمر، وابتنى المريضه حالها هكذا في
أغلب الأوقات.

الأم : على فكره، كيف حالها الآن؟
الجارة : نصف نصف، إنها لا تفوى على مغادرة الفراش
ويقول الطبيب إنها مسألة أعصاب، ومع ذلك
فإني أعلم أين دواؤها وقد طلبته منى في هذا
الصباح ليكون هديتها يوم العيد. إنها على يقين
من أنه دواؤها السافى. هكذا محبتها نفسها.
الأم : نعم، أعلم يقينها هذا، تؤمن أن لا دواء يشفيها
إلا عصفور تيلتيل، فهي لا تنفك تطلبه. إذن
يا تيلتيل، ألم تطب نفسك بعد بإهدائه إلى هذه
الفتاة المسكينة؟

هو : هو لى فكيف أهديه يا أمى؟
الأم : هو لى، هو لى، ولكنك لا تعنى به. بل لا تلقى
عليه نظرة فهو من شدة الحسرة بوسك أن
يموت منذ زمن طويل.

هو : نبهتنى يا أمى، الآن تذكرت عصفورى. أين

هو؟ ها هو القفص. ميتيل! أترين القفص؟
هو الذى كان فى يد الرغيف. نعم، هو بعينه،
ولكن ليس به إلا عصفورى، فأين الآخر،
الطائر الأزرق، هل أكله عصفورى؟، انظرى
انظرى! يا للعجب، فى القفص طائر أزرق،
وما هو إلا عصفورى، هو بعينه، وإن كانت
زرقة قد زادت، إنه الطائر الأزرق الذى طالما
سعينا وراءه فلم ننجح فى اقتناصه، على حين
أنه كان موجوداً فى بيتنا طول الوقت، هذا
سوء مدهش، هذا سوء بديع، متيل، أترين
العصفور قد عرفنا الآن أنه الطائر الأزرق.
ماذا كانت تقول بسمه النور لو رأيته؟ سأنزل
القفص. [يمس على الممد ويُرل القفص ويعطيه للجارة].
ها هو العصفور يا سب غريبة، إن كان فى
زرقة الآن نقص فإنه سيستكملها فيما بعد،
وسترين، ولكن هيّا، احمليه سريعاً إلى بنتك.
: أجاد أنت؟ حقا ما تقول؟ تعطيه لى هبه منك؟
من فورك، وبلا عوض؟ رب، كم ستسعد
هديتك ابنتى.

الجارة

: اذهبى بسرعة، فبعض الطيور تبدل أحياناً
لونها.

هو

- الجارة : سأعود لأخبرك بما قالت ابنتي..
[مخرج]
- هو : [يطيل التأمل فيما حوله] بابا، ماما، ماذا فعلتها بالبيت؟ إنه عين البيت ولكنه أكر جمالاً.
الأب : كيف زاد جماله؟
هو : نعم، كأنما زادت عليه يد بطلاء جديد، وبالسرهم والإصلاح، فكل شيء لامع ونظيف، لم تكن هذه حاله في السنة الماضية.
الأب : السنة الماضية؟
هو : [يذهب إلى النافذة] وهذه الغابة التي أراها، ما أكبرها، ما أجملها، إنها لتبدو لعيني كأنها غابة جديدة أراها لأول مرة، ما أسعدني هنا، [يذهب ليمتص صندوق الحزن] أبني الرغيف؟ إنه راقد باطمئنان، هم أين تيلو؟ مرحباً يا تلو. والعراك في الغابة. هل تذكره؟
هى : وتيليت عرفتني ولكنها لا تكلمني.
هو : سأكلّم الآن الرغيف، [يلمس جبهته] عجباً، لم تعد الماسة معي، فمن الذى أخذ فبعتي الصغيرة الخضراء؟ لا بأس فأني لست في حاجة إليها. [ينظر إلى المدفنة] آه! هذه هي النار. ما ألدّ جوارها، إنها تنز وهي تضحك لتغيظ الماء [يجرى

إلى الصور] يا ماء! أهلا بك، ماذا تقول؟ إنها	
ماضية في الكلام ولكني لم أعد أفهمها بوضوح.	
: وأين قمع السكر فإني لا أراه.	هى
: ما أسعدنى هنا. ما أسعدنى.	هو
: وأنا أيضا، وأنا أيضا.	هى
: ماذا بهما ليدورا في البيت هكذا..	الأم
: أما أنا فقد أحببت بسمه النور بالأخص، أين	هو
المصباح؟ هل أستطيع أن أضيئه؟ [وهو متماد في	
التلفت حوله] كل ما أرى جميل، ما أسعدنى!	
[يُسمع دق على الباب]	
: ادخل.	الأب
[تدخل الحارة الست عريضة ممسكة بيد ست صغيرة تنقراء هبة	
الجمال تحمس عصفور تيلتيل الأزرق]	
: أرايتم المعجزة؟	الجاره
: من يصدق؟ إنها تمسى!	الأم
: تمشى، وتجري، بل ترقص.. حين رأب العصفور	الجارة
نهضت من فراشها إلى النافذه قفزة واحدة	
لتتبين في النور هل العصفور الذى جئتها به هو	
حفا عصفور تيلتيل، وإذا بها تنطلق فجأة إلى	
الطريق، كأنها ملاك يطير، لم أستطع اللحاق بها	
إلا بعد جهد شديد.	

هو : [يمترب منها وينظر إليها بدهشه] ما أسببها ببسمه
النور!

هى : ولكنها أضال منها جسماً.
هو : حقاً، غير أنها ستتمو..
الجارة : ماذا يقولان؟ ألم يفلعا عن الهذيان؟
الأم : هما الآن أحسن حالاً وسمراً الأزمنة، وسبسفبان
من الهذيان حين يتناولان الفطور.

الجارة : [تدفع انتها لتعاقى تيلتيل] اذهبى إليه با بنى
واسكرية.
[تيلتيل يعلبه الحبل وتراجع خطوه].

الأم : ماذا بك با تيلتيل؟ أتستحى من هذه البنب
الصغيرة؟ قبلها قبلة كبيرة. [يقلها فله صغيره]
قبلها أفضل من هذا. أين جرأتك المعهودة؟
قبلة أخرى. ولكن ماذا بك؟ كأنك ستبكى..
[تيلتيل بعد أن يصل الفتاه بخجل يظل واقفاً أمامها برهة
وحيره، يتبادلان النظرات فى صمت ثم يربب تيلتيل على رأس
العصور].

هو : هل قنعت بزرقته؟
البنب : نعم، أنا راضية به.
هو : رأب طيوراً أسد منه زرقة، أما الطائر الذى

كملت زرقه فلم نستطع افتناصه رغم ما بذلناه
من جهد.

: لا ضير، فعصفورى جميل.

: وهل أكل؟

: لم يأكل بعد، وما أكله؟

: كل سيء، حبّ الفمخ والأذره والسعبر وفتان
الخبز.

: وكيف يأكل؟ فل لى.

: بمنفاره، تعالى أريك كيف يأكل.

[عديده ليتناول العصفور الأرق من يد البنت فتمانع مدفوعة
بغريزه حب التملك وينتهر العصفور الأرق لحظة ارتناكها
فيفلب ويطير]

: [تندّ منها صرحه يائسة] ماما، لقد طار.

[ثم تنخرط فى الكاء].

: لا تنزعجى، لا تبكى، فأنى سأقتنصه لك من
جديد.

[مخطو نحو مقدمه المسرح، ويحاطب الجمهور - إذا عثر عليه
واحد منكم فليتكرم بإعادته إلينا فكلانا أنا والست الصغيرة
فى حاجه إليه لننعم بالسعادة معاً حين نكرا].

[ختام]

١٩٨٧ / ٥٥٥٠	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-٢١٥٢-٨٨٤	الترقيم الدولي

١ / ٨٤ / ٣١٢

طبع مطابع دار الفكر العربي
 Gungah Printing House (GOAL)
 Publications Alexandria

To: www.al-mostafa.com